مرشد المترجم

(إلى أصعب الكلمات الشائعة في اللغة الإنجليزية)

مدخل إلى التحولات الدلالية والفروق اللغوية



محمد عناني

مرشد المترجم
(إلى أصعب الكلمات الشائعة في اللغة الإنجليزية)

مدخل إلى التحولات الدلالية والفروق اللغوية

تأليف
محمد عناني



مرشد المترجم (إلى أصعب الكلمات الشائعة في اللغة الإنجليزية)

محمد عناني

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٨٣٧ ٢

صدر هذا الكتاب عام ٢٠٠٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة للسيد الدكتور محمد عناني.

المحتويات

تقديم

على نحوِ ما أذكر في كتابي «فن الترجمة» — وما فَتِئتُ أُردِّد ذلك في كُتُبي التالية عن الترجمة — يُعَد المُترجِم مُؤلِّفًا من الناحية اللغوية، ومن ثَم من الناحية الفكرية. فالترجمة في جوهرها إعادةُ صَوغٍ لفكرِ مُؤلِّفٍ معين بألفاظِ لغةٍ أخرى، وهو ما يعني أن المترجم يَستوعب هذا الفكرَ حتى يُصبح جزءًا من جهاز تفكيره، وذلك في صورٍ تتفاوت من مُترجِمٍ إلى آخر، فإذا أعاد صياغة هذا الفكر بلُغةٍ أخرى، وجدنا أنه يَتوسَّل بما سمَّيتُه جهازَ تفكيره، فيصبح مرتبطًا بهذا الجهاز. وليس الجهاز لغويًّا فقط، بل هو فكريٌّ ولغوي، فما اللغة إلا التجسيد للفكر، وهو تجسيدٌ محكوم بمفهوم المُترجِم للنص المَصدَر، ومن الطبيعي أن يتفاوت المفهوم وفقًا لخبرة المُترجِم فكريًّا ولغويًّا. وهكذا فحين يبدأ المُترجِم كتابةَ نصه المُترجَم، فإنه يصبح ثمرةً لما كتبه المؤلِّف الأصلي إلى جانبِ مفهوم المُترجِم الذي يَكتسي لغتَه الخاصة، ومن ثَم يَتلوَّن إلى حدٍّ ما بفكره الخاص، بحيث يصبح النص الجديد مزيجًا من النصِّ المَصدَر والكساءِ الفكري واللغوي للمُترجِم، بمعنى أن النص المُترجَم يُفصِح عن عملِ كاتبَين؛ الكاتب الأول (أي صاحب النص المَصدَر)، والكاتب الثاني (أي المُترجِم).

وإذا كان المُترجِم يكتسب أبعادَ المُؤلِّف بوضوحٍ في ترجمة النصوص الأدبية، فهو يكتسب بعضَ تلك الأبعاد حين يترجم النصوصَ العلمية، مهما اجتهد في ابتعاده عن فكره الخاص ولغته الخاصة. وتتفاوت تلك الأبعاد بتفاوُت حظ المُترجِم من لغة العصر وفكره، فلكل عصرٍ لغتُه الشائعة، ولكل مجالٍ علمي لغتُه الخاصة؛ ولذلك تتفاوت أيضًا أساليبُ المُترجِم ما بين عصرٍ وعصر، مثلما تتفاوت بين ترجمة النصوص الأدبية والعلمية.

وليس أدل على ذلك من مقارنةِ أسلوب الكاتب حين يُؤلِّف نصًّا أصليًّا، بأسلوبه حين يُترجِم نصًّا لمُؤلِّف أجنبي، فالأسلوبان يتلاقيان على الورق مثلما يتلاقيان في الفكر.

فلكل مُؤلِّف، سواءٌ كان مُترجِمًا أو أديبًا، طرائقُ أسلوبيةٌ يعرفها القارئ حَدْسًا، ويعرفها الدارس بالفحص والتمحيص؛ ولذلك تَقترن بعض النصوص الأدبية بأسماء مُترجِميها مثلما تقترن بأسماء الأدباء الذين كتبوها، ولقد تَوسَّعتُ في عرض هذا القول في كتبي عن الترجمة والمُقدِّمات التي كتبتها لترجماتي الأدبية. وهكذا فقد يجد الكاتب أنه يقول قولًا مُستمَدًّا من ترجمةٍ معينة، وهو يَتصوَّر أنه قولٌ أصيل ابتدعه كاتبُ النص المَصدَر. فإذا شاع هذا القول في النصوص المكتوبة أصبح ينتمي إلى اللغة الهدف (أيْ لغة الترجمة) مثلما ينتمي إلى لغة الكاتب التي يُبدِعها ويراها قائمةً في جهاز تفكيره. وكثيرًا ما تَتسرَّب بعض هذه الأقوال إلى اللغة الدارجة فتحلُّ محلَّ تعابيرَ فصحى قديمة، مثل تعبير «على جثتي» (over my dead body) الذي دخل إلى العامية المصرية، بحيث حلَّ حلولًا كاملًا محلَّ التعبير الكلاسيكي «الموت دونه» (الوارد في شِعر أبي فراس الحمداني)؛ وذلك لأن السامع يجد فيه معنًى مختلفًا لا ينقله التعبير الكلاسيكي الأصلي، وقد يُعدِّل هذا التعبير بقوله «ولو متُّ دونه»، لكنه يجد أن العبارة الأجنبية أفصح وأصلح! وقد ينقل المُترجِم تعبيرًا أجنبيًّا ويُشِيعه، وبعد زمنٍ يتغير معناه، مثل «لَمن تدقُّ الأجراس» for whom the bell tolls؛ فالأصل معناه أن الهلاك قريبٌ من سامعه (It tolls for thee)، حسبما ورد في شِعر الشاعر «جون دَنْ»، ولكننا نجد التعبيرَ الآن في الصحف بمعنى «آنَ أوانُ الجد» (المستعار من خُطبة الحجَّاج حين وَلِي العراق):

آنَ أوانُ الجدِّ فَاشْتَدِّي زِيَمْ قد لَفَّها الليلُ بسوَّاق حُطَمْ
ليسَ براعي إبلٍ ولا غَنَمْ ولا بجزَّارٍ على ظهر وَضَمْ

فانظر كيف أدَّت ترجمةُ الصورة الشعرية إلى تعبيرٍ عربي يختلف معناه، ويَحلُّ محلَّ التعبير القديم (زِيَم: اسم الفرس، وحُطَم: أي شديد البأس، ووَضَم هي «القُرْمة» الخشبية التي يَقطع الجزَّار عليها اللَّحم)، وأعتقد أن من يُقارِن ترجماتي بما كتبتُه من شِعر أو مسرح أو رواية سوف يكتشف أن العلاقة بين الترجمة والتأليف أوضح من أن تحتاج إلى الإسهاب.

محمد عناني
القاهرة، ٢٠٢١م

تصدير

هذا كتابٌ مُحدَّد النطاق أرصُد فيه أهمَّ الكلمات الشائعة في اللغة الإنجليزية المعاصرة، والتي تمثِّل صعوبةً خاصة للمترجِم بسبب تغيُّر معانيها وفقًا للسياق؛ وهو لذلك كتابٌ من نوعٍ جديد بالعربية، يُماثل ما يسمَّى بالإنجليزية browser's guide؛ أي دليل القارئ المتمهِّل. وهذا النوع من الكتب يقع في منزلةٍ وُسطى بين المعاجم وبين كتب الفروق في اللغة، وهو جديدٌ في العربية لأنه يناقش المعاني في السياقات المختلفة من وجهة نظر المترجِم، وهدفه تحرير ذهنه من الفكرة التي أشاعها بعض المحترفين، وآمن بها بعض المبتدئين، من أن لكل كلمةٍ مقابلًا دقيقًا بلغةٍ أخرى لا تخرج عنه ولا تتحوَّل، وهي فكرةٌ دحضها علماء اللغة المحدَثون وأسهبوا في نقضها؛ فأحيانًا ما تتعدَّد معاني الكلمة الواحدة، وأحيانًا ما يختلف تعريفُها من معجمٍ إلى معجم، ومن عصرٍ إلى عصر، ومن سياقٍ إلى سياق، وقد تستعصي المضاهاةُ بينها وبين قرائنها باللغات الأخرى، ممَّا يسبِّب عنَتًا بالغًا للمترجِم.

والمعاجم المُترجمة (ثنائية اللغة) لا تركِّز على صعوبة أكثر الكلمات شيوعًا؛ فهي شاملةٌ ولا تختصُّ كلمةً دون أخرى بالحديث المُفصَّل أو المتعمِّق، كما أن المعاجم الإنجليزية الحديثة تتفاوت في تركيزها على بعض المعاني دون سواها، وبعضها يُغفلها أو يُدرجها دون إفاضة؛ ولذلك رأيت من واجبي أن أجمع — من حصيلة خبرتي المستقاة من النصوص الحية التي ترجمتُها أو راجعتُ ترجمتَها على مدى ربع القرن الماضي أثناء عملي في الوكالات المتخصِّصة للأمم المتحدة وغيرها — بعض الألفاظ ممَّا يَشقُّ وتَعسُر ترجمته بسبب تحوُّلاته الدلالية، ثم أرجع إلى جميع المعاجم الإنجليزية المتاحة لي، وأحدثها صدر عام ٢٠٠٠م (وأنا لا أقصد الطبعات الجديدة فحسب)، ومنها ما هو بريطاني ومنها ما

هو أمريكي؛ حتى أُثبت ما أراه صحيحًا، وأُنبِّه إلى ما أراه غير صحيح، مُتوسِّلًا بالأمثلة الواضحة التي تقطع الشك باليقين، وتساعد المترجم المحترف في عمله.

أمَّا المنهج الذي اتبعتُه فهو أقرب ما يكون إلى نهج الجاحظ، ذلك العبقري الذي كان يعمِد إلى الاستطراد عمدًا، تخفيفًا عن القارئ وتسرية؛ فلقد قسَّمت الكتاب إلى أبواب، وجعلت لكل بابٍ فصولًا هي بمثابة الاستطراد الذي يخفِّف وييسِّر، وإن كان في الواقع يناقش الكلمات ومعانيها أيضًا؛ ولذلك تجد أن باب involve مثلًا ليس مقصورًا عليه، بل هو يتضمَّن فصلًا عن integrate وحديثًا عن التكامل — الكلمة العربية وترجماتها — والْتفاتة إلى كلمة المتغيِّرات ومعانيها بالعربية، كما أن الأمثلة الواردة تتصدَّى لكلماتٍ كثيرة من التي تُرهق القارئ أو المترجم العربي، والترجمة التي تعقب كل مثال تُمهِّد للشرح والإيضاح والتحليل؛ ولذلك فقد أضفت مسردًا يتضمَّن أهم الكلمات التي وردت إمَّا في الأبواب أو في الفصول أو في الأمثلة؛ حتى تكون دليلًا لمن يريد الاطلاع على كلمةٍ غير واردة في رءوس الأبواب، وهي كثيرة. وقد أُقدِّم لمناقشتي بعضها بقولي إنه حديثٌ عارض incidental؛ أي إنه عرض لي فَلَم أشأ إغفاله، ولم أجد ما يستدعي تخصيص باب كامل (أو فصل كامل) له. كما أضفت ثلاثة ملاحق يناقش اثنان منها كلماتٍ أقل شيوعًا، ويتضمَّن الثالث شرحًا لأهم المصطلحات المستخدمة في الدراسة العلمية الحديثة للترجمة، وخصوصًا نظرية الترجمة الوظيفية التي رسخت دعائمها عام ١٩٩٧م.

أمَّا الكلمات العربية فقد استعنت في دراستي لها بالمعاجم الكبرى المتوافرة، وكنت أستشير أستاذي الدكتور حسين نصار في بعضها، وإليه يرجع الفضل في اطلاعي على مقاييس اللغة لابن فارس، كما أفادني في الكشف عن بعض المعاني في تاج العروس (وليس عندي)، أمَّا الكتب الأخرى والمعاجم الأخرى فقد أشرت إليها في أماكنها.

وبعدُ فهذا، كما قلت، كتابٌ مُحدَّد النطاق، ولا شك أن زملائي سوف يُضيفون إليه الكثير، وربما توسَّعت فيه فأصدرت طبعةً مزيدة (ومنقَّحة) بإذن الله، اهتداءً بآرائهم القَيِّمة؛ فهم الممارسون الذين تكتوي أصابعهم بجمر الترجمة.

محمد عناني

القاهرة ٢٠٠٠م

الباب الأول: معنى الصعوبة اللفظية

(١–١) لا تكمن الصعوبة الجديرة بالبحث لترجمة كلمة من الكلمات في أن معناها مُتخصِّص؛ أي ينتمي لمبحثٍ بِعَينه من المباحث العلمية، أو في أنها لا تُستخدم في غيره، وقد تكون لها مقابِلات لدى العامة؛ أي في لغةِ غير المتخَصِّصين، فالعثور على مقابلٍ عربي لها ممكنٌ في نهاية المطاف وإن اقتضى الأمر تعريبها.

ويقتصر نوع الصعوبة هنا على ما يُسمَّى بالاصطلاح؛ أي اتفاق الناس على اعتبار الكلمة العربية مقابلةً للكلمة الأجنبية، وما يصطلح عليه الناس يُصبح مصطلحًا عليه، ويُشار إليه باسم المصطلح وحسب. وقد تختلف المصطلحات مثل pharynx التي تعني البلعوم، وهو مكان الْتقاء مجرى فتحة الأنف بفتحة الفم عند آخر الحلق، ومثل oesophagus التي تعني قصبة المَرِّيء، ويستعيض غير المتخَصِّصين أو العامة عنها بكلمة gullet، وقد يستخدم الناس الأخيرة بمعنى المريء كله، وقد يُشيرون إلى pharynx بكلمة «الحلق» أو «الزور»، وقد يعنون بالأخيرة larynx وهي الحنجرة، وقد يستعيضون بكلمة throat عن أيٍّ من هذه الكلمات.

فمكمن الصعوبة الأوحد هنا هو التخصُّص؛ فالطبيب يصف الْتهاب الأغشية المخاطية في الحلق بأنه pharyngitis أو laryngitis، مُميِّزًا في ذلك بين الْتهاب المنطقة العليا من الحلق والمنطقة السفلى منه؛ أي بداية القصبة الهوائية حيث توجد الأحبال الصوتية، ولكن العامة قد لا تفرِّق بين هذا وذاك، وتُشير إلى كلٍّ منهما بتعبير sore throat وحسب. وكثيرًا ما يستخدمه الأطباء تيسيرًا على المرضى. وهذه إذن هي الصعوبة الوحيدة للكلمات غير الشائعة، ومنها الآلاف في كل علمٍ وفن. وعندما نقول إنها غير شائعة نقصد أنها

معروفة لفئةٍ دون فئة، وكثيرًا ما لا يحتاج الإنسان العادي إلى الإحاطة بها، وقد يحيا حياته كلها دون أن يستخدمها أو يشعر بوجودها.

(١–٢) وهناك صعوبةٌ من لونٍ آخر هي عدم الشيوع لا بسبب التخصُّص، بل بسبب انتفاء الحاجة إلى الكلمة، أو تضاؤل الحاجة إلى استعمالها. وبعض الكلمات تسقط من الاستعمال لأن كلماتٍ أخرى حلَّت محلَّها وأصبحت تُغني عنها. أمَّا انتفاء الحاجة فالمثال عليه كلمة مثل «الأثافي»، وهي الأحجار الثلاثة التي توضع عليها القدر فوق الموقد، واحدتها أُثْفِيَّة؛ إذ أصبح استعمالها مقصورًا على المصطلح «ثالثة الأثافي»؛ إذ يقال «رماه بثالثة الأثافي»؛ أي بداهيةٍ كالجبل (المعجم الوسيط) (unqualified disaster)، ومثل الأسماء والصفات الكثيرة للأسد والسيف في العربية، ومثل بعض الكلمات الإنجليزية التي أصبحت مهجورة obsolete، أو في سبيلها إلى ذلك obsolescent مثل كلمة saeculum التي تعني دهرًا أو زمنًا مديدًا، أو كلمة stupration التي تعني الاغتصاب، وكلاهما يستخدمه جون كرو رانسوم، أو كلمة fardel (الموجودة في شيكسبير) والتي تعني الرِّزمة أو الحُزمة، ومن ثم أُطلقت على العبء أو الحِمل الثقيل، ويقال إنها مشتقةٌ من العربية فرضةً أو فردةً بالمعنى نفسه. فإن كانت الكلمة قد انتفت الحاجة إليها فلن تظهر إلا في السياق التاريخي الذي ظهرت فيه أول ما ظهرت، وإذا كان قد استُعيض عنها بغيرها، فسوف يُشير المعجم إلى ذلك؛ فمن يُريد معنى الدهر أو الزمن الطويل يقول aeon أو eon، وهي تجمع بإضافة s للإشارة إلى الزمن الذي لا يكاد يُقاس بالسنين. فهي كلمةٌ جارية، والمعاجم الكبرى تنص على مدى شيوع كلمة أو عدم شيوعها. والطريف أن أحدهم قام بجمع جميع الكلمات التي توصف بأي لونٍ من ألوان الصعوبة المذكورة آنفًا، ونشرها في كتابٍ اسمه معجم الكلمات الصعبة A Dictionary of Difficult Words ومؤلِّفه هو روبرت هيل Hill، وصدرت الطبعة الخامسة المنقَّحة منه عام ١٩٦٩م.

(١–٣) أمَّا الصعوبة التي تعنينا هنا فهي تعدُّد معاني اللفظة الواحدة بتعدُّد السياقات، وهي صعوبة ذات شقَّين؛ الأول هو استعمال كلمة قديمة في معنًى جديد، وقد نطلق على المعنى القديم صفة المعنى التاريخي، وقد نعتبره المعنى الأصلي من الناحية التاريخية فحسب، ثم ندرس المعنى الحديث وحده، واعين بالخلفية التاريخية حين نحتاجها. أمَّا الشق الثاني، فهو وجود كلمات تتشابه في الحروف وتختلف في المعنى، أو تتشابه في النطق فقط وتختلف في المعنى، وقد يرجع التشابه إلى اختلاف مصدر كل كلمةٍ

في اللغة، وقد يرجع — وهذا هو الأهم — إلى إضفاء معانٍ مختلفة عليها قد لا تتشابه مع المعنى الأول مطلقًا، ولا بد لنا من وقفةٍ عند كلٍّ من هذَين الشقَّين.

(١–٣–١) يستعير المتخصِّصون أحيانًا بعض الكلمات من اللغة العامة أو الألفاظ الشائعة، ويُحدِّدون لها معاني خاصةً بالسياقات الجديدة، مثلما استعاروا لفظة lens للإشارة إلى العدسة الزجاجية، وكانت تعني حبة العدس في اللغات القديمة، وكذلك فعل العرب؛ ومثلما استعار الإنجليز لفظ اليد hand (أو handle) لإطلاقه على عقرب الساعة، أمَّا لماذا اختار العرب إطلاق لفظ العقرب عليه، ولم يختاروا حشرةً أخرى إن كان لا بد من اختيار حشرة، فلا يزال لغزًا لا أستطيع له تفسيرًا، وقِس على ذلك مئات الألفاظ التي تعني أكثر من معنًى للمتخصِّص وغير المتخصِّص. وما دمنا قد ذكرنا الساعة فليُفسِّر لي مَن يستطيع سبب إطلاق دقيقة minute على كل جزءٍ من أجزاء الساعة الستين، وثانية second على كل جزء من أجزاء الدقيقة الستين، أو اختصاص ساعة اليد بكلمة watch التي تعني السهر أو نوبة الحراسة أو يراقب أو يلاحظ أو يسهر الليل؟!

(١–٣–٢) أمَّا الكلمات ذات المعاني المتباينة والتي لا يبدو أن بينها علاقةً من أي لون، فتُمثِّل مجالًا بِكرًا للبحوث اللغوية يُغري بدخوله؛ فاستخدام bank بمعنى الربوة أو شاطئ النهر لا يبدو أن له علاقةً بمعنى المصرف (البنك) الحديث، وكلمة pinion التي يألفها دارس الأدب بمعنى جناح الطائرة لا يبدو أن لها أي علاقة بمعناها الآخر «المتخصِّص» بمعنى الترس cog-wheel (بالمعنى الحديث)؛ أي العجلة المسنَّنة التي تدخل أسنانها في عجلةٍ مسنَّنة أكبر، وإن كان الباحث في تاريخ اللغة قد يجد أساسًا استعاريًّا بسبب الشبه بين تداخل الأسنان في العجلتَين وبين تداخل قوادم ريش الطائر في خوافي الجناح، أو ما يُسمَّى في الحرفة (عند النجَّارين مثلًا) بالتَّعشيق dove-tailing. ولكن تاريخ اللغة غير متاح للمترجِم الذي يريد المعنى المقصود بالكلمة وحده، وقد رأيت الكثير من الكلمات الإنجليزية التي تتشابه لفظًا وتتفاوت معانيها تفاوتًا يصعب تبريره بالأصول التاريخية، وأقرب الأمثلة كلمة poker التي قد تعني القضيب الحديدي الذي يحرِّك به الإنسان الجمر لكي يزيده اشتعالًا، وقد تعني لعبةً من ألعاب الورق (البوكر)، والمعاجم لا تستطيع إقامة علاقة بينهما إلا بالإشارة إلى اختلاف الأصول الاشتقاقية، وذلك مبحث من المباحث الخاصة التي قد تخرج بنا عن مقصد هذا الكتاب.

(١–٤) وهناك صعوبةٌ أخرى لن نعرض لها وهي تعدُّد معاني الكلمة بما يدخل عليها من حروفٍ وأدوات particles؛ فهي صعوبةٌ تنتمي إلى طبيعة اللغة الإنجليزية

التي تستخدم الحروف على اختلافها مع الأفعال (بل والأسماء أحيانًا) لتغيُّر معانيها. ويستطيع المترجم هنا أن يرجع إلى المعنى فيرى بيُسرٍ معنى كل تركيب، ويعتاد معرفة التركيب كاملًا؛ أي دون فصل الكلمة عن الحرف المصاحب لها واللازم لمعرفة معناها، وهو موجودٌ في العربية؛ فالراغب في شيء desirous of غير الراغب عن شيء averse to/from وهلمَّ جرًّا.

انظر كتابي: *Lexical Approaches to Translation*, Cairo, 1999.

وانظر دراستي بعنوان:

Wittgenstein's "Family Resemblances" Revisited: Towards A Diachron ic/Cultural Approach to Translation.

المنشورة في كتاب:

Cairo Studies in English: Essays in Honour of Fakhri Costandi, Cairo, 1999.

ففي هذَين شرحٌ مفصَّل لاختلاف الدلالة باختلاف التخصُّص واختلاف الأدوات.

الباب الثاني:
معنى صعوبة الترجمة

(٢–١) قد تنشأ صعوبة الترجمة للألفاظ من أي مصدرٍ للصعوبة ممَّا عرضناه آنفًا؛ فقد يقف المترجم عند كلمةٍ جديدة عليه وهي قديمة أو مهجورة في اللغة الإنجليزية، أو مقصورة على الاستعمال المتخصِّص، وهذه أيسر الصعوبات نسبيًّا. وقد يقف عند الصعوبة الرئيسية وهي اختلاف المعنى باختلاف السياق، وقد تُعينه المعاجم أيضًا، ولكنه يحتاج إلى ما هو أجدى من المعاجم ألَا وهو الخبرة الطويلة بمعاني الكلمات الشائعة في سياقاتها المختلفة. وما دامت الخبرة لا تُكتسب إلا بمرور الزمن والممارسة الطويلة مع الإرشاد والتوجيه، فقد يكون من المفيد للمترجم أن يحظى بثمار خبرات مَن سبقوه من المترجمين.

(٢–٢) أمَّا صعوبة الترجمة التي تستطيع الخبرة أن تقهرها، فهي الصعوبة التي ترجع إلى اختلاف نظرة كل لغة إلى العالم، كما يقولون؛ أي إن صاحب كل لغة «يقسِّم العالم» أقسامًا خاصة به، على نحو ما يقول به علماء اللغة المحدثون، خصوصًا أساتذة علم الدلالة؛ أي إنه يرى الأشياء من زاويةٍ خاصة ويضعها في أقسامٍ خاصة، ويجرِّد منها مفاهيم خاصة، ممَّا يستلزم من المترجِم إجراء المقابلات المتواصلة سعيًا للمضاهاة الصحيحة، وقد لا تتأتَّى المضاهاة إلا بالموازنة التي قد لا يتساوى فيها معنى كلمة مفردة مع معنى كلمة مفردة من لغةٍ أخرى، وقد يتساوى مع معنى عدة كلمات، وفي هذا ما فيه من عسر. وإذا كان تحديد معنى اللفظة حسب التقسيم الإنجليزي عسيرًا، فما بالك بمضاهاته بمعنًى قد لا يكون من اليسير تحديده أيضًا وفق التقسيم العربي؟ والصعوبة لا تبدو لعين المبتدئ؛ لأن أساتذته الذين علَّموه الإنجليزية صبيًّا كانوا يستعينون بالألفاظ العربية في تحديد معاني الكلمات الإنجليزية. ولا مفرَّ من مواجهة هذه الحقيقة؛ أي إننا

نتعلَّم الإنجليزية مستعينين بمفاهيم اللغة الأم، وهي العربية، ممَّا يتضمَّن قدرًا كبيرًا من الترجمة. ولأبدأ بأقرب مثل على ذلك من المدرسة؛ إن المدرِّس الذي ينصح تلميذه بأن يذاكر الدرس يستخدم فعلًا مشتقًّا من التراث العربي وهو «ذاكر»؛ أي أحيا في الذاكرة فكرةً أو قَدرًا من العلم (المعلومات). وعندما يقول العربي القديم إنه ذاكر صاحبه فهو يعني أنه ذكر له ما ذكره بشيءٍ ما أو بخبرٍ ما فتذكَّره، والتذاكر إذن تبادل الذكر؛ ولذلك فعندما يتعلَّم دارس الإنجليزية أن يقول «عليَّ أن أذهب إلى المنزل للمذاكرة I must go home to study» سوف يقابل في ذهنه ولو على مستوًى باطن بين المذاكرة وstudy، ولن يقول (في نفسه أو لصاحبه) إنه سيذهب إلى الدرس في المنزل، فربما اقترنت كلمة الدرس بالدرس الرسمي أو حتى بالدرس الخصوصي! والمدرِّس الذي يقول للتلميذ إن عليه أن «يحفظ الدرس» You should learn this lesson سوف يجعله يقابل بين فعل «الحفظ» وفعل learn، وقد يتصوَّر الطالب أنه يعني الحفظ عن ظهر قلب learning by rote/heart، أو أن الكلمة الإنجليزية تعني التعلُّم فقط؛ فمعنى الحفظ مرتبطٌ بتراث العربية الشفاهي الذي كان الطالب فيه «يحفظ» في «ذاكرته» كل ما يتعلَّمه؛ ولذلك أصبحَت المفاهيم الإنجليزية مضاهاةً بمفاهيمَ عربية قد تختلف في بعض الأحيان عنها؛ فقد يكون المقصود بالمذاكرة أو بالاستذكار الفهم understanding وحسب، وقد يكون المقصود حل التمارين الرياضية أو الهندسية أو المسائل الحسابية (problems) أو كتابة موضوع يقتضي التفكير والرجوع إلى المراجع، ممَّا يدخل إن شئنا الدقة في عداد الدراسة والتربية education، لا في عداد الاستذكار أو المذاكرة أو الحفظ أو التلقين instruction.

- أمَّا التعبير المعاصر في العربية وهو سأُعلِّمك درسًا قاسيًا.

I shall teach you a harsh lesson.

I'll teach you a sharp lesson (colloquial).

فهو ينتمي إلى «التقسيم الأجنبي» لا إلى التراث العربي.

واختلاف «التقسيم» إذن معناه اختلاف الدلالات الدقيقة للكلمات فيما بين اللغتَين، مهما وازَينا وربطنا بينها؛ فالعمارة بالعربية قد تعني فنَّ البناء الهندسي architecture، وقد تعني في اللغة الشائعة أي مبنًى يتكوَّن من شقق a block of flats، والجبرتي يستخدمها بمعنى العمارة البحرية؛ أي السفن الضخمة، والإحالة واضحة إلى الآية ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَئَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلَامِ﴾ (الرحمن: ٢٤)، فالمنشأة هي المبنى الضخم،

وتشبيهها بالجبال (الأعلام) أوضح من أن يحتاج إلى تعليق. فإذا حاولنا الموازاة بينها وبين house (مسكن) وجدنا صعوبة الدلالة في اللغة الإنجليزية؛ لأن الكلمة الأجنبية لا توازي العمارة، بل هي أقرب شيء إلى ما نسمِّيه «الفيلا» بالعربية المعاصرة، إذا كان المنزل مستقلًّا detached house، وقد يكون المبنى مقسَّمًا إلى منزلَين ملتصقَين كل منهما يُسمَّى semi-detached house أو إلى أكثر من منزلَين، وقد يُسمَّى كل قسم من أقسامها cottage (التي شاعت ترجمتها بالكوخ، وإن كانت الكلمة العربية أقرب إلى shack أو hut، ومثلها عشَّة بالعامية)، وقد يُسمَّى bungalow؛ أي شاليه بالعامية المصرية، وهي معرَّبة عن الفرنسية (Swiss chalet)، وقد تعني بالفرنسية كوخًا ريفيًّا، والطريف أن يقرنها الفرنسيون بكلمةٍ أخرى (chalet de nécessité) لتعني المرحاض العام public convenience (أي مكان قضاء الحاجة)، أمَّا فيلا villa الإنجليزية فلا تعني ما نعنيه بالفرنسية؛ أي المنزل الريفي، بل تعني town house، وهو ما يقابل لدينا شقةً في الطابق الأول من المنزل! وكل من هذه التقسيمات يصلح لإطلاق لفظ home عليه؛ فالكلمة الإنجليزية تفيد مكان الإقامة الدائمة، أو المسكن الأصلي (أو الموطن)، ومن ثم فهي لا تتفق مع الكلمة الشائعة «بيت» أو «البيت» الذي كان يعني قسمًا من أقسام الخيمة أو حجرة (لا بد أن تكون الحجرة على مستوى سطح الأرض، فإذا ارتفعت صارت غرفة!) ثم تغيَّر معناها في الشرق، وإن كانت لا تزال تعني الحجرة في تونس، وأمَّا البيت بالمعنى الشرقي فيسمُّونه دارًا!

(٣-٢) وإذا كانت هذه الاختلافات قائمةً بين المجسَّدات التي يسهل رصدها وتحديد معانيها، فما بالك بالمجرَّدات؟! وما دمنا قد ذكرنا المساكن فلنذكر الفعل «سكن» ومشتقاته؛ فالمعاجم العربية ترى منذ القدم أن كل كلمة لا بد أن تُردَّ إلى فعلٍ ثلاثي أو رباعي أو إلى «مادة» lemma، تُدرِج الكلمة تحتها في بابٍ مستقل، وهي تُدرِج كلمة مسكين في باب سكن، والواضح أنه لا توجد علاقة بين الكلمتَين في المعنى، بل ويقول بعض الدارسين إن هذه الكلمة قد تكون لها أصولٌ أوربية، بدليل أن القرآن الكريم يشتق منها المسكنة ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ﴾ (البقرة: ٦١)، وهي قريبةٌ من الكلمة الإيطالية المعاصرة meschino (والجمع meschini وتُنطق مسكيني) التي تعني الحقير، كما شاع منها في اللغة التمسكن (اتمسكن لَمَّا تتمكِّن)، وحجتهم هي أنه لو كانت الميم زائدةً ما احتاجت العربية إلى إضافتها، فنحن لا نقول يتمنزل أبدًا بل يتنزَّل، ولم تشهد العربية اشتقاق الفعل من المصدر الميمي إلا في العصر الحديث، عندما ابتدع المغاربة التمعضل والتمفصل والتمحور (والتمركز التي يذهب شوقي ضيف إلى

إجازتها في أحد كتبه؛ استنادًا إلى أنها تُشير إلى المركز لا إلى الركيزة أو التركيز)، ولكن مباحث الاشتقاق خلافية، ونحن لا نريد إلا الإشارة إلى أن العلاقة ليست واضحةً بين السكن والمسكن من ناحية، وبين المسكنة والمساكين من ناحيةٍ أخرى، والفقهاء لا يزالون في خلافٍ حول تعريف المسكين؛ فالجوهري يقول في الصِّحاح إن المسكين هو الفقير، غير عابئ بأن القرآن يردف الفقراء بالمساكين، ولو كانتا لفظتَين مترادفتَين في المعنى ما وقعتا هكذا في كتاب الله عز وجل، وابن منظور يدافع عن الصِّلة بين سكن ومسكين؛ استنادًا إلى قول سيبويه إن كل ميم في أول الكلمة زائدة إلا ميم «مِعْزى وميم مَعَد»، ويحتجُّ بأنه قياس على «تمدرع» من المدرعة، وتمندل من المنديل، ويُعقب ذلك بالعبارة الشهيرة «وهذا شاذ»، وهي عبارة الجوهري، ممَّا جعل أحد الباحثين يستبعد أن يكون الرسول قد استعمل هذا الشاذ في الحديث الذي يوجِّهه إلى المصلِّي: «تَبْأَسُ وتَمَسْكَنُ وتُقنِعُ يديك»، ويرجِّح أنها كلمةٌ مستقلة خُفِّفت تاؤها، والجمهور على أن تَمَسْكَن هنا تعني «تذلل وتخضع» فأين هذا من السكون؟ بل إن ابن منظور ينفي الصلة دون أن يقصد حين يحلِّل صيغة مسكين، ويورد أقوال الثقات التي تؤكِّد عدم وجود عَلاقة واضحة بينها وبين المسكن والسكن.

وهكذا فلنا أن نعتبر أنهما كلمتان منفصلتان، مهما تكن أصولهما الاشتقاقية، وقِس على ذلك مئات الأمثلة التي تقطع بعدم الاطمئنان إلى الأصول المفترضة للكلمات عند تحديد معانيها، مثلما نفعل في دراستنا للغات الحية حين نَقنع بمحاولة رصد المعنى الجاري بغض النظر عن الأصول، إلا حين نحتاج إليها في إدراك هذا المعنى، فإذا أردنا ترجمة المسكين وقعنا في مشكلةٍ لا حلَّ لها؛ إذ إن الخلاف على معنى الكلمة لا يزال قائمًا، فإذا افترضنا أنه درجةٌ أشد من الفقر، كما تقول بعض المعاجم، حرنا في تحديد هذه الدرجة؛ فكلمة الفقر في اللغة الإنجليزية تتضمَّن الكلمة العامة poor أو impoverished أو indigent التي قد تبدأ بضيق ذات اليد أو الإملاق straitened، وتتدرَّج إلى الحاجة إلى المال penniless أو penurious أو impecunious. وقد يُشار إلى المُعْوِز بأنه مُعدِم أو عديم landless، أو مُعوِز وحسب destitute أو needy، وهو الذي يحتاج إلى الطعام والملبس والمأوى؛ أي إلى عيش الكَفاف subsistence living. فأين نضع المسكين بين تلك الدرجات؟ القول بأن تحديد المعنى يتوقَّف على السياق قولٌ جذَّاب ولكنه غير علمي؛ لأن السياق أحيانًا لا يكتمل معناه إلا بتحديد الكلمة إذا كانت أساسية. ولقد أجرى علماء الاقتصاد والاجتماع دراساتٍ كثيرةً في التسعينيات لتحديد مستويات الفقر، ولم يَعُد الاطمئنان إلى ما ورثناه من معانيه كافيًا لإقامة الموازنات بين العربية والإنجليزية؛ ولذلك

فأنا أعتبر أن كلمة مسكين من الكلمات الصعبة في الترجمة، خصوصًا عندما نحتاج إلى الدقة العلمية ولا نكتفي بقول القائل إن المسكين هو مَن يعاني من الفقر المُدقِع؛ فالفقر المُدقِع منسوبٌ إلى إلصاق صاحبه بالدقعاء؛ أي الأرض، ولكنه هنا يعني الشدة وحسب، فأي درجةٍ إذن من درجات الشدة؟

(٢–٤) وأمَّا المجرَّدات الإنجليزية فتختلف عن المجرَّدات العربية في أن معظمها حديث النشأة، ومعظمها ينتمي إلى العلوم الطبيعية أو هو مستقًى منها، وقد لا تمثِّل المجرَّدات القديمة صعوبةً تُذكر لسهولة رَدِّها إلى أصولٍ إنسانية مشتركة، على ما فيها من خلاف، ولكن المجرَّدات الحديثة هي مدار القول في هذا السياق. ولنبدأ بالمجرَّدات القديمة أولًا.

(٢-٤-١) أهمُّ المجرَّدات القديمة هي ما يتَّصل منها بمفاهيمِ الحياة الإنسانية العامة؛ من حبٍّ وكراهية واقتران وافتراق ومرض وشفاء وزوال وبقاء وما إلى ذلك بسبيل. ولقد جهد المترجمون الأوائل في تفصيل معاني هذه المفاهيم ومُضاهاتها بالعربية حتى أصبحت ميسَّرةً إلى حدٍّ ما، وضاقت رُقعةُ الخلاف بينها وبين نظائرها العربية إلى حدٍّ كبير؛ فكلمة beauty عادةً ما تُترجم بالجمال أو بالحسن، وإذا كانت تُشير إلى حسناء فقد يقول المترجم إنها «فاتنة» مثلًا وفقًا لمفهومه لمقصد الكاتب، بل قد يقول إنها «ساحرة» حين يفسِّر الجمال بأنه charming، وقِسْ على ذلك مفاهيم الكراهية والنفور والبغض والمقت والشنآن، وما يقابلها من ألفاظٍ من الإنجليزية، مثل الأفعال:

hate/abominate/detest/abhor/execrate/loathe/dislike/immensely, etc.

فالتفسير هو وحده الفيصل في اختيار الكلمات المقابلة.

(٢-٤-٢) وأمَّا المجرَّدات الجديدة التي تهمُّنا هنا فهي تضمُّ الأفعال والأسماء والصفات التي شاعت في الكتابات الصحفية، بل وتسرَّبت إلى الكتابات العلمية وأصبحت تُمثِّل عقباتٍ لا يعرف المترجم ما عليه أن يفعله حيالها، بل إنها شاعت في الحديث اليومي وأصبحت تمثِّل جزءًا من جهاز التفكير المعتاد حتى للناطقين بالعربية، ممن يتابعون دراساتهم المتخصِّصة بالإنجليزية. وسوف أُفرد لكلٍّ منها بابًا أُتبعه بنماذجَ وتطبيقات، ولكنني سأضرب في هذا القسم أمثلةً توضيحية وتمهيدية للقارئ العربي؛ ولذلك سأختارها من الكلمات التي شاعت على ألسنة العرب (والعربي هو كل مَن يتحدَّث العربية) وأصبح التخلُّص منها محالًا، وأولها وأهمُّها كلمة «الحرص» ومشتقَّاتها؛ فالحرص في العربية يعني اشتداد الغربة في الشيء، كما جاء في التنزيل العزيز ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف: ١٠٣)، والحريص على ماله هو مَن لا يُفرِّط فيه،

كما يعني الإشفاق والجد في النفع والهداية ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)، ويحرص أيضًا يعني يحترص (ويحترس ويحترز، بل ويحترض بالإبدال)، وقد يعني الحرص أشياء أخرى لا تُهمُّنا في هذا السياق وتوردها المعاجم.

أمَّا المعنى الذي شاع للحرص فهو الحرص على السلامة والنفع والبقاء لا غيره من صور الحرص؛ فنحن نسمع أن أحد المسئولين حريصٌ على العلاقة مع غيره من رجال الحكومة، أو على صداقة بعض رجال الصِّحافة، فتفهم أن المقصود هو شدة الرغبة في الإبقاء على تلك العلاقة — في الحالة الأولى — وشدة الرغبة في الحفاظ على الصداقة إن كانت قائمة، أوفي إقامتها إن لم تكن موجودة. وإذن فإن الحرص يفيد أكثر من الرغبة وحسب، أي إنه يتكوَّن من عنصرَين: العنصر الأول ثابت constant، والعنصر الثاني متغيِّر variable، فإذا صرَّح المتحدِّث أو الكاتب بالعنصر المتغيِّر سهلت ترجمته؛ لأنه واضحٌ ومنصوص عليه صراحةً في النص، مثل:

(1) He is eager to make money إنه حريصٌ على كسب المال

والمعنى المُضمر في الحرص هنا قد يُظهره المترجم إن أبدل كلمة المال بعبارةٍ مثل as much money as he can؛ فالحرص فيه عنصر شره أو جشع، والإضافة تُظهر هذا العنصر، أمَّا إذا قال أحدهم «إنه حريصٌ على المال»، فقد يكون المعنى هو ما ذكرناه آنفًا، وقد يكون العنصر المتغيِّر هو «ما لديه من» مال؛ أي:

(2) He is careful of his money إنه حريصٌ على ماله

وقد أدَّى هذا المعنى الأخير إلى أن أصبح المترجمون يتصوَّرون أن الحرص هو care؛ ممَّا أوقع الكثيرين في مشكلات البعد عن الدقة؛ لأنه يغيب عن ذهن المترجم في العادة أن هذه الكلمة (حريصٌ) تتكوَّن مثل كثيرٍ غيرها من عدة عناصر، بعضها ثابت وبعضها متغيِّر؛ ولذلك فإن تحليل عناصرها، وهو ما يسمَّى في مباحث الدلالة decomposition أو componential analysis يقتضي إثبات الثوابت وترك مساحة أو فراغ تشغله المتغيِّرات التي لا يحدِّدها إلا السياق.

وهكذا فنحن نقول إن الحرص يعني: الرغبة الشديدة + الحفاظ/الإبقاء على/إقامة + نفع/مصالح ... إلخ. ولن نجد في اللغة الإنجليزية كلمةً تتضمَّن جميع هذه العناصر، ومن ثم فلا بد من استنباطها من السياق؛ أي إن على المترجم أن يحرص على جميع العناصر فلا يُغفل منها شيئًا، وفي الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ...

حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾، نجد أن العناصر المحذوفة من المتغيِّرات هي مكمن الصعوبة؛ لأنها تتضمَّن «التقدير» الذي قد يتضمَّن بدوره بعض التأويل، فإذا رجعنا إلى كتابٍ معتمد هو صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني (الذي يلخِّص ستة كتب أساسية في تفسير القرآن الكريم) وجدناه يقول إن «حريصٌ عليكم» تعني «حريصٌ على هدايتكم»، وهو في هذا يختصر ما قاله آخرون مثل ابن كثير الذي يقول: ««حريصٌ عيلكم» أي على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأُخروي إليكم.» ثم يروي بعض الأحداث لتأكيد ذلك عن ابن مسعود وابن عباس، فإذا رجعنا إلى معجم ألفاظ القرآن الكريم الذي وضعه مجمع اللغة العربية «الطبعة الثانية ١٩٧٠م»، وجدناه يقول: «حرص على الشيء ... اشتدَّت رغبتُه فيه وعظُم تمسُّكه به فهو حريص.» ثم يورد الآيات التي ورد فيها اللفظ فعلًا واسمًا ومنها الآية الكريمة المذكورة. واختلاف التأويل يضع المترجم في حيرة؛ إذ كيف يقطع بأن العناصر المحذوفة (من المتغيِّرات) هي الصادقة؟ كيف نقطع يقينًا بأن تحليل العناصر يؤدِّي إلى صيغةٍ دون غيرها من الصيغ التالية:

(١) «الرسول» يرغب رغبةً شديدة + في هدايتكم.
(٢) «الرسول» يرغب رغبةً شديدة + في هدايتكم + وما فيه نفعكم.
(٣) «الرسول» يرغب رغبةً شديدة + في هدايتكم + وما فيه نفعكم في الدنيا والآخرة.
(٤) «الرسول» يرغب رغبةً شديدة + في التمسُّك بكم.
(٥) «الرسول» يستمسك بكم.

أي إن المتغيِّرات هنا تُخرج لنا عدة احتمالات لا نستطيع أن نطمئن إلى ابتعاد أحدها عن الصواب، ومن الصعوبات الأولى عند الترجمة كلمة «هداية» وكلمة «نفع»؛ فمترجمو معاني القرآن عادةً يترجمون الأولى بكلمة guidance، ولا شك أنها تتضمَّن معنى الهداية المقصور على الإرشاد دون تحديدٍ لنوع الغاية التي يُرشَد المرء إليها؛ فالهداية دائمًا ما تتضمَّن غايةً شريفة ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ (القصص: ٥٦)، وإن كان المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية) لا يذكر ذلك؛ فهو يوازي بين يهدي وguide بمعنى يرشد فحسب، ولكن المعنى الآخر؛ أي العنصر الدلالي الآخر قائمٌ في معظم آيات القرآن التي تتضمَّن كلمة الهدى ومشتقَّاتها: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٩٠)، ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (طه: ١٢٢)، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ١٨)، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ

إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ (آل عمران: ٨)، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ (الأنعام: ٨٤)، ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ (الأنعام: ٨٤). وقد يصرِّح القرآن الكريم بأن الهداية هي إلى الصراط المستقيم، أو إلى سواء السبيل، أو إلى النور، وقد يوجز فلا يفصح، واللفظ المناقض للهداية دائمًا هو الضلال، والفعل يضل هو دائمًا mislead الذي يقابل mis-guide بالإنجليزية؛ ولذلك فقد يحتج أنصار ترجمة يهدي بكلمة guide وحدها بأنها تتضمَّن أو توحي أيضًا بغايةٍ شريفة، وأن guidance وحدها تكفي لترجمة كلمة الهداية، ولكن ذلك مردودٌ عليه بأن الكلمة الإنجليزية قد تعني الإرشاد لأي شيء، أو كما يقول الوسيط (في شرح الهدى) الدلالة إلى ما يوصل «إلى المطلوب». وقد تُستخدم في الإنجليزية في الإرشاد لغايةٍ غير حميدة كقول القائل:

(3) He was guided by the trail to the best spot from which he could kill the man and steal his money.

(٣) استرشد بآثار أقدام الرجل إلى أفضل بقعة لقتله وسرقة ماله.

و«أرشد» كلمة قد تتضمَّن هي الأخرى معنًى شريفًا إذا جاءت في صورة اسم هو «الرشاد» أو «الرشد»، ولكن الراشد هو العاقل، والرشد والرشاد يتضمَّنان عنصرًا عقلانيًّا يختلف عن معنى الهداية التي توحي دائمًا بنور القلب، والفعل «يدل» يتضمَّن العنصر الدلالي المشترك في هذه الكلمات جميعًا show/point out/indicate، وأمَّا مَن يحتَج بأن الله يهدي للخير ويهدي للشر استنادًا إلى الآية الكريمة ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٣)، فهو يتجاهل أن فعل الشكر أو الكفر لاحِقٌ على الهداية؛ فالله يهدي إلى السبيل، ثم يَعقب ذلك الشكر أو الكفر؛ لأن الله لا يهدي الكافرين أبدًا، وأمَّا الإرشاد إلى الكفر فهو ضلال؛ أي إن مَن يتبع خطوات الشيطان He who follows (in the footsteps of) the devil فلن يهتدي أبدًا، والنص على هذا صريح: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ٦٠)، والاستثناء الأوحد من ذلك هو قول بعض المفسِّرين إن آية ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد: ١٠) تعني أن الله يُبيِّن shows للإنسان طريق الخير وطريق الشر؛ أي يهبه القدرة على التمييز discrimination سواء أكان ذلك بالعقل أو بالقلب أو بهما معًا، ممَّا يُفصح عنه سياق الآية ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ (البلد: ١٠)، وما يتلو ذلك دعوة إلى الهداية الحقة.

معنى الهداية إذن يتطلَّب عند تحليل عناصره إضافة إشارة إلى الغاية؛ ولذلك فقد يرى المترجم أن يُضيف إليها كلمةً مثل سواء السبيل the right path أو الصراط

المستقيم the straight path أو الصلاح righteousness أو التقوى والورع piety أو الإيمان faith؛ وهكذا تخرج لنا عدة احتمالات، ولنقل إن تلك الاحتمالات سوف تُخرج لنا العبارات التالية، وهي ليست ترجمات مطلقة الصحة أو نهائية.

أمَّا الاحتمال الخامس فهو يُغيِّر من الثوابت بحذف الرغبة الشديدة، وقد يَخرج لنا في الصورة الإنجليزية المألوفة لمعنى الاستمساك؛ أي عبارة ... to hold on fast to، ومن الطبيعي إزاء هذه الاختلافات ألَّا يتمكَّن المترجم من إدراجها جميعًا في ترجمة معاني الآية الكريمة، وأن يختار منها ما يظنُّه أقرب إلى ما يقوله المولى عزَّ وجل، وإن كانت الترجمات المطبوعة تميل في الغالب إلى حذف المتغيِّرات خوفًا من إضافة شيء إلى نص القرآن الكريم، كأنما كان النص محدودًا بعدد الألفاظ لا قائمًا في معانيها. والنتيجة أن الترجمات المطبوعة للكلمة تفتقر إلى بعض عناصرها أو تغيِّر من معنى الثوابت، بل وتخرج عن الإنجليزية الاصطلاحية أحيانًا. وفيما يلي نماذجُ محدودة منها:

الثوابت «حريص»	المتغيِّرات «معاني «عليكم»»
The Prophet is eager/anxious	+ to guide you to the right path
	+ to guide you to righteousness + and to ensure your welfare
	+ to guide you to (true) faith + and to secure your welfare + in this world and the next
	+ to maintain + his bond with you

ardently desirous is he over you	(يوسف علي)
anxious is he over you	(آربري)
He is careful over you	(رودويل)
[he] cares for you	(داود)
full of concern for you	(بيكتول)
most eager is he for your (welfare)	(غالي)

أمَّا الترجمة الأولى فلا معنى لها؛ إذ يستعيض يوسف علي عن عناصر المعنى الكامنة في الكلمة بإيجاد حرف لا يتمشَّى اصطلاحيًّا مع معاني الصفة التي يوردها، ومن ثم لا يؤدِّي أي معنًى محدَّد بالإنجليزية، وإذا شئنا ترجمة ترجمته إلى العربية لخرجت في قالبٍ غريب لا يقبله العقل:

«لديه رغبةٌ مشبوبة إزاءكم»

وأمَّا آربري فيلجأ إلى الحيلة نفسها وإن كان المعنى الذي يأتي به مختلفًا؛ فترجمته تعني «يساوره القلق عليكم»؛ لأن تغيير الحرف من to إلى over يُغيِّر معنى anxious مثلما يؤدِّي تغيير الحرف المستخدم مع concerned من with إلى about إلى تغيير المعنى من الاهتمام إلى القلق، ولو أن المعاجم الإنجليزية لا تدرج الحرف over بين الحروف الاصطلاحية التي تُستعمل مع هذه الكلمات، ولم أعثر إلا على أمثلةٍ نادرة في معجم أكسفورد الكبير؛ ويُفيد كلٌّ منها معنى القلق، كما وجدت بعض الأمثلة للاستخدام الذي ربما كان المترجم يقصده وهو «بشأنكم» أو «إزاءكم»، وسواء أكان «القلق» «بشأنكم» أم «عليكم» أو «إزاءكم» فليس القلق هو الحرص.

ويَستخدم رودويل الحرف نفسه وإن غيَّر الكلمة فأتى بالصفة من care، فخرجت ترجمته عجيبةً ومعناها الحرفي «إنه يتوخَّى العناية/الحرص بشأنكم». ولو قبلنا أن تَوَخِّي الحرص تعني يحرص فليس الحرف مناسبًا للمعنى؛ إذ إن الصفة العربية (حريص) لا يكتمل معناها إلا بحرف الجر «على»؛ ولذلك يبتعد معنى رودويل كل الابتعاد عن المعنى الذي اتفق عليه المفسِّرون.

وأمَّا الترجمات الثلاث الأخيرة فهي تقترب من المعنى دون استكماله؛ فداود يقول ما معناه «إنه مهتم بكم»، والمعنى الحديث للتعبير هو «يحب». ويقترب بيكتول كثيرًا من المعنى، وإن كانت كلمة concern لا تزال تحمل في ثناياها عناصر القلق. وأمَّا الدكتور محمد محمود غالي فهو أول مترجم يورد عنصرًا دلاليًّا آخر إلى جانب شدة الرغبة، وإن كان يختار «النفع والفائدة» فقط دون الهداية، إلا إذا فهمنا الهداية على أنها أكبر نفع وفائدة للمسلم. وكأنما أحسَّ غالي بأنه يُضيف شيئًا فوضع كلمة welfare بين قوسَين؛ توَقِّيًا من أن يُرمى بالتأويل، ولقد ألهمه الله كلمةً من أصعب كلمات الإنجليزية في الترجمة (وسنعرض لها فيما بعد)؛ حتى تكون المظلة الدلالية أو the umbrella term التي تضم عناصر الخير والهناء، بل والهداية كما ألمحت.

وقبل أن نناقش كلمة care ينبغي أن نشير إلى أن الفعل يحرص من الأفعال التي تكسر القاعدة النحوية القديمة من أن الفعل هو حدثٌ في زمن؛ فالعربية لا تختلف

عن الإنجليزية في أن لديها أفعالًا بمعنى الصفات؛ أي إنها لا توازي مطلقًا تركيبة الحدث × الزمن. وقد أفاض المُحدَثون من علماء اللغة في تحليل الزمن tense عن طريق تقسيماته إلى مظاهره أو جوانبه الدلالية aspects، فخرجنا — كما يقول جون إليس Ellis في كتابه عن اللغة والفكر والمنطق — بأن هناك أسماءً تعني أفعالًا مثل «العاصفة» التي لا تشير إلى شيءٍ ملموس، بل إلى حدثٍ في الطبيعة، وهناك أفعالٌ لا تتضمَّن أحداثًا، مثل الفعل «يجهل» فأنت تقول بالإنجليزية He is ignorant of ولا فعل للصفة من لفظها، وتقول «يسألني وهو يعلم الجواب»، والفعل يعلم يوازي «عالم بالجواب»:

(4) He put the question to me

(a) though he knew the answer

(b) though he had knowledge of …

ولذلك فإن معظم المترجمين هنا استخدموا الصفة مع فعلٍ ناقص في ترجمة الحرص، وهم يُدركون أن الآية ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ (النساء: ١٢٩) مثلًا تعني ولو كنتم حريصين، وإن الآية ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ﴾ (النحل: ٣٧) تعني إن تكن حريصًا على هداهم؛ ولذلك لم يتردَّد داود في استعمال الفعل cares بدلًا من الصفة حريص لأن المعنى واحد.

أمَّا care فتعني — تعريفًا — ما يلي:

أولًا: الهم والكدر أو ما يسبِّب ذلك.

a troubled or burdened state of mind, worry, concern, or the cause of such a state.

وأقرب مثال عليه هو قول شيكسبير [care keeps watch in the eyes of the old]؛ أي «يسهر الهم في عيون الكبار»، أو قولك بالإنجليزية المعاصرة [He is worn with cares]؛ أي «برته الهموم»، ومنها المصطلحان الشائعان care-worn وcare-laden؛ أي المثقل بالهموم، وعكسها care-free؛ أي خالي البال! ويلاحظ أن الكلمة تُستخدم في الجمع كثيرًا لتعني الهموم، ومن هذا المعنى تأتي التعبيرات الشائعة I don’t care والتنويعات عليها ومنها who care? «طظ» «ولا يهمك!» وأمَّا التنويعات العامية عليه فلا «تهمنا» هنا!

ثانيًا: الاهتمام الشديد أو الانتباه اليقظ أو العناية.

Serious attention or careful heed or watchfulness.

وأقرب أمثلته هو التعبير drive with care؛ أي انتبه وأنت تقود السيارة، أو [take care over ...]؛ أي ابذل اهتمامًا أو عنايةً بعملك مثلًا، والمعنى هنا ينصرف أساسًا إلى التيقُّظ وتَوَخي الاحتراز في الأداء، كقولك: «إنه من الزجاج فاحترس» It's glass! handle with care.

ثالثًا: الرعاية والإشراف وتحمُّل المسئولية أو الوصاية.

charge, responsibility, custody, protection, etc.

والمثال عليه هو ترك طفل في رعاية أخته in his sister's care، أو ترك مسئولية الإشراف على شيءٍ لشخصٍ ما leave it in your care، ومنها child care؛ أي رعاية الأطفال، والوصاية على القُصَّر وما إلى ذلك مثل [The child was taken into care]؛ أي أعطي للوصيِّ عليه.

رابعًا: الاهتمام بمعنى الحب والرغبة، وغالبًا ما يقتصر الاستعمال على الفعل دون الاسم [Do you care for modern music?]، بمعنى هل تحب الموسيقى الحديثة، وقد يعني الفعل هل تحب أن تحصل على [Would you care for a cup of tea?]، ومنه التعبيرات الشائعة I care for you؛ أي إنني أحبك (مشغولٌ بك).

هذه هي المعاني الرئيسية الأربعة، والمعاجم الإنجليزية تُرتِّبها بنظمٍ مختلفة — خصوصًا المعاجم الأمريكية — وإذا كان معنى الحرص واردٌ في كلٍّ منها فهو يختلف عن معنى الحرص بمعنى «شدة الرغبة + في تحقيق الخير»، وهما العنصران اللذان سبق تحديدهما في تفسير الآية الكريمة، وإن كانت السياقات الاخرى أي الآيات الأخرى التي يرد فيها الفعل «ولو حرصتم» يمكن أن توازي الفعل الإنجليزي [even though you be careful].

واختلاف المعنى باختلاف السياق إذن هو بيت القصيد هنا، وهو ما يجعلنا نخصِّص كل هذه الصفات لمعاني حرص ويحرص؛ فالمترجم الذي يعرض لترجمة عبارة باللغة العربية المعاصرة (القياسية) Modern Standard Arabic M. S. A تقول إن مصر مثلًا حريصة على علاقتها مع أوربا لن يقنع بكلمة care أو مشتقاتها؛ فالحرص هنا لا يستتبع أي معنًى من المعاني الرئيسية الأربعة السابقة، ولكنه يقتضي تحليل الكلمة وإضافة العناصر المضمرة في المعنى، غير عابئ بما يضيفه من ألفاظ.

(5) Egypt is eager/anxious to maintain her relationship with Europe.

أمَّا إذا كان التعبير هو: إنني حريصٌ على صداقة فلان؛ فقد يكون المعنى إمَّا الحرص على إنشاء صداقة أو الحفاظ عليها إن كانت قائمة:

make/be friends with …

(6) I am eager/anxious to be friendly with

(7) I am eager/anxious to maintain/preserve his friendship.

وتكفي هذه الأمثلة للانتقال إلى الباب التالي.

الباب الثالث:
خصائص المجرَّدات الإنجليزية الحديثة

(٣-١) من أهم خصائص المجرَّدات الإنجليزية الجديدة هي أنها قد تُستخدم باعتبارها مصطلحات عامة أو ما أسميته بالمظلة الدلالية، والمظلة الدلالية هي المعنى الذي يمكن إطلاقُه على العديد من الأشياء المجرَّدة أو المجسَّدة، إمَّا عمدًا تفاديًا للتحديد، وإمَّا بسبب الجهل بطبيعة الشيء المشار إليه. ولقد نقلنا بعض هذه المجرَّدات الحديثة كما هي إلى العربية غير عابئين بعدم التحديد، بل راغبين أحيانًا في عدم التحديد، فأصبنا في أشياء وأخطأنا في أشياء. وأقرب النماذج إلى أذهاننا تعبير body بمعنى كِيان/مجلس/مجموعة/لجنة/مؤسَّسة/أو هيئة، وهي الكلمة الأكثر شيوعًا بينها (كما شاعت كتابة الهمزة على نبرةٍ لا على السطر ولا على الألف)، فما معنى هذه الكلمة العربية الشائعة؟

المعنى القديم لا يهمُّنا — أي الشكل — والذي نجده في التفريق بين اسم المرة واسم الهيئة (جَلسة وجِلسة) بفتح الجيم في الأولى وكسرها في الثانية، ونحن لا يهمُّنا أيضًا دلالتها المعاصرة بالمعنى نفسه، أي الصورة أو الشكل، ونحن نقرأ في التراث: إن فلانًا «كان ذا هيئة»؛ أي كان مهيب الطلعة impressive أو وقورًا أو ضخمًا فحسب، ونحن نقول اليوم إن المتقدِّمين يُجرى لهم «كشف هيئة»؛ أي الكشف عن المظهر العام، وهل هم محترمون presentable أم لا. وأمَّا المعنى الحديث لكلمة body الإنجليزية فهو يفيد (إلى جانب الجسد أو الجسم أو الجذع أو الجثة)، أيَّ مجموعة من الأشياء يجمع بينها جامع، أو أي كتلة متجانسة، أو أي مجموعة من الناس يشتركون في أداء عملٍ ما أو يوحِّد بينهم نشاطٌ ما (وقد تُطلَق على الهيكل الإداري الذي ينتمون إليه فتوازي الهيئة بالعربية)، أمَّا

الأصل في المعنى فهو الاجتماع والتوحُّد في إطار غاية ما، كقولك إن لديه مجموعةً كبيرة من الحقائق تُثبت صحة أقواله، وما دامت الحقائق تشترك في الغاية كان لنا أن نقول:

(1) He has a large body of facts to prove his statements.

وقد نُطلقها على مجموعةٍ من الأشخاص يشتركون في شيءٍ واحد:

(2) Large bodies of unemployed men marched through the streets demanding work.

(٢) قامت مجموعات كبيرة من العاطلين بمسيراتٍ في الشوارع للمطالبة بالعمل.

(3) One may being one's academic career by joining the body of students.

(٣) قد يبدأ الإنسان حياته الدراسية بالالتحاق بصفوف التلاميذ.

وأذكر أنني حِرت ذات يوم أثناء عملي بالترجمة في منظَّمة الأغذية والزراعة عندما قرأت تعبير water bodies، وبعد لَأيٍ اهتديت إلى مقابل عصري لها هو «المسطَّحات المائية»، وكان ذلك غير مألوف للزملاء العرب من غير المصريين، فأرادوا إبداله بتعبير كِياناتٍ مائية أو هيئات مائية، ورفضت وأعتقد أنني كنت مصيبًا في رفضي؛ لأن كلمة body هنا تُشير إلى أي ماءٍ فوق الأرض لا تحتها، فالماء الذي تحت الأرض يُسمَّى ground water، ونادرًا ما تُستخدم كلمة «باطن الأرض» subterranean في وصفه، والماء الجاري يُسمَّى run-off وهو يتراوح بين المسايل والغدران rills, brooks, rivulets؛ أي الروافد tributaries التي تغذِّي الأنهار، والجداول streams وبين أماكن التجمُّع الساكنة catchments، وقد تتحوَّل بعضها إلى مستنقعاتٍ swamps (وهي الدائمة التي لا تجف)، أو إلى أراضٍ سبخة؛ أي يغمرها الماء أحيانًا وتجف أحيانًا أخرى، وتتميَّز بالملوحة فلا تصلح للزراعة، وتُسمَّى marshes، ومنها الملَّاحات التي يُستخرج منها ملح الطعام salt marshes، أو إلى مغيضٍ والجمع مغائض bogs، وهي المستنقعات التي تنمو النباتات فوق سطحها، وهذه إذن مسطَّحات مائية شبه ثابتة، وقد تكون من بينها البحيرات الموسمية monsoon lakes مثل بحيرة إيتوشا Etosha في ناميبيا. فإذا أردنا الإشارة إلى هذه الأنواع من «التكوينات» أو المسطَّحات المائية دون تخصيص ودون تمييز نوع عن نوع، قلنا إنها water bodies، والأقرب كما قلت أن تكون ساكنةً still، وإن كان يمكن إطلاقها على الأنهار وهي جارية بالطبع، ممَّا يُسقط حجة المعترضين على تعبير

المسطَّحات المائية. وهل من الأفضل أن نقول: إن البحيرة مسطَّحٌ مائي ضخم أو كِيان مائي ضخم، ترجمة للعبارة:

(4) A lake is a large body of water.

والملاحظ هنا أن كلمة كِيان entity أصبحت مِثل body من المظلَّات الدلالية المستحدثة، والكاتب يلجأ إلى هذه المظلَّات حتى يتجنَّب التمييز بين البحيرة التي قد تكون عذبة المياه fresh water lake، وقد تكون مالحةً لاتصالها من طرف بالبحر lagoon.

ولكن الاستخدام الحديث يجعل body تنصرف إلى مجموعاتٍ أصغر من البشر، كأن تكون المجموعة «لجنة إدارية» أو «مجلس إدارة» steering committee، أو board of directors، أو governing council (أي مجلس رئاسي)، أو board of governors (مجلس أمناء)، ويشار إلى أيٍّ من هذه باسم the governing body، فأنت تقول:

(5) The affairs of the school are managed by the governing body.

ومزية governing body أنها تُغني الكاتب عن تحديد نوع المجلس الذي يدير شئون المدرسة: هل هو مجلس من الأوصياء a board of trustees؛ أي الذين يرصدون الأموال اللازمة للإنفاق على المدرسة، أم هو مجلس أمناء يتكوَّن من بعض أعضاء هيئة التدريس the teaching staff وبعض أعضاء مجلس الآباء parent's council، أم من هؤلاء جميعًا مع ممثِّلين عن وزارة التربية؟ والفائدة أوضح حين لا يتوافر لك العلم بطبيعة الهيئة المشار إليها؛ فالهيئة التشريعية مثلًا the legislative body قد تعني البرلمان، وقد تعني أحد مجلسَيه إذا كان يتكوَّن من مجلسَين، وكل مجلس يُسمَّى house، والبرلمان ذو المجلسَين يُسمى bicameral نسبةً إلى chamber التي تعني المجلس في هذا السياق (لا الغرفة)، وقد تعني كلمة body في بعض الأنظمة السياسية هيئةً أخرى غير البرلمان تتولَّى التشريع، وهي تُعفيك من تحديد طبيعتها.

وعندما ترجمنا كلمة body إلى هيئةٍ بالعربية وجدنا فيها حلولًا رائعة لمشكلات تحديد أنواع المؤسَّسات والمصالح الحكومية بصفةٍ خاصة، في وقتٍ كنا نعاني فيه من الحيرة الشديدة في تحديد شكل الجهاز الحكومي the civil service (حذارِ من ترجمتها بالخدمة المدنية!) فابتدعنا مصطلح «المصلحة» وأطلقناه على بعض أقسام الجهاز الحكومي، وكنا وما زلنا نوازي بينه وبين department، مع أن الشائع في إنجلترا وفي أمريكا إطلاق هذا اللفظ على الوزارة؛ أي على فرعٍ من فروع الحكومة مَعنيٍّ بنشاطٍ معيَّن تختص به الدولة، وتكاثرت أنواع التقسيمات الإدارية في مصر والعالم العربي، وازداد التباعد بينها

وبين نظائرها في الغرب، فأصبحت لدينا ضروبٌ منوَّعة من الهيئات، وكلها مؤسَّساتٌ وإدارات ومنشآت! (تُرى هل لاحظت وجود مصلحة الكيمياء القائمة حتى الآن في شارع رمسيس؟) والمترجم لا يستطيع أن يطلق عليها body أو entity، ولا بد أن يجد لها تسميةً تقبلها الأذن الأجنبية. وأغرب ما ابتدعناه هو ما يُسمَّى بـ «المجلس الأعلى»، والأعلى كما هو واضحٌ يعني المقارنة؛ فهناك مجالس عالية وفوقها مجلس أعلى، فهل ينطبق ذلك على المجلس الأعلى للشباب والرياضة؟ إذا قارنا الصفة بمثيلاتها في العربية، مثلًا القائد العام للقوات المسلَّحة هو وزير الدفاع، أمَّا القائد الأعلى فهو رئيس الجمهورية:

(6) The Minister of Defence is the Commander-in-Chief of the armed forces, but the Supreme Commander is the President.

ربما كان المعنى هو المجلس العالي للشباب والرياضة، ولكنه ليس في الحقيقة مجلسًا، والأعضاء الذين توجد أسماؤهم في الأوراق لا علاقة لهم به، وأظن ظنًّا أن أصل التسمية هو كلمة board الإنجليزية؛ فحتى عهدٍ قريب لم يكن لدى الإنجليز وزارة للتجارة أو للصناعة، وكان لديهم ما يُسمَّى Board of Trade and Industry بمعنى الجهة الحكومية المسئولة عن التنسيق بين الأنشطة التجارية والصناعية المملوكة للقطاع الخاص، وبين الأجهزة الحكومية المختصة بالسلطات التشريعية والتنفيذية المرتبطة بهذه الأنشطة، وازداد إقبال المصريين على فكرة المجالس بسبب الاتجاه الاشتراكي الذي يدعو إلى ما يُسمَّى بالقيادة الجماعية، ويكفي أن نذكر أن كلمة سوفييت تعني المجلس بالروسية. ونحن نضيف إليها كلمة المجلس في ترجمة رئاسة (مجلس) السوفييت الأعلى:

The Praesidium of the Supreme Soviet.

وقد نضيف إليها كلمة هيئة (هيئة رئاسة) مثلما نضيف الكلمة إلى كلمة المكتب officers/bureau، وأعضاء هيئة المكتب هم الأشخاص الذين ينتخبهم المشاركون في أي مؤتمر لرئاسته وتولي أعمال المقرَّر وما إلى ذلك، فأنت ترى أن أول بند في جدول أعمال agenda كل مؤتمر هو انتخاب أعضاء هيئة المكتب election of officers/election du bureau، وهم الرئيس ونوابه والأمين العام secretary general والمقرِّر rapporteur، والناس في مصر يحبُّون تعبير رئيس مجلس الإدارة، ويحبُّون تعبير الهيئة، فما هي هيئة تعمير الصحاري؟ وما هي هيئة التخطيط العمراني؟ إنها إداراتٌ أي أقسام إدارية تابعة لبعض الوزارات، فهل كل منها مصلحة؛ أي مكان قضاء المصالح؟ وإذا سألنا عن التعمير والعمران دخلنا في متاهاتٍ لن يصل المترجم فيها إلى غاية؛ فالتعمير هو تحويل الصحراء إلى أماكنَ آهلة بالسكان (واعمروا الأرض فلولا سعيكم أمست يبابًا: أحمد شوقي)، عن

طريق إصلاح الأرض وزراعتها، فما هي الكلمة الإنجليزية الصائبة هنا؟ التعمير في العادة هو reconstruction، ولكن المقصود هنا هو الإصلاح rehabilitation، فهل الجهة المسئولة عن الإصلاح أو الاستصلاح land reclamation تابعة لتلك الهيئة؟ وما هو اسمها؟ هل هو هيئة الإصلاح الزراعي؟ ولاحظ أن التعبير الأخير يُترجَم بتعبير agrarian reform، الذي يعني إعادة توزيع ملكية الأراضي. أمَّا العمارة بمعنى السدانة كما في الآية الكريمة ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ (التوبة: ١٩)، فلا تتصل بهذا المعنى إلا بصورةٍ غير مباشرة؛ فالتعمير هو تحويل غير المنتَج إلى منتَج، فيأتيه العمران (أي التحضُّر والمدنية كما في ابن خلدون)، ومن ثم فالتخطيط العمراني هو ما نسمِّيه في سياقاتٍ أخرى تنظيم الاستيطان البشري human settlement planning، وهناك وكالةٌ متخصِّصة من وكالات الأمم المتحدة تقف نشاطها على ذلك، ويُشار إليها باسمٍ مختصر هو الموئل habitat (أو برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية). أليست الوكالة ageny هيئةً أيضًا؟ ألم نكن نطلق على الأمم المتحدة هيئة الأمم المتحدة ترجمةً لكلمة منظَّمة organization ثم أسميناها منظَّمة الأمم المتحدة، ثم لفظنا هذا وذاك جميعًا عندما اختصر الاسم أهل اللغة إلى الأمم المتحدة فقط UN (United Nations) باعتبارها اسم علم لا يحتاج إلى تخصيص؟

(٢-٣) إننا إذن — كما أوضحنا في الأمثلة السابقة — لا نترجم هيئةً بكلمة body ولا body بكلمة هيئة! ما فائدة وجود كلٍّ من الكلمتَين؟ الفائدة هي ما سبق إيضاحه من أننا في حاجةٍ إلى مظلاتٍ دلالية — أي كلمات ذات معانٍ فضفاضة loose، تسمح لنا بتغيير طابع الشيء دون اسمه! لماذا أطلق المصريون اسم الهيئة المصرية العامة للكتاب عليها؟ لقد كانت مؤسَّسة، وقبل ذلك كانت لجنة، وعندما ضُمَّت دار التأليف والترجمة والنشر إلى دار الكتب القومية وجد المسئولون الحل في كلمة الهيئة؛ فهي فضفاضة بما فيه الكفاية، وبدلًا من أن يحبسوا أنفسهم في مجال النشر المحدَّد ومجال دار الكتب المحدَّد، جمعوا بينهما في الكتاب! ولَمَّا كانت الهيئة حكوميةً أي تابعةً للدولة public لا للقطاع الخاص private أسمَوها عامة! والأذن العربية تقبل هذا كلَّه ولا ترفضه، ولكن الأذن الإنجليزية تريد الدِّقة؛ ولذلك فأنا أكتب على كتبي الصادرة عن الهيئة بالإنجليزية State Publishing National Library & House؛ أي دار النشر الحكومية ودار الكتب القومية، وليعترض من شاء على ذلك. أمَّا الاسم المختصر GEBO الذي يرمز للعبارة العجيبة General Egyptian Book Organization فهو يتضمَّن من الأخطاء ما لا يتسع له هذا التمهيد،

وسوف أوجزها قبل الانتقال إلى الباب التالي: أولًا كلمة general تعني عدم التخصُّص في نشاطٍ بعينه، والهيئة متخصِّصة في الكتب (نشرها أو تخزينها)، والصحيح هو public أو state. وثانيًا لا تُستخدم منظَّمة إلا إذا كان أصحابها عديدين، أو المشاركون فيها ينتمون لجهاتٍ متفرِّقة؛ فالمنظَّمات الدولية كذلك، والمنظَّمات الحكومية وغير الحكومية (الأهلية) هي التي يشترك في عضويتها أناسٌ أو جهات متفرِّقة، بل والشركة تُعتبر عند الأمريكيين منظَّمةً بسبب المشاركة في ملكيتها بين الكثيرين، ولكن هذه الهيئة مملوكة لجهةٍ واحدة هي الدولة، وإذن لا تنطبق عليها صفة المنظمة. وأمَّا book فعادةً ما تشير إلى الكتاب المقدَّس، وهو غير المقصود هنا، بل إن Egyptian ليست في موقعها الصحيح؛ فنحن نقول Egyptian State Publishing House، وإذا أصررنا على الصورة السخيفة للكلمات الحالية فيمكننا أن نضيف of Egypt بعد كلمة organization؛ أي في آخر العبارة، وقد أَسَرَّ إليَّ أحد الأصدقاء الإنجليز أنه كان يتصوَّر أن Book اسم شخص؛ بسبب استبعاده فكرة الكتاب المقدَّس، وغموض العبارة على الرغم من ذلك، وهذا هو الدحض الموجز، وسوف أترك التفاصيل للباب الذي أناقش فيه ترجمة المنظَّمات والمؤسَّسات والشركات والنقابات والجمعيات والاتحادات والرابطات وما إليها.

الخلاصة أن المظلَّات الدلالية تختلف من لغةٍ إلى لغة، ولا يمكن الموازنة بينها، والمترجم مُطالَب بأن يبحث عن المعنى الدقيق الذي يدل عليه كل لفظ مظلي الدلالة، وهذا ما سنفعله في الأبواب التالية التي نُناقش فيها الكلمات ذات الدلالات الغامضة أو الزئبقية، وإن لم تكن جميعًا مظلية! وأنا أضع في هذه الأبواب عصارة خبرتي على امتداد ربع قرن مع أعقد الكلمات الزئبقية أو الحربائية؛ أي التي تغيِّر لون جلدها بتغيُّر المكان الذي توجد فيه، وأرجو أن يشاركني القارئ التفكير، بل وأن يختلف معي إذا توافر له من الخبرة ما يُثبت خطأ ما قد أذهب إليه.

الباب الرابع:
access

(٤-١) هذه أولى الكلمات الصعبة بالمعنى الذي حدَّدناه آنفًا؛ ألَا وهو تعدُّد الترجمات بتعدُّد السياقات. وللكلمة معنيان جوهريان؛ الأول منهما هو الذي يمثِّل صعوبة؛ ولذلك سنبدأ بالثاني (على قلة شيوعه) وهو النَّوبة؛ أي ما ينتاب الإنسان فجأة؛ كنوبة الغضب أو سَورة اليأس أو ارتفاع الحرارة (الحُمَّى) المفاجئ، ويُستخدم الأول متبوعًا بحرف الإضافة of، وهذه بعض الأمثلة:

(1) When he heard of the collapse of his plan, he had an access of despair.

(١) عندما سمع بانهيار مشروعه (خطته) استولى عليه اليأس.

(2) She felt fine in the morning but had an access of fever at lunch time.

(٢) كانت بصحةٍ جيدة في الصباح ولكنها أُصيبت بالحُمَّى في الظهيرة.

(3) He had an access of rage the minute he set eyes on his opponent.

(٣) ما إن لمح خصمه حتى ثارت ثائرته (حتى ثار وفار).

ويستعمل الأمريكيون هذا الاسم بمعنًى آخر هو الزيادة أو النمو؛ أي إنه معنًى مقصور على أبناء العالم الجديد، وغير معروف في بريطانيا أو أستراليا:

(4) There was an access of dissatisfaction in the court room as the defendant was given a light sentence.

(٤) ازداد استياء الحاضرين في «قاعة» المحكمة عندما صدرت عقوبة مُخفَّفة على المُتَّهم.

وكل هذه المعاني «الثانوية» تنبع من المصدر الأول لمعنى الاسم وهو الدخول؛ فهو مشتقٌّ من الاسم اللاتيني accessus، وهو اسمُ المفعول من accedere بمعنى accede المعاصرة، التي تعني يصل إلى أو يدخل (أو يعتلي العرش) أو ينضم إلى عضوية هيئة من الهيئات. فالأصل إذن هو الدخول أو الوصول أو بلوغ شيءٍ ما، وهذا هو المعنى الذي يتغيَّر من موقعٍ إلى آخر عند ترجمته، وهاك الأمثلة:

(5) The only access to the farmhouse is across the fields.

(٥) لا يمكن الوصول إلى كوخ المزرعة إلا عبر الحقول.

(6) The only problem with the new project, established in the desert at high cost, is the lack of good access road.

(٦) المشكلة الوحيدة التي تواجه المشروع الجديد الذي أُنشئ في الصحراء بتكاليف باهظة هو عدم شق الطرق المعبَّدة إلى الموقع.

وهذا المعنى هو الأصلي أو الحرفي، وهو وثيق الصلة بالمعنى الأكثر شيوعًا، وهو الذي يُهمُّنا هنا؛ أي الفرصة المتاحة أو الحق الممنوح أو الوسيلة المتوافرة. وهاك نماذج متعدِّدةً لهذه المعاني:

(7) Students must have access to good books.

(٧) لا بد من تمكين الطلاب من الاطلاع على الكتب القَيِّمة.

(8) One criterion of judging a country's advancement is women's access to education.

(٨) من معايير الحكم على تقدُّم بلدٍ من البلدان إتاحة فرصة التعليم للمرأة.

(9) Only high officials had access to the emperor.

(٩) كان حق الاتصال بالإمبراطور مقصورًا على كبار المسئولين.

(10) Petrochemical industries in the oil-rich countries have the advantage of easy access to cheap feedstock.

(١٠) تتمتَّع الصناعات البتروكيميائية في الدول الغنية بالبترول بمزيةٍ هامة وهي سهولة الحصول على المواد الأولية الرخيصة.

(11) The poor have no access to advanced medical treatment.

(١١) لا يستطيع الفقراء الانتفاع بأساليب العلاج الطبي المتقدِّمة.

(12) Aspiring businessmen should have access to cheap credit.

(١٢) من حق رجال الأعمال الطامحين أن يقترضوا الأموال «من البنوك» بفائدةٍ ضئيلة.

ولنتوقَّف هنا قليلًا عند ترجمة الجملة الأخيرة؛ فهي أقرب إلى الشرح والتفسير منها إلى الترجمة، وكان يمكن أن نقول:

(١٢) يجب أن يكون من حَق رجال الأعمال الطامحين الحصول على القروض الرخيصة.

أمَّا سبب التغيير فهو السبب الذي يجعلنا نغيِّر تركيب أي جملة في الترجمة؛ أي نِشدان الوضوح للقارئ العادي، بل إن ترجمة credit قد تختلف إذا كان الحديث مُوجَّهًا إلى رجال الأعمال الذين قد يفضِّلون كلمات مثل «الاعتماد» أو «الائتمان»، ولكن credit تعني النسيئة أو القرض، والشراء أو البيع بالنسيئة هو to buy/sell on credit، وبنك التسليف الزراعي هو Bank of Agricultural Credit، وتعبير credit-worthy معناه أن الشخص والشركة «تؤتمن» على سداد القرض، ويمكن «الاعتماد» على قدرتها على السداد، والأصل في النهاية هو «الثقة» أو «الائتمان»، ومنها شاعت الترجمة الاصطلاحية في مجالات التجارة (رجال الأعمال). وأمَّا تحويل cheap إلى بفائدةٍ ضئيلة بعد أن ترجمناها إلى رخيصٍ في مثالٍ سابق فهو لا يحتاج إلى تعليق.

وإذا نظرنا إلى اختلاف ترجمة access في كل مثال من الأمثلة السابقة وجدنا أن المعاني الثمانية الأخيرة تتضمَّن كلمةً مباشِرة واحدة هي الوصول (في المثال الخامس)، ثم تتفاوت الألفاظ العربية التي تترجم معنى الكلمة وفقًا للسياق، وسوف نلاحظ أيضًا عدم وجود كلمة دخول، مع أن هذا المعنى أصيلٌ في الكلمة كما ترى في عبارة No Access؛ أي ممنوع الدخول، تمامًا مثل NO ENTRY، وما زال البريطانيون يقصرون استعمال access على الاسم فقط، أمَّا الأمريكيون فهم يستخدمونها فعلًا (منذ أوائل التسعينيات)، وإن كان البعض يقصر استعمال الفعل على الكمبيوتر (الحاسوب/الحاسب)، ويقول إن الكلمة يجب ألَّا تُستخدم خارج هذا النطاق. مثال:

(13) Branch officials can access the central database.

(١٣) يتمتَّع مسئولو الفرع بحق الاطِّلاع على قاعدة البيانات المركزية.

وهكذا فنحن نعتبره فعلًا في هذا السياق وحسب، ومَن يدري فلعله يشيع في سياقاتٍ أخرى؟

وقد سمعت في الـ B.B.C أحد المعلِّقين واسمه توم كارفر، في يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٩٩م يستخدم هذا الفعل في غير هذا السياق؛ أي للإشارة إلى إمكان الوصول إلى الأسلحة النووية في أوربا.

(٤-٢) فإذا انتقلنا إلى الاسم المشتق من الكلمة بإضافة ible- ثم بإضافة ibility- وجدنا صعوبةً أخرى هي عدم وجود مقابل في العربية لهاتَين الصيغتَين. ولكن هذه الصعوبة غير أصيلة في الكلمة؛ فالمترجم يلجأ إلى التحويل، على أي حال، عند الترجمة، وما عليه إذن إلا أن يحول البناء الذي يتضمَّن accessible أو accessibility إلى بناءٍ آخر يقتصر على كلمة access. ولنبدأ بالمثال الأخير:

13 (a). The central database is accessible to branch officials.

13 (b). The accessibility of the central database to branch officials [is ensured].

والمعنى في كل حالةٍ لا يتغيَّر، ولا شك أن ذلك أفضل من محاولة اشتقاق كلمة عربية جديدة من وصول (وصولية؟!) أو من دخول، على نحو ما يفعل بعض المبتدئين الذين يستمسكون بالصورة اللغوية للنص الإنجليزي، فيُخرجون صورًا لغوية عربية غير مألوفة أو عسيرة الفهم. وقِس على المثال السابق المثال رقم ١٢:

12 (a). Cheap credit should be accessible to aspiring businessmen.

12 (b). The accessibility of cheap credit to aspiring businessmen should be ensured.

وليحذر المترجم اشتقاق كلمات عربية جديدة لا داعي لها، أمَّا إذا كان المتخصِّصون قد نحتوها وأشاعوها فأصبحت مفهومة، فلا بأس من استخدامها في سياقاتها الصحيحة. وسوف نعود لهذه القضية عند مناقشة reliability، والكلمات ذات البناء الصرفي المماثل مثل viability وغيرها.

(٤-٣) وهناك كلمة مشتقة من access يختلف معناها عن الكلمة الأصلية ألَا وهي accessary (البريطانية) وaccessory (الأمريكية)، وهما بمعنًى واحد، وكلاهما يعني المشاركة في عملٍ ما، خصوصًا في ارتكاب جريمة من الجرائم، والصيغة المعتادة هي:

to be an accessary (accessory) to a crime.

والمثال القريب هو:

(14) He was accused of being an accessary to the murder of the rich merchant.

(١٤) وُجِّهت إليه تهمة المشاركة في قتل التاجر الغني عمدًا.

والمشاركة تعبيرٌ غير دقيق؛ فقد لا يكون الشريك موجودًا أثناء ارتكاب الجريمة، ولكنه قد يساعد المجرم في ارتكابها، ويُستخدم في الإشارة إلى هذه المساعدة تعبير مركَّب هو aiding and abetting. ويفرِّق العلماء بين نوعَين من المشاركة: الأول هو قبل وقوع الجريمة، ويوصف المتهم به بأنه accessary before the fact. والثاني بعدها after the fact. ويجب أن نلاحظ في هذا السياق أن كلمة fact هنا تعني الواقعة أو الفعل من factum اللاتينية؛ فهي اسم المفعول (جماد) من الفعل facere؛ أي يعمل أو يفعل أو يصنع، والكلمة حية بهذا المعنى في كلمة factory أي المصنع. والكلمة في شتى معانيها تفيد الواقع الفعلي، والاسم المجرَّد منها هو facticity؛ أي الوقوع الفعلي. ولا بد للمترجم أن يذكر الفرق بينها وبين الحقيقة التي هي أقرب إلى الصدق truth؛ فالكلمة هنا أقرب إلى reality أو actuality، وإن كُنَّا أحيانًا ما نستخدمها بالإنجليزية لتمييز الواقع عن الخيال fact and fiction أو fact and fancy؛ ولذلك فعندما نتحدَّث عن الحقائق بهذا المعنى facts نقصد ما ينتمي إلى الواقع لا إلى الخيال، ومنها facts of life التي قد تعني «حقائق» التناسل أو حقائق الحياة المريرة!

وأمَّا كلمة accessory فتعني عند الإنجليز (والأمريكيين أيضًا) كل ما هو ثانوي أو غير جوهري، ونحن نُعرِّبها في مصر بكلمة إكسسوار الفرنسية الأصل؛ فللسيارة قطع غير لازمة لعملها، ولكنها إضافية مثل الأدوات الحديثة من قدَّاحة ومطفأة للسجائر وراديو ... إلخ، والمعنى هنا مشتقٌّ أيضًا من معنى تيسير الانتفاع الذي توحي به كلمة access.

(٤-٤) أمَّا آخر المشتقات من access فهي accession، التي قد تعني الوصول، ويتبعها الحرف to، أو الانضمام إلى هيئةٍ ما، فيمكنك أن تقول:

(15) Britain marks the Queen’s accession to the throne.

أي إن بريطانيا تحتفل بعيد جلوس الملكة على العرش.

أو «إن الجهود تُبذل للتغلُّب على العقبات التي تؤخِّر انضمام المملكة العربية السعودية إلى منظَّمة التجارة العالمية».

(16) Efforts are being made to iron out the difficulties delaying the accession of Saudi Arabia to the World Trade Organization.

أمَّا تفاصيل الانضمام فله حديثٌ آخر.

الباب الخامس:
action

الكلمة ليست جديدةً على دارسي اللغة الإنجليزية الذين لا بد أنهم صادفوها أول ما صادفوها في دراستهم للدراما، حين قيل لهم إن الدراما فعلٌ أو حدث، ولا بد أنهم سمعوا عن «وحدة الحدث» التي ذكر أرسطو أنها عنصرٌ أساسي من عناصر الدراما، وأنها تعني وقوع حدث واحد في المسرحية يمتَد من أولها إلى آخرها ويوحِّد بين أجزائها. أمَّا من قُدِّر له أن يشهد تصوير الأفلام السينمائية، فلا بد أنه سمع مساعد المخرج وهو يصيح في الممثلية «آكشن!» أي «إلى الحركة، فسوف تدور آلة التصوير الآن!» والفعل أو العمل أو الحدث أو الحركة كلها معانٍ متقاربة وإن كانت تحيِّر المترجم حقًّا.

(١-٥) ولْنبدأ بمعنى الأفعال في مقابل الأقوال، وهو التضاد القائم في المثل الشهير actions speak louder than words؛ أي إن صوت الأفعال أعلى من صوت الأقوال، وهو ما يقابل بالعربية «السيف أصدق أنباءً من الكتب»، وفي هذا المعنى نجد الصعوبات التي تعالجها الأمثلة التالية:

(1) The time has come for action.

(١) آن أوان الجد/حان وقت العمل الجاد.

والعمل هنا ليس work، بل هو اتخاذ موقف جاد أو حاسم؛ فالتعبير الإنجليزي يعني we must act now؛ أي علينا أن نتخذ الآن إجراءً حاسمًا، والفعل الشائع مع action هنا هو take، والمثال عليه:

(2) You cannot sit idly by when your brothers are fighting one another: you must take action.

(٢) لا يجوز أن تقف مكتوف الأيدي وإخوتك يتقاتلون، بل عليك أن تتدخَّل.

وهكذا فنحن نحوِّل المظلَّة الدلالية إلى كلمةٍ ذات دلالة محدَّدة، وقديمًا قال امرؤ القيس عبارةً هي الصورة الدقيقة للمثل الإنجليزي القديم:

(3) Today's libation will be tomorrow's action.

ألَا وهي «اليوم خمر وغدًا أمر»؛ فكلمة «أمر» تقابل الكلمة الإنجليزية تمامًا؛ فهي ذات مظلَّة دلالية قد تختلف بعض الشيء عن action، ولكنها تُغري بالمقابلة مع نظيرتها الإنجليزية في الدلالة. والتعبير الإنجليزي الشائع a man of action يعني رجل الأفعال لا الأقوال (ولا الأفكار!) ويتضح ممَّا قلناه حتى الآن أننا نميل إلى استخدام الجمع في العربية لا المفرد، وأننا نحوِّل لفظ الفعل إلى لفظٍ ذي معنًى أكثر تحديدًا. وهاك مثالًا آخر:

(4) Never mind his testimonials; judge him by his action.

(٤) لا تكترث بشهادات التزكية التي يحملها، بل احكم عليه من تصرُّفاته/سلوكه.

وبعض المنظَّمات غير الحكومية التي تضم الأعضاء المتطوِّعين لعمل الخير؛ مثل تقديم الغوث للفقراء أو اللاجئين أو ضحايا الحروب، ومثل كتابة الخطابات إلى المسئولين لصالح هؤلاء، أو مخاطبة رجال الحكومة بشأنهم ... إلخ. تسمَّى هذه الجهود action، وكان المترجمون العرب يحارون في العثور على كلمة تنقل هذا المعنى الذي تتسع مظلته الدلالية حتى تشمل كل إجراء/فعل/عمل يقوم به الأعضاء، وكانت الصيغة الأولى هي «الإجراءات»، استنادًا إلى الترجمة الشائعة لتعبير recommended actions الذي يأتي في ذيل التحليلات الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية، ويترجمه المتخصِّصون بعبارة «الإجراءات الموصى باتخاذها»؛ لأن التقارير التي تتضمَّن أمثال هذه التحليلات ترفع إلى كبار المسئولين ممَّن بيدهم اتخاذ الإجراءات، وكذلك استنادًا إلى الترجمة الشائعة عندنا لتعبير to act on [something]؛ أي يتخذ إجراءً بصدد شيء، أو بناءً على شيء:

(5) The ministerial committee submitted a report containing a number of recommendations but the minister never acted on any of them.

(٥) رفعت اللجنة الوزارية تقريرًا يتضمَّن عددًا من التوصيات إلى الوزير، ولكنه لم يتخذ أي إجراء بشأن أيٍّ منها (أي لم ينفِّذ أيًّا منها).

ولكن المشكلة في كلمة الإجراء/الإجراءات هي أن المصطلح يتسم بطابعٍ رسمي، ويَشيع في اللغة القانونية، وعادةً ما يقابل تعبير procedure(s)، والكلمة الأخرى التي تختلف بعض الشيء في دلالتها proceedings، ومن ثم فقد اقترح البعض ترجمة action بالتحرُّكات أو التحرُّك، وشاعت الأخيرة في لغة المنظَّمات غير الحكومية، وخصوصًا

منظَّمات حقوق الإنسان؛ فصورة التحرُّك لديها لا تزيد عن الكلام؛ أي عن الأقوال، والأقوال غير الأفعال!

(٥-٢) أمَّا المعنى الثاني للكلمة فهو يوحي بالعامل في مقابل العاطل، فإذا قال قائل:

(6) The Minister has ordered repairs to be made in the old factory so that it may be brought into action soon.

(٦) أمر الوزير بإجراء الإصلاحات اللازمة في المصنع القديم حتى يبدأ تشغيله في القريب العاجل.

(7) One rocket fired was enough to put the tank out of action.

(٧) لم يُطلَق سوى صاروخ واحد ولكنه كان كافيًا لإعطاب الدبابة (أي لإيقافها عن العمل).

(8) To put the commission into action, an executive order was required.

(٨) لم تستطِع اللجنة مزاولة نشاطها لأنها كانت تنتظر صدور القرار التنفيذي اللازم.

(9) The task force was set in action as soon as the aircraft landed in Pristina.

(٩) بدأ فريق المهمَّات عمله فور هبوط الطائرة في مدينة بريشتينا.

(10) The commander called his men into action when the enemy violated the ceasefire.

(١٠) دعا القائد رجاله إلى الهجوم عندما انتهك الأعداء وقف إطلاق النار.

والعبارتان الأخيرتان توحيان بالمعنى المتخصِّص الآخر لكلمة action وهو القتال، وأشهر التعبيرات المتخصِّصة هنا هي (١) killed in action؛ أي «قُتل وهو يحارب». و(٢) to go into action أن يشرع في القتال. و(٣) to break off the action أي يتوقَّف عن القتال. والقتال قد يكون بين الجيوش البرية أو غيرها.

(٥-٣) وعلى هامش هذه المعاني شاع تعبير action film؛ أي الفيلم السينمائي الذي يتضمَّن العنف والتقاتل والتصارع، ولم يتفق المتخصِّصون حتى الآن على ترجمةٍ معتمدة لهذا النوع من الأفلام؛ ولذلك فكثيرًا ما نسمع الكلمة الإنجليزية معرَّبة — كما هي بلفظها — أي «آكشن»، وما زال اقتراح «فيلم الحركة» يعاني من التردُّد في قَبوله.

(٤-٥) وأهم معنًى للكلمة التي لا تزال تتسبَّب في حيرة المترجمين هو المعنى القانوني، بمعنى الدعوى القضائية legal process.

(11) The landlord brought an action against the tenant who turned his ground floor flat into a supermarket.

(١١) رفع مالك العقار قضيةً على الساكن الذي حوَّل شقته التي تقع في الطابق الأرضي إلى سوبر ماركت.

ولا ترجع أهمية المعنى إلى شيوعه، بل إلى عدم شيوعه! فالشائع هو كلمة lawsuit، وأحيانًا ما يقال case أو court case، ولكن معرفة هذا المعنى تُيسِّر التغلُّب على الصعوبة القائمة في الصفة actionable، التي حيَّرت أحد المترجمين في نصٍّ تولَّيت مراجعته؛ فمعنى الكلمة هو توافر الأسس القانونية التي تبرِّر رفع الدعوى القضائية، وهو معنًى ليس يسيرًا كما ترى، وترجمته عويصة، مثال:

(12) Accessibility to cheap feedstock in the petrochemical industry, particularly in the oil-rich countries, may be regarded as actionable subsidy according to the World Trade Organization regulations.

وهذه هي الترجمة التي تستفيد ممَّا سبق القول فيه عن الكلمة الأولى:

(١٢) إن انتفاع الصناعة البتروكيماوية، خصوصًا في البلدان الغنية بالنفط، بهذه المادة الأولية الرخيصة، قد يُعتبر من قبيل الدعم الذي يخالف لوائح منظمة التجارة العالمية، ومن ثم يجوز رفع الدعوى القضائية ضده.

لقد تحوَّلت الصفة actionable هنا إلى جملةٍ كاملة (الكلمات الخمس الأخيرة)، فهل يُعتبر ذلك من باب الإسهاب؟ قد يدهش القارئ إذا اكتشف أن عدد كلمات العبارة العربية لا يزيد إلا ثلاث كلمات عن عدد الأصل الإنجليزي، رغم إضافة «بهذه» و«من قبيل»، وهي التي أُضيفت لإيضاح ما يضمره النص الإنجليزي من أن المادة الأولية الرخيصة هي النفط، وكان يمكن حذف «من قبيل» والاستعاضة عنها بتحويل العبارة إلى «قد يعتبر دعمًا»، ولكن الإيضاح يقتضي ذلك، وعلى المترجم ألَّا يخشى زيادة عدد الكلمات، فالوضوح لا يقدَّر بثمن! وهاك مثالًا آخر:

(13) We are warned not to resort to any direct actionable interference with the GATT 1994 trading system, for the consequences may be grave for our own trade. (27 words).

(١٣) علينا أن نتحاشى أي إخلال مباشر بالنظام التجاري الذي وضعَته اتفاقية الجات لعام ١٩٩٤م؛ فقد يعرِّضنا ذلك لرفع الدعوى القضائية ضدنا، ممَّا قد تكون له عواقبه الوخيمة على تجارتنا ذاتها (٣٠ كلمة).

زادت الكلمات العربية كلمتَين أو ثلاثًا، وازداد المعنى وضوعًا بما يساوي عشرات الكلمات، أمَّا العبارات التي أُضيفت عمدًا إلى النص فهي «الذي وضعته» بدلًا من لام الإضافة «أو لام المترجم»؛ فالنص الإنجليزي يتبع ما يُسمَّى باستخدام الأسماء صفات، وهذا شائعٌ ومعروف ويؤدِّي إلى ضغط العبارة الإنجليزية، ولكن النص العربي لا يعرف هذا إلا في حالاتٍ نادرة (مثل اللغة الأم mother tongue/language)، والقاعدة هي تحويل الاسم إمَّا إلى صفةٍ أو إضافة أحد الاسمَين إلى الآخر، أو تحويل الصفة المضمرة إلى شبه جملةٍ أو جملة مفيدة، وعادةً ما تتكوَّن من اسمٍ موصول وجملة صلة. وهذا الأخير هو ما فعلناه هنا، وإضافة «اتفاقية» إلى الجات لازمة لإيضاح معنى الجات «الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة»، ولام الإضافة الملحقة بكلمة عام «لعام ١٩٩٤م» شائعة في العربية المعاصرة، وآخر الكلمات المضافة هي «يعرِّضنا ذلك»، وهي تمثِّل جزءًا لا يتجزَّأ من المعنى المضمر في actionable.

(٥-٥) ومن المعاني المستحدثة لكلمة action استخدامها صفةً لنوعٍ من التصوير الزيتي الذي تُلقى فيه الألوان السائلة أو غليظة القوم إلقاءً على اللوحة، إمَّا على شكل نقاطٍ وقطرات، أو على شكل مساحات، وهو تصويرٌ تجريدي؛ أي لا يحاكي الطبيعة ولا يصوِّر أي شيء له ملامح، ولكنه نوعٌ من الفنون التعبيرية التي توحي بالجرأة والقوة والسيولة، والمعجم الأمريكي يُفرد لهذا النوع بابًا action painting، وفي ظني أن العربية لم تعرف له مقابلًا حتى الآن، ولعلك إذا شاهدت لوحةً من هذا الضرب تخيَّلت أنك تشهد الرسام أثناء عمله، وقد يكون لنا أن نقترح ترجمتها بالتصوير بالبقع اللونية أو التصوير بسكب الألوان.

(٦-٥) ويشيع استعمال action في العامية الأمريكية للدلالة على أي نشاطٍ مثير، وخصوصًا لعب المَيسر، ولا بد أن القارئ سمعها في المسلسلات التليفزيونية والأفلام الأمريكية الحديثة، وهذا معنًى عسير آخر من معاني الكلمة؛ إذ قد يستعصي استنباطه من السياق:

(14) The casino was full of upstarts wanting action, but the manager had decided to call it a day.

(١٤) كان نادي القمار غاصًّا بمُحدِّثي النعمة الذين يريدون الإثارة (اللعب)، ولكن المدير كان قد قرَّر إنهاء اللعب (إغلاق أبواب النادي).

فالسياق هنا يؤكِّد المعنى المضمر في الإثارة، وقد يستعيض المترجم عن هذه الكلمة بالإشارة المباشرة إلى اللعب، ولكن السياق واضح ويسمح بعدم الإفصاح عن الدلالة الصريحة. وقد أغفلت عمدًا معنى action الشائع في الإشارة إلى الأدوية، وهو «مفعولها»؛ لأن المعاجم المترجمة تتناوله تفصيلًا.

الباب السادس:
advise/advice

ترجع صعوبة هذه الكلمة إلى ارتباطها في أذهان النشء بالنصيحة؛ فالفعل «ينصح» مربوطٌ إليها في أذهانهم منذ الصغر، وهو يوقعهم في خطأ إضافة حرف s عند مقابلتها بالنصائح، وهي لا تجمع لفظًا بهذا المعنى، فإذا جمعت كان لها معنًى آخر وهو الأنباء، وهذا ما سنعرض له فيما بعد. فاكتساب كلمة جديدة من خلال الترجمة هو السبب في هذا، وهو السبب أيضًا في عدم لجوء المترجم إلى المعجم لإدراك ما قد يكون لها من معانٍ أخرى، اكتفاءً بالمعنى الذي رسخ في ذهنه.

(١-٦) أمَّا جمع هذه الكلمة بهذا المعنى فيكون مثلًا words of advice كقولك «أسديت إليه بعض النصائح».

(1) I gave him a few words of advice.

ولكن الشائع أن تستعمل الكلمة مفردة a bit of advice أو a piece of advice؛ لأن النُّصح هو المعنى الراسخ فيها لا النصائح، أمَّا إذا كان المترجم يريد نقل معنى الإرشادات (وهي أيضًا نصائح)، فله أن يستخدم كلمات أخرى مثل guidelines أو instructions (التي تترجم بالتعليمات أيضًا)، ويكفي مثال أو مثالان على ذلك:

(2) You won't get well unless you follow your doctor's advice.

(٢) لن تُشفى من مرضك إلا إذا اتبعت إرشادات الطبيب.

(3) If you take my advice and study hard, you'll pass the examination.

(٣) إذا استمعت لنصحي واجتهدت في الدرس فسوف تنجح في الامتحان.

(٢-٦) ولكن معنى المشورة والاستشارة أكثر أهميةً لنا في هذا السياق؛ فهو كثيرًا ما يغيب عن ذهن المبتدئ؛ فالنصح مشورة، وحبذا لو تَذكَّر المترجم أن adviser تعني المستشار:

(4) Most presidents today have specialized advisers who play a major role in policy-making.

(٤) يستعين معظم الرؤساء في هذه الأيام بمستشارين متخصِّصين ينهضون بدورٍ رئيسي في رسم السياسات العامة.

(5) Presidential advisers may not take part in decision-making but they make the taking of right decisions possible.

(٥) قد لا يشارك مستشارو رئيس الجمهورية في اتخاذ القرارات، ولكن عملهم يساعد على اتخاذ القرارات المناسبة.

والملاحظ أن كلمة right تُرجمت بكلمة «مناسب» لا «صائب»، وهما يحملان معاني متقاربة، وقد يكون من المفيد أن يذكر المبتدئ أن تعبير «الرجل المناسب في المكان المناسب» هو ترجمة شائعة لتعبير The right man in the right position، وقد تقول الفتاة التي تتردَّد في اختيار شريك حياتها إنها تنتظر الرجل المناسب !I'm waiting for Mr. Right، وقد يُنكر أحدهم أنه وصل إلى ما وصل إليه بالجِد والاجتهاد، من باب التواضع، فيقول «المصادفة وحدها هي السبب!» ولكنه يقول ذلك بالتعبير الإنجليزي الاصطلاحي وهو:

I was at the right place at the right time!

فإذا قرَن الإنسان هذه الصفة بالمشورة اختلف الحال:

(6) The right advice is not to seek advice or give advice: people will listen then do exactly what they want.

(٦) إن أفضل النصح هو عدم طلب النصح أو تقديمه؛ فالناس قد تصغي إليه ثم لا تفعل إلا ما تريده!

وقد تختفي كلمة النصح تمامًا من العبارة:

(أ-٦) عليك بألَّا تطلب المشورة وألَّا تقدِّمها لأحد؛ إذ يصغي الإنسان إليها ثم يفعل ما يشاء!

(ب-٦) لا تطلب رأي أحد ولا تُشر على أحدٍ برأي؛ فالناس تسمع ولا تفعل إلا ما تريد!

(جـ-٦) الرأي ألَّا تطلب الرأي أو تبديه؛ فلا أحد يعيه!

وسوف يكتمل إدراك معنى الرأي أو المشورة لدى المبتدئ، إذا عرف معنى التعبيرَين الاصطلاحيَّين ill-advised وwell-advised، حيث المقابلة بين الفعل القائم على رأيٍ فاسد والفعل القائم على الحكمة. والأمثلة كفيلة بإيضاح ذلك:

(7) It was an ill-advised business venture form the word go, as the board had miscalculated the effect of the weakening markets.

(٧) كان المشروع التجاري قائمًا على سوء التدبير منذ البداية؛ إذ أخطأ مجلس الإدارة في حساب الآثار المترتِّبة على ضعف «القوة الشرائية في» السوق.

(8) The wait-and-see policy of the government proved to be well-advised: the subsequent changes in the situation showed that any action then would have been disastrous.

(٨) اتضحت الحكمة من سياسة التريُّث التي اتبعتها الحكومة؛ إذ أثبتت التطوُّرات اللاحقة أن أي خطوة آنذاك كانت ستُفضي إلى كارثة.

وسيُلاحظ القارئ أنني أتعمَّد أن أبتعد عن المعاني الحرفية للمفردات؛ فموضوعنا هو إدراك المعنى الذي تحمله العبارة كلها لا مفردات بعينها، وعبارة «سوء التدبير» في الجملة الأولى قد تتضمَّن سوء التفكير وسوء المشورة معًا، والحكمة في العبارة الثانية قد تتضمَّن «حسن الفِطَن» (على حد تعبير الإمام الشافعي)، أو صحة المشورة بمعنى صواب ما أشار به الخبراء على الحكومة.

ولكننا قد نستعمل advisedly (أو advised) وحدها صفةً للرأي القائم على إنعام النظر وحسن التدبير، وهو المعنى القديم للكلمة الإنجليزية، وقد نستعملها صفةً للرأي القائم على الوعي بأبعاد المشكلة كلها؛ ممَّا يفيد العمل واليقظة الكاملة، وهاك مثالًا أو اثنَين:

(9) Her advised reply was negative, for she had to reject a task requiring such insensitivity to human suffering.

(٩) قالت إنها قد انتهت بعد التروي إلى الرفض، وإنها لا تستطيع قَبول عمل يتضمَّن مثل تلك اللامبالاة بالمعاناة البشرية.

(10) He said he admired her tough moral fibre and that he used the word "tough" advisedly as she repeatedly proved her resilience and solidity of character.

(١٠) قال إنه معجبٌ بمتانة نسيجها النفسي، وإنه يستخدم كلمة «المتانة» عامدًا؛ لأنها أثبتت مرارًا وتكرارًا أنها صلبة العود قوية الشخصية.

ونحن نستخدم كلمة considered في الإنجليزية الحديثة مرادفةً لكلمة advised وكلمة deliberately، بالتوازي مع advisedly؛ فهما حديثتان، وكل منهما يتضمَّن الفكر والتروي والعمد. أمَّا الصفة advisable فتعني المستحسن أو المستحب؛ أي «من سديد الرأي».

(٦-٣) أمَّا كلمة advise بمعنى يبلغ أو يخبر (أو يُخْطر)، فهي تأتي بالاسم advice الذي يُجمع، بل وعادةً ما يُستخدم بصيغة الجمع في الإشارة إلى الأنباء (في التجارة) أو التقارير (في الحياة الدبلوماسية)، والاستخدام الشائع للفعل تِجاريٌّ أيضًا:

(11) Please advise us when the goods are dispatched.

(– advise us of the dispatch of the goods).

(١١) نرجو إخطارنا بإرسال البضائع/عند إرسال البضائع.

والمثال على ذلك الاستخدام للاسم هو:

(12) According to advices from our Tokyo branch, changes have been made in the specifications of the goods to suit the Japanese market.

(١٢) تقول الأنباء الواردة من فرع الشركة في طوكيو إن مواصفات البضائع قد تغيَّرت حتى تلائم السوق اليابانية.

(13) Diplomatic advices imply a need for contacts to be made with the leaders of the dissident faction.

(١٣) تفيد التقارير الدبلوماسية ضرورة الاتصال بقادة الفصيلة المنشقة.

والمثال (١٢) بريطاني المنشأ، و(١٣) أمريكي الطابع!

(٦-٤) وقد اختلفت اللغة الأمريكية أيضًا فاشتقَّت كلمةً جديدة من الفعل هي advisement، وهي اسم مستحدث للبحث والتقصي أو إنعام النظر. وكانت المعاجم التي رصدتها أول الأمر تظنها تعني التشاور أو المشورة وما إليهما، ولكن المعاجم الأمريكية الحديثة تؤكِّد أنها لا تعني إلا ما ذكرناه، وقد وردت نماذج لها في بعض الكتابات الحديثة تؤكِّد هذا المعنى، وتُستخدم في التعبير التالي:

to take under advisement.

أي يولي الموضوع عنايته، أو ينظر فيه ويتولَّاه بالفحص، وهو استعمالٌ غير معروف خارج أمريكا، وقد قرأت العبارة التالية في صحيفةٍ أمريكية حديثة (فبراير ١٩٩٩م).

(14) Several proposals have been submitted regarding the reactivation of ACTION but none has been taken under advisement by the Secretary [of State].

(١٤) رفعت عدة اقتراحات بشأن إحياء الهيئة الفيدرالية المُختصَّة بتنظيم الأنشطة التطوُّعية، ولكن وزيرة «الخارجية» لم تنظر في أيٍّ منها حتى الآن.

وقد احتفظت بقُصاصة الصحيفة أولًا بسبب التعبير الجديد، وثانيًا حتى أعرف معنى الاسم المختصر ACTION؛ فهو لا يمثِّل الحروف الأولى من تعبيرٍ إنجليزي، بل هو acronym للهيئة (agency) الحكومية التابعة للإدارة (الحكومة) الأمريكية. وقد علمت أنها أُنشئت عام ١٩٧١م للإشراف على فَيلق السلام Peace Corps، ومنظَّمة VISTA وهي اختصار لعبارة «المتطوِّعون في خدمة أمريكا» Volunteers in Service to America وغيرها.

الباب السابع:
agreement

هذه كلمة من أصعب الكلمات في الترجمة، لا بسبب تعدُّد معانيها فحسب، بل بسبب عدم «الاتفاق» على الكلمات العربية التي تنقل هذه المعاني؛ لأنها في معظمها حديثة النشأة حتى في اللغات الأوربية.

(١-٧) أمَّا المعنى الأول الذي ألمحت إليه في العبارة السابقة، وهو الاتفاق على شيءٍ ما، وهو المعنى الذي يجعل الكلمة من المجرَّدات التي لا تُجمع، فهو يسير، والأمثلة التالية تؤكِّده:

(1) We are in agreement on that point.

= I agree with you …

(١) نحن متفقون (متفقان) على هذه المسألة (النقطة؟)

(2) I'm quite in agreement with what you say.

(٢) إنني أوافق تمامًا على ما تقول.

(3) There is no agreement upon/about what should be done.

(٣) لا تتفق الآراء حول ما ينبغي القيام به.

(أ-٣) اختلفت الآراء حول ما يجب علينا أن نفعله.

(ب-٣) لم نتفق على الخطوة الواجب اتخاذها.

(جـ-٣) لا اتفاق على ما ينبغي فعله.

وتدل الفروق بين هذه الصور على مدى التفسير المسموح به للمترجم عند تناول نص صريح لا «خلاف» عليه، وهنا لا بد من مناقشة الفرق بين التعبير الإيجابي الصريح

والتعبير بنفي النفي، وهو ما تتميَّز به الإنجليزية، ونجده أيضًا في العربية ولو بصورةٍ أخرى.

(٢-٧) تلجأ الإنجليزية في وضع الكلمات إلى إضافة سوابق ولواحق؛ أي مقاطع ذات معانٍ معروفة تلتصق بالكلمة وتصبح جزءًا لا يتجزَّأ منها، وتؤدِّي إلى تغيير معناها؛ فالاسم الذي نحن بصدده ونتفق على أنه يعني «الاتفاق» مشتقٌّ من (agree) بإضافة لاحقة هي (-ment)، وعكس معناها أي «الخلاف» (disagreement) اسمٌ مشتق من الفعل الذي تحوَّل إلى المعنى العكسي بإضافة سابقة هي (-dis)، ولكن العربية لا تفعل ذلك، بل تحوِّل الصيغة أو البِنية الصرفية للكلمة paradigm، فتُخرج لنا «اتفاق» من «وفق»، مثلما تُخرج لنا «اتحاد» و«توحيد» من «وحد»، و«اتقاء» و«تقوى» من «وقى». وإذا كان المبحث الصرفي لا يعنينا إلا في حدود مساعدته المترجمَ في الكشف عن الكلمة في أصلها أي «مادتها» المفترضة في المعجم، فإنه يُفيدنا في إدراج المعاني التي تكتسبها هذه الكلمات المشتقة، والتي يجب على المترجِم أن يُلم بها؛ فكلمة اختلاف المقابلة للإنجليزية disagreement تختلف عن الكلمة ذات المعنى الإيجابي في أنها قد تعني «الخلاف» أيضًا، وهو ما يمكن تفسيره عندما يجمع بالمنازعات أو المشاحنات؛ أي إن disagreement قد تعني المعنى المجرَّد الذي لا يُجمع، ولنقل إنه يوازي «الافتراق» بالعربية، مثلما تعني agreement معنًى مجرَّدًا لا يُجمع، ولنقل إنه يوازي «التلاقي» بالعربية؛ فالمعاني المجرَّدة لا تُجمع لأنها لا تشير إلى أشياءَ يمكن تصوُّر تعدُّدها، أمَّا المعاني المجسَّدة أو المحدَّدة فتُجمع بالإنجليزية بسهولة. ومن ثم فإن جمع عكس الكلمة يحيلها ضمنًا من معنًى مجرَّد إلى معنًى مجسَّد أو محدَّد؛ ولذلك فنحن حين نسمع عن disagreements نميل إلى تصوُّر وجود نقاط خلاف محدَّدة، وحين نسمع عن agreements نُدرك فورًا أن المقصود ليس التلاقي في الرأي بل «الاتفاقيات»، وهي العقود المبرمة بين طرفَين أو أطرافٍ معيَّنة محدَّدة، ومن الطبيعي أن جمع الكلمة السالبة disagreements لا يعني مطلقًا عكس جمع الكلمة المجسَّدة الموجبة. ونلخِّص ذلك فيما يلي:

---

disagree	هي عكس agree
disagreement	قد تعني عكس agreement المجرَّدة، أو معنًى جديدًا يقبل الجمع، ويختلف عن معنى جمع الكلمة الموجبة الذي يُشير إلى معاهداتٍ ومواثيق محدَّدة

وسوف توضِّح الأمثلة ذلك:

(4) There was no disagreement at the council meeting on the need to enlarge the library.

(٤) لم ينشأ أي خلاف في اجتماع المجلس حول ضرورة توسيع المكتبة.

(5) All the disagreements regarding the implementation of the plan were settled except for the question of funding.

(٥) تمكَّن «المجتمِعون» من تسوية جميع نقاط الخلاف الخاصة بتنفيذ الخطة باستثناء مسألة التمويل.

(6) There was agreement on the principle of transparency.

(٦) اتُّفِق على مبدأ الشفافية.

(7) The Uruguay Round Agreements, subsumed in the 1994 GATT and the WTO Agreement, have never been translated into all the working languages of the contracting parties.

(٧) لم تُترجَم حتى الآن اتفاقيات جولة أوروغواي، التابعة لاتفاقية الجات لعام ١٩٩٤م واتفاقية مُنظَّمة التجارة العالمية، إلى جميع لغات العمل للأطراف المتعاقدة.

ومعنى هذا أن للمترجم أن يستعيض بالفعل agree عن الاسم agreement إن كان يعني المعنى المجرَّد الذي لا يُجمع (تلاقي الآراء)، ولكنه لا بد أن يستعمل الاسم (اتفاقية) عند ترجمة الكلمة، إذا كانت تشير إلى المعنى المجسَّد المحدَّد. ويترجمها البعض بالاتفاق لا الاتفاقية، قائلين إننا في حاجةٍ إلى كلمةٍ جديدة، وإن كل اتفاقية تعني الاتفاق على بعض الأشياء، ولكن القضية هنا قضية اصطلاحية في المقام الأول، وما دامت اتفاقيات منظَّمة التجارة العالمية تنطبق عليها كل شروط الاتفاقيات الدولية، فلا معنى لتسميتها بالاتفاق وحسب، فما هي تلك الشروط؟

(٧-٣) نسمع أحيانًا كلمة accord(s) في سياق الاتفاقيات الدولية؛ إذ يُطلق رجال السياسة على اتفاقيات كامب ديفيد تعبير Camp David Accords، ونادرًا ما يشيرون إليها باسم agreements، كما يشير الجميع إلى اتفاقيات جنيف باسم The Geneva Conventions، ولم نسمع أبدًا أنها agreements، كما يشير الخبراء إلى جميع هذه الاتفاقيات بلفظ treaty الذي جرى العرف على ترجمته بالمعاهدة. وقد يتضمَّن معناها ما يُسمَّى بالعهد الدولي International Covenant، أو البروتوكول الملحق باتفاقيةٍ ما، فما الفرق بين هذه وتلك؟

الشرط الأساسي الذي يميِّز الاتفاقية الرسمية هو اتخاذها شكل العقد contract/compact المبرم بين طرفَين أو عدة أطراف، ولا بد أن يتضمَّن العقد التزاماتٍ من الأطراف الموقِّعة عليه commitments تتضمَّن حقوقًا rights وواجبات لا مناص منها obligations (وتُترجم أحيانًا بالالتزامات أيضًا)، كما قد يتضمَّن العقد شروطًا جزائية penal clauses في حالة عدم الوفاء بالالتزامات الفردية أو الإخلال به فيما يتعلَّق بحقوق الموقِّعين signatories أو أطرافٍ أخرى غير موقِّعة يشار إليها بتعبير «الغير» third party rights، ويكون لأطراف العقد حق فسخه في العادة حتى دون موافقة الأطراف الأخرى فيه إذا نشأت ظروف تبرِّر ذلك، وهو ما يُنَص عليه عادةً في صلب العقد؛ أي في البنود العاملة فيه operative clauses التي تترجم عادةً بالمنطوق، تفريقًا لها عن الديباجة preamble. واتفاقيات منظَّمة التجارة العالمية التي توصَّلت الأطراف الموقِّعة عليها بعد مفاوضاتٍ طويلة lengthy negotiations تنطبق عليها شروط هذا التعاقد الرسمي، وهي ملزِمة قانونًا؛ أي legally binding، وقد تُعتبر من عقود الإذعان contract in set form؛ أي التي إمَّا أن تُقبل كما هي دون تعديل، أو تُرفض دون تعديل. وتُعتبر هذه الاتفاقيات فريدةً في تاريخ القانون الدولي؛ لأنها جعلت القانون الدولي يقترب من القانون العام public law والقانون المدني civil law في إمكان فرض العقوبات sanctions، ولو أنها في الغالب اقتصادية.

وتختلف هذه الاتفاقيات عن اتفاقيات السلام المشار إليها accords مثلًا في هذه المسألة على وجه التحديد؛ إذ لا توجد نصوص على عقاب مَن يتخلَّف عن الوفاء بالالتزامات الواردة فيها، وتختلف عن اتفاقيات جنيف مثلًا، أو الاتفاقيات الدولية الكثيرة (حول حقوق الطفل أو حقوق المرأة … إلخ)، في غياب قوة الإلزام المدعومة بسلطة العقوبة، ولو أن مُنظَّمة حلف شمال الأطلسي، التي يشار إليها اختصارًا باسم الناتو — وهو اختصار لعبارة North Atlantic Treaty Organization — قد اضطلعت مؤخَّرًا بدور القاضي والجَلَّاد في أزمة كوسوفو، فاستحدثت قوة عقاب لم يألفها العالم من قبل، كما تختلف اتفاقيات الجات ١٩٩٤م ومنظَّمة التجارة العالمية عن العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية مثلًا The International Covenant for Civil and Political Rights (ICCPR) في أنها ملزمة بقوة العقوبات التجارية.

ويبدأ الانضمام (accession) إلى إحدى الاتفاقيات بتوقيعها signing، إمَّا بالحروف الأولى initialling أو بالاسم الكامل، ثم يتلو ذلك المصادقة عليها ratification من جانب

الهيئة التشريعية في البلد، وذلك حتى تُدرج الموافقة عليها في نصوص قوانين البلد، وذلك يختلف عن الانضمام إلى المعاهدات أو العهود أو الاتفاقيات الدولية القديمة فيما أسميناه بطابع عقد الإذعان؛ فبعض الدول قد انضمَّت إلى العهد الدولي المذكور بشرط التحلُّل أو التنصُّل derogation من بعض بنوده؛ أي عدم التقيُّد بها أو الالتزام بتنفيذها، مثل فقرة Paragraph في إحدى المواد article قد تراها ماسةً بسيادتها prejudicial to its sovereignty، أو بعقيدتها الدينية وما إلى ذلك، وقد تقبله مع إبداء التحفُّظ reservations إزاء بند item أو بندَين، ممَّا قد يتعارض مع قوانينها الوطنية أو أنظمتها. ويكفي ختامًا لهذا العرض الموجز أن نذكر أن عقد الإيجار في بريطانيا يُسمَّى rent agreement، والتعريف الرسمي للاتفاقية إذن يتخطَّى مجرَّد «الاتفاق» ليكتسب طابع التعاقد القانوني.

(٤-٧) القاعدة إذن هو أن agreements (في الجمع) تعني الاتفاقيات محليةً كانت أم دولية، وأمَّا الكلمة المفردة فقد تنصرف إلى الاتفاق دون الاتفاقية، وإذا كان من المسموح به في بداية وضع المصطلحات العربية أن نخلط بينهما، فلم يعد ذلك مقبولًا في عصر التخصُّص الدقيق. وأنا من أشد المعجبين بجهود أساتذتنا من أبناء الجيل الماضي الذين ابتدعوا هذه الكلمة (مصدر صناعي)، ولا أرى ما يدعو إلى الاستعاضة عنها باتفاقات بسبب تحذلق مَن يكرهون المصدر الصناعي من الأساتذة، وسواء استُخدمت كلمة اتفاق أو اتفاقية فيجب كما قلت ألَّا يغيب عن أذهاننا ما أوضحتُه من فروق.

الباب الثامن:
association

(٨-١) الفعل associate معناه يربط أو يقرن، وهذا هو المعنى الكامن في جميع معاني الاسم المشتق منه؛ أي كلمة association التي قد تعني عملية الربط أو الاقتران، وهو المعنى الموجود في تعبير association of ideas، والذي يُترجَم عادةً بتداعي المعاني أو الأفكار؛ أي إن الفكرة التي تخطر على الذهن تدعو فكرةً ترتبط بها برباط التشابه أو حتى برباط التضاد، وهذه هي الحجة التي يُقيمها الدكتور إبراهيم السامرائي تفسيرًا لوجود الأضداد في اللغة العربية؛ أي الكلمة التي تعني الشيء وضده، فهو يقول في تفسير ذلك إن الضد قد يكون أول ما يستدعيه لفظٌ من الألفاظ، ومن هنا جاء الخلط بين المعنيَين ونسبتهما معًا إلى اللفظ الواحد. ويُعتبر أسلوب التداعي الحر؛ أي free association من الأساليب المتبعة في التحليل النفسي؛ أي محاولة تشخيص العلة النفسية، بمحاولة الوصول إلى المعاني الكامنة في اللاشعور، وهو الأسلوب الذي استخدمه كارل جوستاف يونج C. G. Jung أول الأمر في الثلاثينيات، ثم أصبح معتمَدًا من بعده؛ إذ اكتشف أن مَن يعاني من مرضٍ نفسي قد ترتبط بعض الأفكار في ذهنه، استنادًا إلى غير الأسس التي تحدِّد روابطها لدى السوَي normal؛ فكلمة النار قد ترتبط في ذهن السوَي بالموقد أو حتى بالماء، لكنها إذا ارتبطت في الذهن على مستوى اللاوعي بـ «النحو»، فقد تدل على تجرِبةٍ دفينة في العقل الباطن كان المريض فيها يتعرَّض فيها للتعذيب بالنار (بالكي مثلًا) إذا أخطأ في النحو! وعلماء النفس المُحدَثون يميلون إلى رفض التحليل النفسي برُمَّته، ويرفضون كلمة العقل الباطن القديمة subconscious وكلمة اللاشعور unconscious، مؤكِّدين أن المعنى هو اللاوعي، ولكن البعض ما زال يؤمن بأسلوب التداعي.

وكان مبدأ التداعي أيضًا من المبادئ النفسية القديمة التي نادى بها في القرن الثامن عشر فيلسوفٌ يُدعى هارتلي، وكان له تأثيرٌ في الشاعر الأشهر وليم وردزورث، وهما يقولان بما قال به ابن خلدون في القرن الرابع عشر من ارتباط ما يراه الإنسان بأفكارٍ مُعيَّنة، وأن الارتباط هو مبدأ استدعاء الأشياء والأفكار بعضها للبعض. والاستعمال المجرَّد للكلمة؛ أي الذي لا يقبل صيغة الجمع، لا يزيد على ذلك المعنى.

(٨-٢) أمَّا الاسم الذي يقبل الجمع فهو يعني أي مجموعة من الناس يرتبطون بغايات مشتركة أو اهتمامات متقاربة، ممَّا يمكن أن نطلق عليه اسم «الرابطة» أو «الجمعية»؛ أي League, Society، ومن أشهرها رابطة أو اتحاد «مُلَّاك» السيارات في بريطانيا Automobile Association واختصارها AA ونظيرتها في أمريكا بإضافة عبارة (AAA) of America. وهذه رابطةٌ تعتمد على الاشتراكات — subscriptions — وهي مساهماتٌ مالية يدفعها الأعضاء مرةً في السنة مقابل خدمات النجدة والغوث في حالة تعطُّل السيارة أو عند وقوع حادثة. ومن أشهرها أيضًا Young Men's Christian Association وهي جمعية الشبان المسيحية العالمية التي شاع مختصرها YMCA، ونظيرتها للنساء هي YWCA، وهي منظَّمةٌ خيرية تقدِّم خدماتها للشباب من الجنسَين من كل بلد، وتختلف أمثال هذه المنظَّمات عن الجمعيات العلمية learned societies والنقابات العمالية والمهنية trade unions، في عدم اشتراط التخصُّص في مهنةٍ أو عمل، بل الاكتفاء بالغاية؛ فاتحاد السيارات مفتوحٌ أمام كل مالك سيارة، ومنظَّمة الشباب لا تشترط إلا الشباب، والواضح من هذا كله أننا لم نتفق بعدُ على ترجمةٍ ثابتة للكلمة.

(٨-٣) أكثر الترجمات شيوعًا هو «اتحاد»، والأمثلة عليه قيام بعض الهيئات التي تمارس نشاطًا واحدًا في بلدٍ واحد أو بلدان كثيرة بتكوين هيكل يربط بينها ويخدم مصالحها؛ أي إن المعنى الحديث للكلمة يكاد يقتصر على الهيئات دون الأفراد، وإن كان كثيرًا ما يضم الأفراد؛ فلدينا في مجال الأرصاد الجوية اتحادات إقليمية regional associations تضم المصالح الحكومية للأرصاد الجوية في الأقاليم الجغرافية الخمسة للعالم، والمتخصِّصون يفضِّلون قصر تعبير الإقليم region على الإقليم الجغرافي، وإن كان الصحفيون يستخدمون الكلمة مرادفةً لكلمة «منطقة» zone أو area، وهو استخدامٌ فضفاض. والاتحاد الإقليمي يضم المصالح الحكومية دون سواها، ويعقد اجتماعاتٍ دوريةً في عاصمة كل بلدٍ من بلدان الإقليم، وله هيكله التنظيمي بطبيعة الحال، ولكنه ليس محكمًا أو ثابتًا، فهو اتحادٌ أقرب إلى التجمُّع منه إلى المنظمة الرسمية.

وممَّا يُعيننا على إدراك معنى الاتحاد هنا التعبير الذي يُطلَق على لعبة كرة القدم الإنجليزية، وهي التي نمارسها في مصر وفي البلاد العربية وغيرها، ألَا وهو association football واختصارها soccer، وهو الاختصار المشتق من الكلمة اللاتينية الأصلية socius، بمعنى صاحب أو رفيق أو زميل، وتُنطق سوكيوس، والتي أضيفت إليها السابقة ad فأخرجت لنا associate، وتختلف هذه اللعبة عن غيرها من لعبات كرة القدم مثل الرجبي rugby وكرة القدم الأمريكية American football في أشياءَ كثيرة، ولكن المهم أن نعرف أن association هنا تعمل عمل الصفة؛ أي إنها تصف كرة القدم المألوفة لدينا بنسبتها إلى أول اتحاد ينشأ لكرة القدم في العالم، وهو الاتحاد الذي أُنشئ في إنجلترا عام ١٨٦٣م ليضع قواعد اللعبة، وكان اسمه Football Association، ثم أُخذت منه الكلمة وأُطلقت على اللعبة تمييزًا لها عن غيرها، ولا يزال الاسم قائمًا في الاتحاد الدولي لكرة القدم FIFA، وهو اختصارٌ شائع للتعبير الفرنسي الذي يعكس اسم اللعبة (Fédération Internationale de Football Association).

وأمَّا كلمة رابطة التي أحيانًا ما تظهر في الترجمة موازيةً لكلمة league فهي أقل شيوعًا، والغريب أننا ترجمنا جامعة الدول العربية إلى League of Arab States، وترجمنا League of Nations التي سبقت الأمم المتحدة إلى عُصبة الأمم! والأغرب أن يُستخدم تعبير The League في إنجلترا للإشارة إلى مسابقة الدوري العام لكرة القدم، بمعنى أن أندية كرة القدم ترتبط في مسابقةٍ دورية تقام كل عام، ويفوز فيها أحد الأندية إذا جمع أكبر قدر من النقاط. والمعنى الكامن هو أن جميع الأندية يلاعب بعضها بعضًا، وتنقسم الأندية إلى الدوري الممتاز First Division، ومن بعده التقسيمات الأخرى المعهودة في مصر والعالم العربي. وهكذا فإن the league champion هو النادي الذي يفوز ببطولة الدوري!

(٨-٤) أكثر الترجمات شيوعًا كما قلنا هو «اتحاد»، فاتحاد كرة السلة الأمريكي هو National Basketball Association (NBA)، والغريب أن الكلمة غير مدرجة في المغني الأكبر؛ فهو يقصر ترجمات الاسم على «مشاركة/شرك (بالله)/صلة/خلطة/معشر/جمعية»، ولا يصلح أيٌّ منها للمعنى الشائع للكلمة، باستثناء الأخيرة التي نترجم إليها بعض أنواع المؤسَّسات التي تُعتبر فعلًا جمعيات، مثل جمعية اللغات الحديثة في أمريكا Modern Language Association (MLA)، والتي تصدر مجلَّتها الشهيرة PMLA (وكانت فيما سبق PMLAA، والحرف الأول يرمز لكلمة publication

والأخير إلى America (of))، وقد يكون الأستاذ الكرمي مؤلِّف المعجم قد ركَّز على المعنى المجرَّد للكلمة بدلًا من المعاني المجسَّدة أو المحدودة، وكان الأحرى به أن يتناول المعاني جميعها ويضرب لها أمثلة.

ولكن «اتحاد» تؤدِّي إلى مشكلةٍ أخرى وهي ارتباطها في الذهن العربي بكلمة union، وهذه كلمةٌ تكاد تكون مقصورةً على النقابات باعتبارها اختصارًا لتعبير trade union البريطانية وlabor union الأمريكية. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن trade لا تعني التجارة، بل العمل أو الحرفة أو المهنة أو الصنعة تمامًا مثل business، ولعلنا نذكر الأبيات التالية للشاعر وردزورث:

The moving accident is not my trade,
To freeze the blood I have no ready arts,
'Tis my pleasure, alone in summer shade,
To pipe a simple song for thinking hearts.

الحادث المثير ليس صنعتي،
وما يجمِّد الدماء في العروق ليس في يدَي،
لكنني أروم مُتعتي،
إذا أظلَّتني ظلال الصيف وحدي،
في عزف لحنٍ ساذج لكل قلبٍ يهتدي!

ولذلك فقد يسأل شخصٌ صاحبه ما صنعتك؟ ?What's your trade، أو قائلًا: ?What's your line of business، واشتباك الكلمة مع union جعل الكثيرين لا يُدركون معناها الحقيقي؛ فنقابة الصحفيين في بريطانيا هي The National Union of Journalists (NUJ) واتحاد النقابات العام هو Trade Unions Congress (TUC)، ونقابة المعلِّمين هي The National Union of Teachers (NUT).

وليسأل سائلٌ ما بال trade قد أصبحت تعني التجارة؟ وهنا نعود إلى التعبير الاصطلاحي في الفقرة السابقة line of business؛ ففيه يكمن السر! إن كلمة trade مشتقةٌ من الكلمة القديمة في الإنجليزية الوسطى واللغات الجرمانية التي تعني خط السير أو مجرى النشاط، وهي وثيقة الصلة بكلمة track (مضمار) وtrede القديمة التي تعني يمشي أو يطأ ومنها tread الحديثة! ولَمَّا كانت خطوط السير هي خطوط أو

مسارات نقل البضائع، أصبحت الكلمة مرتبطةٌ بالعمل في ذلك المضمار وبالتبادل؛ أي التجارة! والمعاجم الإنجليزية الكبيرة تحدِّد تواريخ شيوع كل معنًى من هذه المعاني، ولكن الذي يهمُّنا هنا هو التركيز على تمايز المعنيَين (١) العمل و(٢) التبادل؛ ولذلك فالكلمة تختلف عن كلمة commerce التي تعني التجارة أيضًا، وإن كانت عناصرها تختلف؛ فهي تتكوَّن من السابقة com (cum اللاتينية) التي تفيد المشاركة، وmerce المشتقة من mecris، وهي حالة المضاف إليه من الكلمة اللاتينية merx بمعنى البضائع أو مكان بيعها وشرائها؛ أي السوق التجارية! ولذلك فكلمة trade أعمُّ وأشمل، ويكفي أن نشير هنا إلى الفرق بين النقابة (TU) وبين الاتحاد التجاري؛ أي الرابطة التي تضم عددًا من التجار تُعنى بمصالحهم trade association.

(٥-٨) ولا تتوقَّف مشكلات «اتحاد» عند كلمة union، بل ربما بدأت بها؛ فنقابة العاملين بالإذاعة في بريطانيا اسمها Association of Broadcasting Staff (ABS)، كما أن الاتحاد الجمركي customs union ليس نقابة! والواقع أنه أقرب شيء إلى الاتفاقية بالمعنى الذي سبق تحديده، التي تضع أُسس التعريفات الجمركية الموحَّدة للمشاركين فيه، أو هو نوعٌ من الترتيبات an arrangement المتَّفق عليها فيما يتعلَّق بالمعاملة الجمركية لصادرات الأعضاء ووارداتهم! ونحن ملتزمون بما جرى عليه العُرف؛ لأننا لو خرجنا عنه ما فهمنا الناس!

(٦-٨) وأخيرًا لا بد من التنبيه إلى أن union عندما تُشتَق منها أسماء أخرى مثل unionist، يختلف معناها بعض الشيء، فإذا كتبناها بحرفٍ صغير في البداية كان معناها «النقابي»، وهي الصفة التي تُطلق إمَّا على رجال النقابات أو العمل النقابي، أمَّا إذا كتبناها بحرفٍ كبير في البداية أصبح لها معنيان تاريخيان؛ الأول هو مؤيِّد توحيد أيرلندا، والثاني هو مؤيِّد توحيد الولايات المتحدة؛ أي مؤيِّد الحكومة الاتحادية The Federal Government إبان الحرب الأهلية الأمريكية، ونحن ننوِّه بهذَين المعنيَين لأننا نميل في العالم العربي إلى استخدام الكلمة ترجمةً لكلمة وحدوي (ويبدو أن هذه الكلمة الجديدة قد شاعت فلم يَعُد هناك مجال للطعن فيها، بل أدَّى بناؤها الصرفي إلى قياس كلماتٍ أخرى عليها؛ مثل سُلطوي نسبةً إلى السلطة، ونهضوي نسبةً إلى النهضة)، أمَّا خطأ ترجمتها بالكلمة الإنجليزية المشار إليها فواضحٌ ممَّا سبق، والأصَحُّ أن تُترجم إلى Pan-Arabism؛ فهذا هو المعنى المقصود بالوحدوية؛ أي الإيمان بالوحدة العربية أو الدعوة إليها. وسيلاحظ القارئ أننا لا ننسب إلى «اتحاد» العرب فنقول «اتحادي» خوفًا من الخلط

مع كلمة Federal التي نترجمها أحيانًا إلى «اتحادي» وأحيانًا إلى فيدرالي، أو مع كلمةٍ أخرى هي confederation، وهي كلمة ذات جذور تاريخية أيضًا في أمريكا، وإن كانت تُستخدم اليوم مرادفةً لكلمة Association في تعبير The Confederation of (CBI) British Industries، وهو اتحاد الصناعات البريطانية الذي يتبنَّى وجهة نظر أصحاب العمل، في مقابل النقابات التي تتبنَّى وجهة نظر العُمَّال!

والخلاصة هي أن التفرقة على أساس المعنى الأصلي أو الاشتقاقي محالة، وعلينا أن نحتفظ لكل كلمةٍ بمعناها الاصطلاحي، واعين بدلالاتها الأخرى، وحريصين على عدم الخلط بينها.

الباب التاسع:
control

لا حاجة لنا إلى تعديد المعاني التي تدور حول السيطرة والضبط والتحكُّم؛ فهي موجودة في المعاجم على اختلافها، وإن كان لا بد من ذكرها بإيجازٍ فيما يلي:

(١-٩) معنى الفعل «يتحكَّم في» أو «يسيطر على» مشهور، والمثال هو:

(1) I know you can control your temper even when provoked.

(١) أعلم أنك تستطيع التحكُّم في أعصابك حتى عند الاستفزاز.

(2) Don’t be such a child! Control yourself!

(٢) لا تكن مثل الأطفال! تمالك نفسك!

(3) The police could not control the unruly crowd and had to use tear gas.

(٣) لم تستطِع الشرطة السيطرة على الجمهور الثائر، فاضطُرَّت إلى استخدام الغازات المسيلة للدموع.

والاسم control يحمل نفس المعنى:

(4) He’s a good teacher but then he has no control over his class.

(٤) إنه معلِّمٌ ممتاز، لولا أنه لا يستطيع تحقيق الانضباط في الفصل.

(5) It took the civil defence regiment nine hours to get the flood waters under control.

(٥) لم تستطِع فرقة الدفاع المدني أن تتحكَّم في مياه الفيضان إلا بعد تسع ساعات.

(6) We must find someone to take control of these bolshy children!

(٦) لا بد من العثور على شخصٍ يستطيع السيطرة على هؤلاء الأطفال المشاغبين.

(٢-٩) أمَّا المعنى الأهم فهو التنظيم والرقابة، والقواميس الثنائية اللغة لا توليه عنايةً كبيرة، بل تكاد أن تتجاهله تمامًا، ونبدأ بنماذجه الشائعة:

(7) Birth-control is the old term for our modern family-planning- perhaps a more politically correct term.

(٧) تحديد النسل هو المصطلح القديم الذي استعضنا عنه الآن بتعبير تنظيم الأسرة، وربما كان هذا تعبيرًا أكثر لباقة.

(8) Traffic-control has come to be a major task for any modern police force.

(٨) أصبح تنظيم المرور من المهام الكبرى التي تضطلع بها قوات الشرطة الحديثة.

(9) Control of foreign exchange is the responsibility of the Finance Ministry.

(٩) تتولَّى وزارة المالية مسئولية الرقابة على العملات الأجنبية.

وسوف يلاحظ المترجم أن هذه الكلمات الثلاث «تحديد/تنظيم/رقابة» تمثِّل ما يُسمَّى عنقودًا من المعاني cluster of meanings؛ أي المعاني المتقاربة في الشكل والمختلفة بعض الشيء في الدلالة، فإذا أبدل المترجِم كلمةً منها بكلمةٍ أخرى لم يبتعد كثيرًا عن المعنى المقصود؛ أي إنه إذا قال «تنظيم النسل» بدلًا من «تحديد النسل»، أو «الرقابة على المرور» بدلًا من «تنظيم المرور»، أو «تنظيم صرف العملات الأجنبية» بدلًا من «الرقابة على العملات الأجنبية»، فلن يعجز عن توصيل المعنى المقصود، ولكنه سوف يخرج عن «الشفرة اللغوية» linguistic code التي يحدِّدها العرف conventions في مجتمعٍ معيَّن؛ فالشفرة الاجتماعية تتصل اتصالًا وثيقًا بالشفرة اللغوية حتى لتكاد تمليها إملاءً، والشفرة اللغوية تتصل اتصالًا وثيقًا بالشفرة الفكرية (أي رموز التفكير ومعانيها) ذات الجذور التاريخية العميقة حتى تكاد أن تصبح صِنوًا لها. والمترجِم لن ينجح في عمله إلا إذا أدرك طبيعة شفرة كل لغة من اللغتَين، وحافَظ على كلٍّ منهما أثناء المضاهاة بين معاني الكلمات؛ فالدلالة المظلية هنا لكلمة control، وجمعها هي الضابط والضوابط، وعنقود المعاني يتضمَّن الألفاظ الواردة ترجمةً لها في كل سياق، ولكن اختيار كلمة دون غيرها من كلمات «العنقود» محكومٌ بالشفرة اللغوية الخاضعة للشفرتَين الاجتماعية والفكرية، وانظر مثلًا كيف نعبِّر عن هذه الأفكار نفسها بالإنجليزية:

(10) The choice of a word from a group of words representing a cluster of meanings is determined by the translator’s interpretation of the English

word in terms of the linguistic code of the target language, controlled as it is by its history and social conventions.

(١٠) إن اختيار كلمة من مجموعة الكلمات التي تمثِّل عنقودًا من المعاني يخضع لتفسير المترجم للكلمة الإنجليزية على ضوء الشفرة اللغوية الخاصة باللغة المترجَم إليها، وهي التي تخضع بدَورها لتاريخ تلك اللغة والأعراف الاجتماعية.

لقد استخدمنا هنا الفعل «يخضع» في ترجمة determine وcontrol دون أن نجور على معنى أيٍّ منهما، وكُنَّا قد استخدمنا كلمة «محكوم» في العبارة العربية السابقة! ولذلك فنحن حين تحوَّلنا عن «تحديد النسل» إلى «تنظيم الأسرة»، كنا نتحوَّل من شفرةٍ اجتماعية إلى شفرةٍ اجتماعية أخرى، وما وصفناه باللباقة political correctness هو عدم التعدي على الأعراف الاجتماعية القائمة في المجتمع الشرقي، الذي لا يزال يؤمن بأن التناسل خير؛ لأن الخير تاريخيًّا هو الزيادة، والشر هو النقص والحرمان، والحد من الشيء أو إنقاصه لا يمكن — من ثم — أن يكون خيرًا، أمَّا إذا اخترنا من عنقود المعاني كلمةً ذات دلالة مظلية أخرى هي «التنظيم»، فسوف نكون قد تجاوزنا أي إيحاء بالشر، بل ونكون قد أوصينا بالخير؛ فالنظام صفةٌ عُليا، ومبدأ من مبادئ الخلق والكون العريض من حولنا!

إن المعجم الإنجليزي يورد الشرح التالي لتعبير birth-control:

Planning of the number of births, e.g. by the use of contraceptives.

تحديد «تخطيط؟» عدد المواليد، كأن يكون ذلك باستخدام وسائل منع الحمل.

فأين التنظيم كما نفهمه من هذا؟ التنظيم معناه العام هو تطبيق نظام مُعيَّن، إمَّا وفقًا لمعايير كيفية أو كمية، دون تحديد لنوع النظام، وفي هذا ما فيه من اتساع المعنى، بل وغموضه؛ أي إننا قد نجد نظامَين يختلفان اختلافًا شاسعًا فيما بينهما، دون أن يؤثِّر الاختلاف على وصف كلٍّ منهما بالنظام أو اتصاف كلٍّ منهما بالتنظيم! وهكذا فإن ترجمة الكلمة control بكلمةٍ مشتقة من النظام، تكفل أن يكون المعنى فضفاضًا، بحيث يمكن تفسيره حتى بعكس التحديد، وهذا هو ما نفعله عندما نتحدَّث عن «تحريك» الأسعار بمعنى رفعها (reflation)، و«تثبيت» أسعار البترول بمعنى خفضها! وكان يمكن أن نطلق على هذا وذاك صفة التنظيم!

وقِس على ذلك معنى «الرقابة»؛ فما معنى «رقب» و«راقب» بالعربية؟ إن أهم معنًى قديم للفعل رَقب رَقابةً بفتح الراء والقاف جميعًا، هو «الانتظار» (ولا بد أن نتجاوز المعاني القديمة المهجورة، سواء ما يتصل بالرقبة منها أو بهذا الفعل والتي توردها

المعاجم العربية)، ومنه ترقَّب وارتقب، كما في القرآن ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ (الدخان: ١٠)، ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ (الدخان: ٥٩). ولا يزال هذا المعنى حيًّا في أحد المستويات الفصحى المعاصرة، وهو يوازي الإنجليزية expect اشتقاقًا واصطلاحًا (فالكلمة الإنجليزية مشتقة من specere اللاتينية بمعنى ينظر مضافًا إليها السابقة ex)، وما زلنا نقول المرتِقب بمعنى المنتظر أو المنظور أو المتوقَّع. وقريبٌ منه معنى رَقَبه بمعنى لاحظه، وهو المعنى الشامل hypernym الذي يأتي بمعانٍ متخصِّصة هي: (١) يحرس ويحفظ. و(٢) يحذر ويخاف، ومن هذا المعنى المتخصِّص يأتي معنى راقب مراقبة، إمَّا بمعنى الحراسة أو بمعنى الخشية والحذر، أمَّا الرقيب فهو من أسماء الله الحسنى، وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، ومن معاني الكلمة أيضًا كل من يلاحظ أمرًا ما، أو الحارس أو الحافظ، وسوف نجد هذا المعنى في الكلمة الإنجليزية الحديثة care taker التي نترجمها عادةً بلفظ الحارس، مع أنه أقرب إلى المراقب، وقد استعرنا كلمة «رقيب» لنطلقها على رتبة من رتب ضُبَّاط الصف non-commissioned officers (NCO's) بدلًا من كلمة جاويش المُشَرَبة الجيم، والتي تحوَّلت إلى شاويش بالعامية، وهي تركية الأصل ودخلت إلى بعض اللغات الأوربية الحديثة، كما رأينا في اسم زعيم رومانيا السابق (الذي أُعدِم) شاوشيسكو (أي ابن الجاويش أو الشاويش؛ فاللاحقة إسكو escu بالرومانية تعني ابن)، وهكذا أصبح الرقيب فوق العريف (أومباشي التركية)، بعد أن كان يعني «الطليعة»؛ أي الشخص المكلَّف باستطلاع مواقع الأعداء قبل الهجوم، وتشترك كل هذه الكلمات في اشتقاقها من معنى النظر «رقب/تطلَّع/لحظ»، وتتضمَّن المعاجم الحديثة اثنَين من المعاني الحديثة؛ الأول هو المراقبة بمعنى: وضع شخص مشتبه فيه (والمعجم الوسيط يشير إليه بلفظ شرير) «تحت المراقبة»؛ أي under surveillance والثاني هو الرقابة بكسر الراء، وهو المقصود في تعبير «الرقابة على المصنفات الأدبية والفنية» censorship.

ولكن العربية المعاصرة قد استحدثت معنًى جديدًا مخصَّصًا، مستقًى من أحد المعاني القديمة والواردة في التنزيل العزيز، وهي مراعاة الأمر بمعنى الإشراف عليه وإدارته وفقًا لمبادئ ونظم ثابتة، وهو وثيق الصلة اشتقاقًا بمعنى النظر حتى في الإنجليزية to oversee؛ ففي القرآن ترد الآيات التالية ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (الأحزاب: ٥٢)؛ أي مراعيًا حافظًا، و﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨)، و﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ (المائدة: ١١٧)، وكلها يفسِّرها معجم ألفاظ القرآن الكريم

(مجمع اللغة العربية) بأنها تعني الحافظ المراعي. والمعجم الوسيط يستشهد بالآية الشهيرة في سورة طه ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (طه: ٩٤)، للدلالة على معنى الانتظار، ويقول السيوطي في تفسيره إن المعنى هو «لم تحفظ قولي»، ويميل شوقي ضيف في تفسيره للقرآن إلى المعنى الحديث فيقول: «أي لم تتبع قولي ووصيتي.» في حين يجمع معجم ألفاظ القرآن المشار إليه بين هذه المعاني قائلًا: «أي إني خشيت أن تقول لي لم تحفظ قولي، أو خشيت أن تقول لي: فرَّقت بين بني إسرائيل، والحال أنك لم تنتظر يا موسى قولي.»

معنى الحفاظ والمراعاة أصيلٌ إذن في الكلمة، ولكن تطويعه في العربية المعاصرة حتى يقابل معنى control تطويع حديث؛ فعندما أخذنا بنظم الإدارة الحكومية الغربية استحدثنا وظيفة المراقب controller، والمراقب العام comptroller general، وكان الأصل في الأخيرة هو مراقب الحسابات، ثم أصبحت مرادفةً في الهجاء، والمعنى للأولى بعد التوسُّع في الوظائف الحكومية، وكان بعض أقاربي يشغلون وظائف المراقب والمراقب العام في أعمالٍ أبعد ما تكون عن الحسابات، والوظيفة تقابل إلى حدٍّ ما عمل المشرف superintendent، وهو قد يكون المدير وقد يكون تابعًا له، ومن المراقبة اشتُقَّت الألفاظ الخاصة بالإدارة أو القسم المعني بالإشراف على عملٍ من الأعمال.

وقد يكون من الطريف أن نستعير لفظ المراقب للإشارة على مَن يُطلَق عليهم تعبير الملاحظين في الامتحانات invigilators؛ أي الذين يُشرِفون على الْتزام الطلاب أثناء الامتحان بقواعد اللجنة، وهم يعملون تحت إشراف إدارة الامتحانات، التي نطلق الكلمة المعربة عليها، وهي كنترول! ولذلك فإذا قرأت بالإنجليزية إشارةً إلى المراقبة فسوف تحدس أن الإشارة هي إلى «إدارة» بالمعنى المخصص:

(11) Before paying for the goods in dollars, whether through a bank draft or direct remittance, you must have clearance from the Egyptian Foreign Exchange Control.

(١١) لا بد لك قبل تسديد ثمن البضائع بالدولار أن تأتي بالموافقة من مراقبة النقد الأجنبي في مصر، سواء كان التسديد بموجب تحويل مصرفي أو إرسال النقود مباشرة.

(٩-٣) ومن هنا جاء الخلط في فهم الاستخدام المعاصر لكلمة control في شتَّى السياقات، ومصدره — على نحو ما أوضحنا — هو التنازع في المعنى بين التجريد والتخصيص؛ فمراقبة العمل معنًى مجرَّد، ولكن «مراقبة النقد الأجنبي» جهاز مصرفي

متخصِّص؛ ولذلك فأنت تقرأ عن شيء، لا تعرف إن كان مجرَّدًا أم مُخصصًا، هو مراقبة الجودة quality control أو مراقبة الأغذية food control، ممَّا قد يقتضي من المترجم إضافة «هيئة»، إذا كان يعتقد أن الإشارة مُوجَّهة إلى جهازٍ متخصِّص، أو عدم إضافة شيء إذا كان المعنى مُجرَّدًا.

(12) The goods must be checked for compliance with international standards be Quality Control officials before an export permit is granted.

(١٢) يجب أن يقوم المسئولون في هيئة مراقبة الجودة بالتأكُّد من أن البضائع غير مخالفة للمعايير الدولية قبل إصدار الإذن بالتصدير.

(13) To improve its sales prospects, the firm must pay more attention to packaging and quality control.

(١٣) لن تتمكَّن الشركة من توسيع آفاق مبيعاتها إلا إذا اهتمَّت اهتمامًا أكبر بقضية التغليف ومراقبة الجودة.

وينطبق ذلك أيضًا على كل استعمال حديث للكلمة بهذا المعنى.

(٩-٤) ومن المعاني الحديثة لكلمة control معنى «القضاء على» أو «مكافحة»، وهو معنًى يشيع في لغة المتخصِّصين الذين يفضِّلون التعبير الدقيق؛ فهو من خصائص الإنجليزية، على التعبير المطلق الذي تتسم به العربية. فالخبراء الزراعيون مثلًا يعرفون أن القضاء على الآفات محال؛ ولذلك فهم نادرًا ما يشيرون إلى الجهود المبذولة لـ «القضاء» على آفةٍ من الآفات، بل يفضِّلون استخدام «الحد من» هذه الآفة pest control. وأذكر أنني كنت أعمل بالترجمة في أحد مؤتمرات الأمم المتحدة، حيث أشار المندوب الليبي إلى نجاح بلاده في القضاء على وباء الذبابة الحلزونية، فترجمتها:

(14) The screw-worm epidemic has been eradicated.

فإذا بالمحرِّر يغيِّر الكلمة الأخيرة إلى brought under control، واحتججت قائلًا It’s been eradicated … eliminated! فقال — واسمه ريتشموند، وقيل إنه اسكتلندي: «نعم! أعرف أن هذا ما يقوله النص العربي!» وأصرَّ على «تخفيف» صياغة العبارة؛ ولذلك فربما كان على المترجم أن يراعي اختلاف النبرة بين اللغتَين بسبب الاختلاف الثقافي، ومكافحة الآفات أقرب إلى pest control من القضاء على الآفات.

(٩-٥) وقد يُستخدم الاسم في الجمع، كما قلنا، بمعنى الضوابط، وهذه أيضًا تؤدِّي إلى الاختلاط بين المعنى المجرَّد والمعنى المجسَّد؛ فالمعنى المجرَّد يُشير إلى القواعد التنظيمية أو ما نسمِّيه بالعربية المعاصرة «اللوائح» rules and regulations، ولا بد أن أُشير هنا

إلى أن الكلمتَين متصاحبتان، وهما يعنيان معًا شيئًا واحدًا قد نطلق عليه اللائحة وهي لفظ مفرد، وقد نستخدم أيًّا منهما وحده للدلالة على ذلك، كأن نقول:

(15) It is stipulated in the Regulations that no compulsion be used in recruitment.

(١٥) تنص اللائحة على عدم إكراه أحد على الالتحاق بالوظائف.

ويُعتبر النص على ذلك من الضوابط التي تحكم نظام العمل، وانظر مثلًا:

(16) The Regulations give the Chairman the power to veto any proposal, which is a control over what the committee may do.

(١٦) تُخوِّل اللائحة لرئيس اللجنة سلطة نقض أي اقتراح (يقدِّمه أحد الأعضاء)، وذلك من الضوابط على عمل اللجنة.

(17) If the controls over education standards are relaxed, the entire system will soon collapse.

(١٧) إذا تراخينا في تحديد الضوابط اللازمة لمستويات التعليم، فسوف ينهار النظام التعليمي كله في القريب العاجل.

وأمَّا المعنى المجسَّد فهو مفاتيح التشغيل في آلةٍ من الآلات؛ مثل أزرار جهاز الراديو، أو أدوات تسيير وتوجيه السيارة؛ ففي الطائرة يوجد قضيبٌ يسمَّى the control column (ويُشار إليه في العامية باسم العصا stick)، يُستخدم في تحديد ارتفاع الطائرة أو وجهتها وما إلى ذلك، وقد تُستخدم سيارات في تعليم القيادة مزوَّدة بمفاتيحَ أو أدوات تشغيل مزدوجة، حتى يتمكَّن المعلِّم من التدخُّل إذا أخطأ المتعلِّم، أو لتمكين قائد السيارة من تحويل التشغيل إلى «القائد الآلي»، على نحو ما يحدث في الطائرة، وهو ما يسمَّى automatic pilot ويُشار عادةً إلى مثل هذه السيارة بأنها:

a car with dual controls/a dual control car.

ولوحة المفاتيح (مفاتيح التشغيل) تُسمَّى control panel، وبرج توجيه الطائرات هو control tower، وهو ما نترجمه عادةً باسم برج المراقبة! إنه في الواقع برجٌ يتضمَّن آلات محدَّدةً تتابع مسار أو مطار الطائرة، وتوجِّه إلى القائد التعليمات الخاصة بالطيران والهبوط وما إلى ذلك؛ فهي «مراقبة» إذن من النوع المخصص (المجسد).

(٦-٩) وهناك معنًى متخصِّص لكلمة control مقصورٌ على العلوم الطبيعية، ومعناه المعيار «أو الصفة «المعيارية»»؛ ففي علم النفس مثلًا قد يجري العلماء تجارِب على فئاتٍ

منوَّعة من الناس، ويحدِّدون فئةً معيَّنة باعتبارها الفئة المعيارية (as a control)؛ أي التي يقاس بها مدى التحقُّق من النتائج المطلوبة في الاختبارات التي تُجرى للفئات الأخرى، مثلًا:

(18) The tests were given to three groups, Group Two being used as a control.

(١٨) أُجريت الاختبارات على ثلاث مجموعات، وكانت المجموعة الثانية هي المجموعة المعيارية.

(19) Before reaching any conclusions on the use of translation in foreign language teaching, more control experiments are needed.

(١٩) لا بد من إجراء تجارِب معيارية أخرى قبل التوصُّل إلى أية نتائج بشأن استخدام الترجمة وفائدتها في تعليم اللغات الأجنبية.

(٧-٩) وأحيانًا تُستخدم الكلمة استخدامات غريبةً مثل إطلاقها على الوسيط الذي «يستحضر» الروح، فيما يُسمَّى بتحضير الأرواح، أو على الروح نفسها؛ إذ يقول ممارسو هذا العمل إن الروح هي القوة control التي تصل عالم الأحياء بعالم الأموات، ويبدو أن هذا المعنى ينصرف إلى الروح المستحضرة والتي تُعتبر الوسيط الحقيقي، وسبب ترجمتي لها بالقوة هو أن الأمريكيين يُشيرون إليها بكلمة power، ولا أعرف إن كانت أقرب إلى الطاقة (الروحية) أم إلى سلطة (التحكُّم) في الشخص الذي يتكلَّم بلسانها!

الباب العاشر:
department

(١٠-١) المشكلة الكبرى في هذه الكلمة هي تفاوت دلالاتها وفقًا للمكان الذي تُستخدم فيه؛ فهي مشتركةٌ بين الفرنسية والإسبانية والإنجليزية، ولها معانٍ تختلف وفقًا لكلٍّ من هذه اللغات، أمَّا الفرنسية فهي مشتقةٌ مباشرةً من اللاتينية، وهجاء الفرنسية هو departement، وأصل الفعل اللاتيني (العامي) dispartire الذي يتكوَّن من البادئة أو السابقة dis والفعل partire، المشتق من الفعل المتعدي pars، الذي كان يعني في الأصل «يقسِّم»، ومن ثم أصبحت الكلمة تعني «يقسِّم إلى أجزاء»، وهجاء الإسبانية departamento المشتق من المصدر نفسه. وفي كلٍّ من فرنسا ودول أمريكا اللاتينية الناطقة بالإسبانية تُترجم الكلمة إلى «مقاطعة»، وكان يمكن ألَّا نشغل أنفسنا بها لولا أن شاعت ترجمة الكلمتَين الفرنسية والإسبانية إلى الكلمة الإنجليزية قيد المناقشة، فاستعصى على القُرَّاء فهمها، وحار المترجمون في تفسيرها. وإزاء الغموض الشديد الذي يكتنف معنى الكلمة، اضطُررت إلى البحث في الأطلس الكبير لبلدان أمريكا اللاتينية، فاتَّضح أن الأسماء المقترنة بهذه الكلمات أسماء مدن، وأن التقسيمات الإدارية الأكبر تُسمَّى provinces كما يتضح من العبارات التالية الواردة في تقرير منظمة العفو الدولية لعام ١٩٩٠م:

(1) In May soldiers raided communities in Santo Tomás de Pata, Huancavalica department, and detained schoolboy Sergio Huamancusi and four others who subsequently “disappeared”.

(١) وفي مايو انقضَّ رجال الشرطة على بعض القرى (المجتمعات المحلية) في منطقة سانتو توماس دي باتا، التابعة لمركز خوان كافاليكا، واعتقلوا تلميذًا يُدعى سيرجو خوامانكوسي مع أربعةٍ آخرين، ثم ما لبث الجميع أن «اختفوا».

وما ترجمته بالمركز هنا، وهو التقسيم الإداري القديم للمنطقة التي يوجد فيها مركز للشرطة تتبعه القرى المنتشرة أو المتناثرة حوله، على نحو ما نرى في مركز مدينة رشيد على مصبِّ النيل وما حولها من قُرًى تتبعها إداريًّا، قد يُترجم بالولاية القضائية أو أحيانًا «قضاء» فقط؛ أي مركز السلطة القضائية، وقد توجد «نقطة شرطة» كما هو الحال في بلدة «إدكو» المجاورة لرشيد، ومن حولها بعض القرى التي يشير إليها الكاتب باسم «المجتمعات المحلية» (أو المستوطنات settlements)؛ فدولة بيرو جبلية تقع في أقصى غرب أمريكا اللاتينية، وتنتشر فيها مثل تلك القرى، وسبب ترجمتي لكلمة department بالمركز هو أن المدينة المذكورة (خوان كافاليكا) لا تمثِّل مقاطعة، بل هي مركز إداري، وهي تقع على خط عرض ٧٥ غربًا و١٣ جنوبًا، وقد أضفتُ كلمة منطقة إلى اسم الإقليم التابع للمركز ابتغاء الإيضاح، وانظر أيضًا عبارةً من نفس التقرير عن نيكاراغوا:

(2) In March military prosecutors initiated a series of investigations into killings of civilians reportedly carried out by government troops since 1987, particularly in the departments of Matagalpa, Jinotega, Zelaya and Chontales.

(٢) وفي مارس أجرت النيابة العسكرية سلسلةً من التحقيقات في ما ورد من قيام القوات الحكومية بقتل المدنيين، منذ عام ١٩٨٧م، خصوصًا في المراكز التالية: ماتاجالبا، وخينوتيغا، وزيلايا، وشونتاليس.

وجميعها مدنٌ تقع في مناطقَ ريفيةٍ تتبعها إداريًّا، وقد يشير الكاتب إلى القرية (المجتمع المحلي) أولًا، ثم يُتبعه بذكر الحي (وهو قسم إداري يضم عدة قُرًى؛ أي إنه district) «مثل حي جنوب الجيزة» ثم المركز أو البندر، وقد يصرِّح بلفظ «الحي» وقد يحذفه:

(3) Celso de Socorro Herrera Carvallo was allegedly captured and killed by army troops on 11 July 1988 near El Ventarrón, Pantasma, Jinotega department.

(٣) وزُعم أن جنود الحكومة ألقت القبض على سيلسو دي سوكورو هيريرا كارفالو يوم ١١ يوليو ١٩٨٨م، ثم قتلته بالقرب من قرية الفنتارون، في حي بانتازما، بمركز خينوتيغا.

ومدينة خينوتيغا هي الاسم الوحيد الموجود في خريطة نيكاراغوا، على خط عرض ٨٥,٢٥ غربًا و١٤ شمالًا باعتبارها من المدن الصغرى، ولا يُعقل أن يصل إليها باسم مقاطعة.

وقضية الموازنة بين التقسيمات الإدارية تستعصي على الحل، بمعنى أنه من المحال معادلة التقسيمات القائمة في بلدٍ ما بنظائرها في بلدٍ آخر، ولكننا نحاول التقريب فحسب؛ فالمقاطعة أقرب إلى الولاية، وهي عربيًّا ذات تاريخٍ عريق (تقول أقطعه أرضًا)، ومنها اشتُق تعبير النظام الإقطاعي الأوربي، وكذلك كلمة ولاية المشتقة من ولاية الأمر، وجاء منها الوالي والولاة؛ أي الحُكَّام (أو العمال التابعون للحاكم المركزي)، والتناقض في ترجمة هذه الكلمات له جذوره التاريخية أيضًا؛ فنحن في مصر نُطلق على المقاطعات تعبير المحافظات governorates، وكنَّا في يومٍ ما نطلق عليها اسم المديريات (ولا أذكر لها مقابلًا بالإنجليزية إلا أن يكون province، وأما directorate فهي منصب المدير أو مجلس الإدارة)، وكنا نشير إلى شئونها باسم الشئون الإقليمية provincial affairs، وما زلنا نشير إلى المناطق الواقعة خارج القاهرة والإسكندرية باسم «الأقاليم»، وصفة provincial تعني خارج المدن الكبرى، ولا تقول «إقليمية» أبدًا إلا لنعني بها regional نسبةً إلى الإقليم الجغرافي الذي قد يضم عدة دُول (أي بلدان countries)، وتونس تترجمها بالجِهَوية نسبةً إلى الجهة، وقد سبقت الإشارة إلى اشتقاق النسبة بإضافة الواو (سُلطوي ونَهضوي)، كما أننا لم نتفق على ترجمة governor بالمحافظ في جميع الحالات؛ فنحن نقول محافظ البنك المركزي Governor of the Central Bank، ونقول مجلس الأمناء (لاتحاد الإذاعة والتليفزيون مثلًا)، وهو يقابل Board of Governors في شركة الإذاعة البريطانية British Broadcasting Corporation (ونحن نترجم corporation هنا باللفظة المظلية «هيئة»، مع أنها تعني شركة في جميع الأحوال، والفعل منها incorporate الذي يعني في الاقتصاد إنشاء شركة (إلى جانب معنى الإدراج والإدماج)، ولكننا نترجم كلمة Governor of Canada بتعبير حاكم كندا، وكذلك «حكام» الولايات المتحدة الأمريكية، مع أننا ارتضينا تعبير ولاية ترجمةً لكلمة State التي تعني الدولة، ولن نستطيع أن نقول اليوم والي الولاية لأن العُرف قد حسم المسألة. وما عسانا نقول في ترجمة الأمم المتحدة لكلمة department بدائرة (أي إدارة)؟

(١٠-٢) أمَّا الترجمة العامة لكلمة department بالعربية «قسم»، فهو صحيح في حدود ما ينجينا من الخلط والبلبلة؛ فنحن نستخدمها في الإشارة إلى الأقسام العلمية في الكليات الجامعية، ونستخدمها في الإشارة إلى أقسام البضائع المختلفة في المحلات التجارية الكبرى، التي توفِّر لزبائنها كل أو معظم ما يطلبون في مكانٍ واحد، ويُطلَق على أمثال هذه المحلات ذات الأقسام department stores، وكلمة قسم إذن مريحة في هذا السياق، ولا تبدأ المشاكل إلا حين نتعرَّض للتقسيمات الإدارية داخل الجهاز الحكومي.

(١٠-٣) كلمة department تُستخدم بمعنى وزارة في البلدان الناطقة بالإنجليزية؛ أي تُستخدم موازيةً لكلمة ministry تمامًا، ولكنها لا تُستخدم في الإشارة إلى كل وزارة؛ فوزارة الدفاع هي دائمًا (MOD) أي Ministry of Defence، ولكن وزارة التربية والتعليم هي Department of Education أو Education Department، وكذلك تُستخدم في الإشارة إلى أقسام الوزارات أو المصالح، والسبب تاريخيٌّ محض؛ فلفظ minister يعني المساعد (وفي تونس يشيرون إلى المساعدين باسم الأعضاد، جمع عضد)، وقد نجد في الوزارة التي يرأسها وزير سياسي Secretary (أو Secretary of State أحيانًا) العديد من كبار الموظَّفين الذين يُطلَق عليهم اسم minister (ويُعتَبرون نواب وزيرٍ أو وكلاء وزارة أوائل junior ministers)، وفي أمريكا يطلقون الكلمة على جهاز الشرطة فيسمُّونه Police Department (وفي بريطانيا Constabulary)، وعلى فرقة المطافي Fire Department (وفي بريطانيا Fire Brigade)، ولن يواجه المترجم صعوبات كبيرةً في المضاهاة بين هذه التقسيمات بالرجوع إلى ثقافة اللغة المترجم إليها.

(١٠-٤) وتتعدَّد المشاكل حين نجد في النص الواحد إشارات إلى شتَّى الأقسام التي تحمل أسماءً تتفاوت من بلدٍ إلى بلد، ومن منظمةٍ إلى منظمة، مثل كلمة division التي تترجمها إحدى المنظَّمات بكلمة قسم، ومنظَّمة أخرى بكلمة شعبة! ومثل كلمة section التي تترجمها إحدى المنظَّمات بكلمة فرع، ومنظَّمة أخرى بكلمة قِسم! ولذلك فإن مَن يعمل بالترجمة في إحداها ثم ينتقل إلى أخرى يلاقي أشد العَنَت؛ إذ يستمسك كل قسم من أقسام الترجمة العربية بمصطلحاته، ويرى أن كل مَن يخالفه مخطئ.

(١٠-٥) وسوف نوجز المعاني الأخرى لكلمة department فيما يلي:

(أ) مجال التخصُّص، كقولك:

(4) Rewriting is his department.

(٤) إعادة صياغة «المقالات» هو مجال تخصُّصه.

(ب) عمودٌ صحفي متخصِّص في إحدى الدوريات أو المجلات، وقد تكون دراسةً تظهر بانتظامٍ في أحد المطبوعات:

(5) He is a biologist and has a department in “Life” magazine where new discoveries are dealt with.

(٥) إنه عالِمٌ بيولوجي يكتب دراسات منتظمةً في مجلة لايف الأمريكية يتناول فيها أحدث الاكتشافات.

الباب الحادي عشر: develop

ترجع صعوبة هذه الكلمة إلى سهولتها الخادعة؛ بسبب استعمالاتها الشائعة، ومعانيها الذائعة؛ إذ يندر أن تجد دارسًا لا يستخدمها بمعنًى من المعاني، سواء أكان ذلك المعنى أصيلًا فيها، أو مضافًا إليها، أو متوهَّمًا لها، فسوف تجد مَن يستخدمها بمعنى يطوِّر، ويقنع بأن يقرن الاسم منها (development) بالتطوير فحسب، وستجد من يستخدمها بمعنى ينمِّي، والاسم المشار إليه بالتنمية فحسب. وستجد من يترجمها إلى «يضع» والاسم منها بالوضع، وقد تجد من المحرِّرين الإنجليز من يبدلها في أحد النصوص بكلمةٍ يتصوَّرها مترادفًا لها وهي elaborate، أو بكلمةٍ أخرى شاع ترادفها هي evolve؛ ممَّا يجعل المترجم أحيانًا حائرًا كيف يفرِّق بين ما يخال أنه مترادفات، خصوصًا إذا جاءه لفظ «النمو» growth في نفس السياق، ولم يتمكَّن من التفريق بين النمو والتنمية.

(١١-١) المعنى الأول للكلمة وهو التطوُّر وثيق الصلة بأشباه المترادفات المذكورة، وتحليل عناصره وثيق الصلة أيضًا بأصوله الاشتقاقية؛ فالأصل الاشتقاقي يعني تفتُّح البراعم أو الخروج من الأكمام، وكِمُّ الزهرة هو غلافها (من الفعل voloper بالفرنسية القديمة)، والبادئة أو السابقة dis تعني الخروج منه، ممَّا أتى بالكلمة الفرنسية القديمة desveloper ثم سقطت منها السين (s) فأصبحت développer وهي أصل الكلمة الإنجليزية. وتربط بعض المعاجم بينها وبين الجذع الإيطالي القديم viluppo، والذي تأثَّر في تطوُّره بالفعل اللاتيني volvere أي يدور، فأصبحت الكلمة الحديثة في الفرنسية والإنجليزية جميعًا تشير إلى التحوُّل من صورةٍ إلى صورة أكبر وأشد نضجًا (أي مختلفة عن الصورة الأولى وأشد نفعًا للإنسان).

(٢-١١) واقترن هذا المعنى بمعنى evolution الذي أبدعت العبقرية العربية إخراج معناه في تعبير «النشوء والارتقاء» معًا، وجرى العرف على اقتصار ترجمته حاليًّا على كلمة التطوُّر، وهو المذهب الذي ارتبط باسم العالِم الإنجليزي تشارلز داروين Darwin، ومفاده عند العلماء بإيجازٍ هو أن للحياة على ظهر الأرض صورًا أوليةً نشأت، أو أنشأها الله سبحانه وتعالى، ثم ارتقت؛ أي تولَّى الفاطر؛ أي البارئ والخالق على غير مثال، ترقيتها حتى جعلها ذات تركيب معقَّد («متطوِّر»/«متقدِّم»)، أو complex عن طريق التغيير والتحويل (والتبديل). وعلى هذا فسَّر المفسِّرون قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ أي من طور البيضة وحيدة الخلية (أو متعدِّدة الخلايا في حالاتٍ أخرى) إلى النطفة والعلقة والجنين، ثم الإنسان الكامل ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾. وذهب الكثيرون إلى معارضة داروين ظنًّا منهم بأنه قال: إن التطوُّر لا فاعل له، وهذا ممَّا لم يَقُل به داروين، فيما يراه جمهور العلماء.

وكلمة evolve إذن قد تعني النشوء فقط، سواء أكان للشيء أصل أم لم يكن له أصل، ثم ارتقاؤه في مراحل لاحقة. ولمَّا كان تصوُّر عدم وجود أصل لأي شيءٍ أمرًا عسيرًا، فقد أصبح معنى evolve مقصورًا على التحوُّل من طَورٍ إلى طور؛ أي على التطوُّر، ومن ثم أصبحت مقابلًا لكلمة develop في العرف الجاري، وإن كان الفارق المذكور لا يزال قائمًا.

(1) The American constitution was planned; the British constitution evolved.

(١) وُضع الدستور الأمريكي عمدًا، أمَّا الدستور البريطاني فقد نشأ وتطوَّر «من الممارسة السياسية».

أي إن الدستور البريطاني لم يكن له وجود، وفكرة النشوء أساسية في الكلمة، وقِس على ذلك:

(2) Having failed in all previous attempts, he evolved a new plan which surprised everybody.

(٢) فشلت جميع محاولاته السابقة فابتكر خطةً جديدة فوجئ الجميع بها.

وإذا لجأ الكاتب الإنجليزي إلى استبدال develop بكلمة evolve في المثال الأول فلن ينجح في إيصال المعنى الذي يريده، وإذا فعل ذلك في المثال الثاني فسوف يكون قد اقترب

من العرف الذي يوازي بين الكلمتَين، ولكن الفرق سيظل قائمًا، ويمكننا أن نقول (بدلًا من ابتكر) إنه «وضع» وحسب.

(١١-٣) أمَّا الموازاة بين develop وelaborate (الفعل) فلا تجوز مطلقًا، على شيوع ترادفهما في الاستعمالات الجارية؛ فالكلمة الثانية تعني تحَرِّي الدقة وإدراج التفاصيل عند وضع فكرة أو خطة أو نظرية.

(3) He evolved a new theory for handling rural poverty, which seemed plausible enough, but he committee believed it required a great deal of elaboration before considered for implementation.

(٣) ابتدع نظريةً جديدة للتصدي لمسألة الفقر في الريف، ورأت اللجنة أنها مقنعة إلى حدٍّ كبير، ولكنها طلبت منه تحَرِّي المزيد من الدقة وإدراج التفاصيل اللازمة قبل أن تنظر في تنفيذها.

نستطيع هنا أن نستبدل development بكلمة elaboration، ولكنها ستكون كلمةً عامة لا تفي بجميع المعاني التي يبرزها النص العربي، ولا بد إذن من إدراك الفروق بين العبارات التالية:

(4) Your idea is good, but still undeveloped.

(4-a) Your idea is well developed but requires further elaboration.

(4-b) You have submitted an elaborate plan but the central issue is not yet fully developed.

(٤) الفكرة التي تطرحها جيدة، ولكنها لا تزال غير ناضجة.

(٤-أ) الفكرة التي تطرحها ناضجة، ولكنها تحتاج إلى المزيد من التفاصيل.

(٤-ب) لقد طرحتَ خطةً مفصَّلة، ولكن القضية الرئيسية فيها غير ناضجة.

(١١-٤) والاختلاف بين التنمية والنمو ليس اختلافًا صرفيًّا morphological، بل هو اختلافٌ اصطلاحي، إذ أصبحت الكلمتان العربيتان تقابلان الكلمتَين الإنجليزيتَين development وgrowth على الترتيب، والفارق بينهما كبير؛ فالكلمة الأخيرة تعني التضخُّم (لا بالمعنى الاقتصادي أي inflation الذي يشير إلى ارتفاع الأسعار والمرتَّبات بحيث تنخفض قيمة العملات) «دون تغيُّر في خصائص الشيء النامي»؛ أي إن النمو الاقتصادي مثلًا يعني زيادةً نوعية في دخل الفرد مثلًا per capita income، أو في الناتج

القومي أو المحلي الإجمالي gross national/domestic product (GDP/GNP)، وقد يكون ذلك دون تنمية كأن تزداد فجأةً عائدات قناة السويس أو ترتفع أسعار البترول، وقد يتحقَّق عن طريق التنمية؛ أي تحويل الموارد الطبيعية غير المستثمرة إلى موارد منتجة، مثل استصلاح الأراضي الصحراوية أو البور، أو مثل إنشاء صناعات جديدة، أو مثل زيادة إنتاجية العُمَّال productivity (والإنتاجية هي نسبة الإنتاج إلى الجهد ورأس المال المستثمر).

ولذلك فالجنين الذي اكتملت صورته في رحم الأم ينمو بعد أن يكون قد تطوَّر إلى صورته الأخيرة، وإذا قلت إن شيئًا ما ينمو فقد لا يتضمَّن معناك أي تغيُّر في الطبيعة، والأمثلة كفيلة بإيضاح ذلك:

(5) His capital grows steadily with every new business venture.

(٥) إن رأسماله ينمو باطرادٍ مع كل مشروعٍ تجاري جديد.

(6) She has decided to let her hair grow.

(٦) قرَّرت عدم قص شعرها.

(7) He has grown in stature but not in wisdom.

(٧) ارتفعت قامته ولم يكبر عقله.

ولكن الخلط يحدث بسبب شيوع استعمال grow في الإنجليزية أيضًا بمعنى develop، كقولك مثلًا Rice grows from seeds؛ أي إن الأرز يُزرع وينمو من البذور، وخصوصًا عند استخدام الفعل مع الحروف مثل out وup وinto وما إليها ممَّا يفيد بعض التغيُّر:

(8) He has grown out of the bad habits of his boyhood days.

(٨) لقد أقلع عن العادات السيئة التي اكتسبها في صباه.

(9) His troubles grew out of his bad temper.

(٩) إن مزاجه الحاد هو السبب في متاعبه.

(10) A warm friendship grew up between the two men.

(١٠) نشأت علاقة صداقة حميمة بين الرجلَين.

فأنت تستطيع في المثال الأخير أن تضع كلمة developed في مكان grew up دون أن يتغيَّر المعنى إطلاقًا، وهذا هو سبب تصوُّر كثير من المترجمين أن الكلمتَين مترادفتان؛

لأن معظمهم لا يأخذ في حسبانه التغيير الذي يطرأ على معنى الكلمة عند إضافة الحروف المذكورة إليها.

(١١-٥) ومشكلة كلمة development إذن هي اشتباكها في المعنى مع هذه الكلمات الثلاث، وغالبًا ما يُضمر الكتَّاب معنًى من المعاني الثلاثة فيها؛ ممَّا يتسبَّب في حيرة المترجم إزاء الكلمة العربية الدقيقة المطلوبة، وهاك بعض الأمثلة:

(11) The development of modern mechanized means of transport, especially the motor vehicle, has revolutionized our continental trade.

(١١) إن ابتكار وسائل النقل الآلية الحديثة، وخصوصًا السيارات ذات المحرِّكات، أدَّى إلى ثورةٍ في التجارة فيما بين بلدان القارة الأوربية.

فالواضح أن development هنا تعني ابتكار، وتقترب من evolution، وإن كانت تتضمَّن أيضًا معنى التطوير؛ ولذلك فلن يخطئ المترجم كثيرًا إذا قال:

(١١-أ) إن تطوُّر وسائل النقل المبتكرة في العصر الحديث … إلخ.

(١١-ب) إن تطوير وسائل النقل الحديثة، وخصوصًا اختراع السيارة … إلخ.

(١١-ج) إن تطوُّر وسائل النقل الحديثة، وخصوصًا السيارة … إلخ.

ولكنه يكون في هذه الحالة قد ابتعد عن المعنى المقصود الذي يكاد يقتصر على الابتكار، وهو المعنى نفسه الذي نجده في المختصر الذي شاع على الألسنة بحرفَيه الأعجميَّين R & D؛ أي research and development، والمقصود به في مجال العلم والصناعة إجراء البحوث العلمية التي تنفق عليها الشركات الصناعية ابتغاء الارتقاء بمنتجاتها، إمَّا بتطويرها أو بابتكار منتجاتٍ أخرى. والترجمة الشائعة (وهي صحيحة) هي البحوث والتطوير، وإن كانت كلمة الابتكار أقرب إلى المعنى المقصود، بل وربما كان الارتقاء أيضًا مقصودًا.

(12) Thanks to ceaseless R & D efforts, the company seeks to take the world by a storm, introducing the first-ever scientifically devised rejuvenation treatment.

(١٢) تأمل الشركة أن تغزو الأسواق العالمية قريبًا، بعد جهودها الدائبة في مجال البحوث والابتكار، بطرح أول علاج يعيد الشباب للإنسان، وهو أول علاج من هذا النوع يتوصَّل إليه العلم الحديث.

وقد يشترك معنى develop مع معنى elaborate عند بعض الكتاب، حتى المحنَّكين منهم، كما يتضح من المثال التالي:

(13) The committee finds the project, in its present form, too general: it requires further development in terms of filling the obvious gaps and supplying essential details.

(١٣) ترى اللجنة أن الصورة الحالية للمشروع تتسم بالتعميم الشديد، ولا بد من تنقيحها بسد الثغرات الواضحة وإيراد التفصيلات التي لا غنى عنها.

التنقيح هنا بمعنى revision أو improvement ليست الترجمة المثالية لكلمة developed، ولكنها أفضل من تطوير، وقد يرى المترجم أن عليه إبدالها بالتعبير الدقيق الموازي لكلمة elaborate، كأن يقول مثلًا:

«... ولا بد من تحري المزيد من الدقة بسد الثغرات وإيراد التفاصيل ...»

وقد يشتبك معنى development مع growth على نحو ما أوضحنا آنفًا، وللمترجم في هذه الحالة أن يحدس مقصد الكاتب الذي يتجلَّى في السياق العام، وألَّا يحبس نفسه في المعنى الخاص للكلمة develop.

(14) The phenomenon was inexplicable: two trees were planted at the same time, and in the same soil, but one remained stunted, the other developed into a high and shady tree.

(١٤) لم يجد أحدٌ تفسيرًا لتلك الظاهرة، إذ غُرست شجرتان في الوقت نفسه وفي التربة ذاتها، فظلت إحداهما قميئة، ونمت الأخرى حتى غدت دوحةً ظليلة.

ونحن إذن ننظر إلى المعنى في السياق، لا إلى معنى الكلمة المفردة، ومن السخف أن نقول «تطوَّرت» الأخرى!

(٦-١١) أمَّا المعنى الاقتصادي لكلمة development فلن يحتاج إلى شرحٍ طويل؛ فهو معنًى يتضمَّن التحويل كما قلنا، وتعبير property developer يشير إلى شركات البناء التي تحيل المساكن القديمة إلى مساكنَ حديثة؛ حتى تزيد من قيمتها. وهاك مثالًا:

(15) This land is ripe for development.

(١٥) هذه الأرض جاهزة للتنمية (للاستثمار/للاستغلال الاقتصادي).

(16) The development area in the Eastern Nile Delta is already attracting many businesses.

(١٦) بدأت منطقة التنمية في شرق الدلتا بمصر في اجتذاب أنشطة كثير من رجال الأعمال.

والواضح أن التعبير هنا ركيك؛ لأن المقصود بمنطقة التنمية هو المنطقة التي تشهد جهودًا استثمارية؛ أي ضَخ رءوس الأموال في المشروعات ploughing capital into projects (أمَّا كلمة pumping فلا تعني الضخ بهذا المعنى، بل الاستدرار او الاستخراج)، ومن ثم فقد يكون من الأفضل استخدام التعبير الدقيق وهو الاستثمار أو الاستغلال الاقتصادي بدلًا من الكلمة ذات الدلالة المظلية.

وتُستخدم كلمة developing أي النامية صفةً للبلدان التي تزيد من طاقتها الإنتاجية، وترفع من مستوى معيشة شعوبها، بدلًا من التعبير القديم underdeveloped؛ أي التي لم تحقِّق التنمية بعد، والتي كانت تُترجَم بكلمة المتخلِّفة backward، ولمَّا شاع استخدام التخلُّف lagging behind للإشارة إلى التخلُّف العقلي mental retardation استنكفت البلدان العربية أن تستخدم هذا التعبير في الإشارة إلى تلك البلدان، وفضَّلت الكلمة الجديدة وهي developing، وترجمتها أولًا ترجمةً مطوَّلة وهي «السائرة في طريق النمو»، ثم عدَّلتها إلى «النامية». أمَّا البلدان التي يُعتقد أن تنميتها قد اكتملت فيُشار إليها بتعبير developed، وكانت أيضًا تُترجم بعبارةٍ ثقيلة هي «المتقدِّمة النمو»، ثم حذفت «النمو». ولمَّا لاحظ المترجمون أن استخدام «النمو» (growth) غير مقابل للتنمية، على نحو ما أوضحنا، أتَوا بلفظ الإنماء، بل إنهم غيَّروا عنوان برنامج الأمم المتحدة للتنمية United Nations Development Programme (UNDP) إلى برنامج الأمم المتحدة الإنمائي حتى يشمل الإنماء التنمية والنمو جميعًا.

(١١-٧) والشائع أن يشير الكُتَّاب إلى من يضع مشروعًا أو يشتق منهجًا أو يستن مذهبًا بأنه He has developed a project/method/system ... etc.، والأفعال التي استخدمتها بالعربية مقصودة؛ فكلها تفيد الابتكار أو الابتداع، ولكن هاتَين كلمتان متخصِّصتان، والأخيرة لها محاذيرها؛ فنحن نحب الإبداع نكره البدع؛ ولذلك فكلمة «يضع» هي الكلمة المحايدة التي لا تُغضب أحدًا.

(١١-٨) وسأعرض ختامًا لبعض استعمالات الفعل التي لا تفيد أيًّا من المعاني السابقة، وأولها هو «ظهر»، كأن تقول:

(17) He seemed to be suffering simply from a common cold fever, but the symptoms of malaria soon developed.

(١٧) كان يبدو أنه لا يعاني إلا من ارتفاع درجة الحرارة المصاحبة لنزلة برد عادية، ولكن سرعان ما ظهرت عليه أعراض الملاريا.

وثانيها هو تحميض الأفلام الفوتوغرافية:

(18) When the film was developed, none of the pictures proved satisfactory.

(١٨) اتَّضح بعد تحميض الفيلم أن الصور جميعًا فاسدة.

والمادة التي تُستخدم في التحميض تُسمَّى developer، وأمَّا التحميض والطبع معًا فيُطلَق عليهما اسم جامع هو processing. وهكذا فنحن إزاء كلمة تتلوَّن بألوان السياق، ولن ينجح المترجم مهما تكن براعته في رصد كلمة واحدة لها في كل سياق.

(٩-١١) ولكن مشكلات development بمعنى التنمية قد ازدادت في الثمانينيات، عندما تفتَّقت أذهان رجال الاقتصاد عن صفةٍ جديدة يلصقونها بالتنمية وهي sustainable، والتي سرعان ما تُرجمت بكلمةٍ جديدة هي «المستدامة»، ففتحت باب الجدل حول دقة معناها أولًا، ثم حول صحة اشتقاقها ثانيًا. أمَّا دقة معناها فتكتنفه شكوكٌ كثيرة؛ فمعنى الكلمة الإنجليزية هو ما يمكن مواصلته والاستمرار فيه، وهو معنًى لا خلاف عليه، ونحن نجده في سياقاتٍ اقتصادية متعدِّدة، منها السياق الاقتصادي العام، فإذا اتجهت البنوك مثلًا، بناءً على تَوجُّهاتٍ سياسية معيَّنة political orientations (وهي كلمة من الكلمات الموضة التي توازي تمامًا كلمة directions (اتجاهات) أو trends أو tendencies أو حتى currents وغيرها)، إلى تخفيض سعر الفائدة على القروض إلى الحد الذي يجعل المستثمرين يقترضون مبالغ طائلةً ويستثمرونها في مشروعاتٍ طَموحة (سنعود إلى هذه الكلمة فيما بعد)، أو واسعة النطاق ambitious/large scale، بحيث تتجاوز حدود المخاطر المحسوبة calculated risks (أي التي دُرست احتمالات وقوعها والآثار المترتِّبة على ذلك دراسةً دقيقة)، وتتجاوز المعدَّلات المتوقَّعة للتنمية والنمو — والمعدَّل rate هو نسبة الزيادة في زمنٍ معيَّن، بخلاف النسبة ratio التي لا تتضمَّن عنصر الزمن — فقد يرى رجال الاقتصاد أن شدة النشاط الاقتصادي قد ازدادت عن الحد، وهم يطلقون على ذلك لفظ overheating؛ أي زيادة السخونة عمَّا ينبغي، ومن ثم يرَون أن معدلات النشاط الاقتصادي لا يمكن الاستمرار فيها، بمعنى استحالة إيجاد الموارد المادية (الطبيعية أو البشرية مثل مصادر الثروة أو رءوس الأموال أو الخبرات) القادرة على مساندة هذا النشاط لفترةٍ طويلة، فيتدخَّلون لدى الحكومة حتى تجعل البنك المركزي

يرفع من سعر الفائدة على القروض، ويوجِّه البنوك التجارية commercial banks بأن تحذو حذوه؛ بغية الحد من «التسخين الزائد» والسير في طريق الانتعاش الاقتصادي الذي يمكن للدولة أن تستمر فيه، وهم يطلقون على هذا التعبير الشائع sustainable economic recovery؛ أي الانتعاش الاقتصادي الذي يمكن استمراره لوجود ما يسانده من العوامل الاقتصادية المعروفة. وكلمة sustainable إذن تضم عنصرَين هما الاستمرار والمساندة، وإن كان عنصر المساندة هو «سبب الاستمرار»؛ ولذلك فقد نختار أن نتصوَّر أن العنصر الثاني مدرجٌ ضمنًا في العنصر الأول، فنحذف الإشارة إليه في العبارة التالية «القادر على الاستمرار (لوجود العوامل المساندة له)»، وهذا هو ما يفعله المترجمون الذين ابتدعوا كلمة «المستدام» في شتَّى مجالات التنمية.

(19) The availability of cultivable land may not be enough to plan any agricultural expansion in the south, for sustainable agricultural development will require more resources than the State can currently afford.

(١٩) قد لا يكون توافر الأرض الصالحة للزرعة كافيًا لوضع خطط التوسُّع الزراعي في الجنوب؛ إذ إن التنمية الزراعية المستدامة تتطلَّب من الموارد ما لا تملكه الدولة في هذه الآونة.

ولو أبدلنا «المستدامة» بالمستمرَّة ما خسر المعنى شيئًا، شريطة أن نذكر أن «الاستمرار الاقتصادي» يتضمَّن المعنى المحدَّد المشار إليه آنفًا، وربما كان هذا هو السبب الذي جعل المترجمين يختارون كلمةً جديدة تقبل إدراج هذا المعنى الجديد، ولكن الواقع أنها، على شيوعها، لا تُفهم إلا بالإحالة إلى الكلمة الإنجليزية؛ فهي — شأنها في هذا شأن الكثير من كلمات الأمم المتحدة — لا تنقل هذا المعنى المطلوب إلى القارئ العربي الذي لا يعرف الكلمة الأصلية، وهذا هو سر اعتراض البعض عليها.

وأمَّا صحة اشتقاقها فلا خلاف عليه؛ فالمستدام هو «المطلوب إدامته»، وهي على قياس «المستعان»؛ أي الذي يُطلب منه العون، وفي التنزيل العزيز ﴿وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: ١٧)، وهنا نجد أن القياس على صحته يأتي بمعنًى غير المعنى المقصود، فلسنا نطلب من التنمية الدوام، بل نطلب أُسسًا لتنميةٍ دائمة؛ حيث إن العنصر الثاني لا ينبغي أن يغيب أبدًا عن ذهننا، ويجب أن نذكر أن الغذاء بالإنجليزية معناه sustenance، وهي الكلمة التي تعني ما يدعم الحياة؛ أي يساعد الإنسان على البقاء، والقدرة على البقاء هي القدرة على استمرار الحياة (انظر باب viable ومعاني viability)،

وهكذا فإن التنمية المستمرَّة تعني التنمية التي تتوفَّر لها مقوِّمات التنمية الناجحة، وهي المقوِّمات الثابتة التي تكفل الاستمرار، وقد تكون كلمة المستديمة أقرب إلى المعنى هنا ما دمنا قد افترضنا أن الاستمرار لن يتحقَّق إلا بتوافر مقوِّماته، وانظر المثال التالي إذن:

(20) In sustainable development, conceived in modern economic terms, partnerships are formed not only in terms of capital and expertise, but also in terms of common interests and objectives.

(٢٠) إن التنمية المستمرَّة بمعناها الاقتصادي الحديث تتطلَّب صورًا متعدِّدة من صور المشاركة، وهي لا تقتصر إذن على المشاركة في رأس المال والخبرة، بل تتضمَّن وجود المصالح المشتركة والأهداف المشتركة أيضًا.

(١٠-١١) ولنقف وقفةً موجزة عند بعض الكلمات الشائعة التي تُحيِّر المترجم المبتدئ هنا، وأولها هو conceived وهي هنا اسم مفعول من الفعل to conceive بمعنى «يرى ذِهنيًّا»، وهو الذي نقابل بينه وبين to perceive بمعنى «يرى حِسيًّا»؛ أي بالعين أو بإحدى الحواس الأخرى، وإن كان المعنيان يختلطان في الاستعمال الجاري، وقد يكتفي المترجم بإيراد «يرى» فحسب للدلالة على أيٍّ من المعنيَين أو كليهما، على نحو ما ورد في مثالٍ سابق، أو يعمد إلى التمييز بينهما كما في المثال التالي:

(21) The government does not relish any opposition, and it suppresses the publication of any articles perceived to be critical of its policies.

(٢١) لا تقبل الحكومة أي معارضة وهي تمنع نشر أي مقالاتٍ ترى فيها انتقادًا لسياساتها.

(22) Pragmatism as conceived by the philosopher may be the basis of linguistic pragmatics.

(٢٢) إن البراجماتية بالمعنى الذي يراه الفلاسفة قد تكون الأساس الذي بُني عليه علم التداولية في اللغة.

(١١-١١) والكلمة الثانية هي terms، وهي الواردة في المصطلح in terms of أو في in-terms، والأول يُترجم عادةً بتعبير «من حيث»، وقد نتحايل لإيراد صيغة مشابهة للتعبير الآخر:

(23) He is an excellent teacher, in terms of his ability to communicate with his pupils.

(٢٣) إنه معلمٌ ممتاز من حيث قدرتُه على التواصل مع تلاميذه.

(24) Though quite impressive, the project has been a disaster in financial terms.

(٢٤) كان المشروع، على الرغم من مظهره الباهر، بمثابة كارثة مالية.

(١٢-١١) وأمَّا الكلمة الأخيرة في هذا السياق فهي كلمة partnership التي أتى لها زملاؤنا بلفظ «الشراكة» كأنما للتمييز بينها وبين المشاركة participation، ظانين أن كلمة partnership تقتصر على وجود شريكَين فقط لا عدة شركاء، استنادًا إلى الكلمة الشائعة في العربية المعاصرة «شريك حياتي!» وفي هذا تتفق الإنجليزية مع العربية؛ إذ جاء في اللسان «وامرأة الرجل شريكته»، وهو وهمٌ واضح، فكلمة partner تعني شريكًا من بين شريكَين أو من بين عدة شركاء كقولك «هو وشركاؤه»، وانظر تعريف المعجم المخصص:

partner: (a) one of two or more persons engaged in the same business enterprise and sharing its profits and risks, each as an agent for the other or others … etc.

والمعنى العام الذي يسبق ذلك هو:

(1) a person who takes part in some activity in common with another or others; associate.

فالشريك هو المشارك، والشركاء هم المشاركون taking part/participants، وأمَّا تحديد أنواع المشاركة في الأنشطة الاقتصادية فيأتي بإضافة صفات إلى الشريك، والكلمات الإنجليزية يتغيَّر معناها بتغيُّر النشاط الاقتصادي، وإن كانت ترجع اشتقاقًا إلى pars وpart (انظر باب department)، ولاحظ التعبير الإنجليزي in common الذي يعني المشترَك بفتح الراءK وكلمة sharing التي تعني الشيء نفسه.

وقد يكون الدافع إلى ابتكار كلمة الشراكة تصوُّر أن الكلمة الإنجليزية تعني المساواة بين الشركاء في كل شيء؛ أي ما نشير إليه بالمشاركة الكاملة full partnership، وهذا أيضًا وهم؛ ففي علوم المالية finance تعني كلمة partnership ما يعنيه الاقتصاديون بشركة التضامن الإنجليزية أو شركة التوصية، ولا بد من إيضاح أنواع هذا الضرب من الشركات حتى يتبيَّن عدم كفاية المصطلح العربي الجديد، إلا إذا أدرجنا فيه المعاني المتخصِّصة، وقَبِله رجال الاقتصاد بدلًا عن شركة التضامن أو شركة التوصية.

(١-١٢-١١) شركة التوصية الإنجليزية هي أي شركة تخضع لِمَا يُسمَّى بقانون المشاركة الذي أصدره البرلمان الإنجليزي عام ١٨٩٠م، ويختلف هذا النوع عن الشركة التجارية المستقلة an incorporated company التي تتمتَّع بشخصيةٍ قانونية أو اعتبارية legal personality؛ أي تُعتبر شخصًا قانونيًّا أو اعتباريًّا له حق امتلاك الأملاك والتصرُّف تصرُّف الأفراد، ويعود إلى جميع الشركاء فيه كل ما يحقِّقه من أرباح، وإن كان هذا الضرب ينقسم قسمَين: الأول هو الشركة ذات المسئولية المحدودة limited liability، والمقصود بالمسئولية هو المسئولية عن سداد ديون الشركة؛ فالقارئ يعرف أن liabilities عندما تأتي في كشف الحساب الختامي balance sheet تعني الخصوم؛ أي المبالغ المستحقة للغير والواجب اقتطاعها سدادًا لديون أو نفقات مُعلَّقة؛ أي خصمها (والتعبير هو assets and liabilities أي الأصول والخصوم، أو ما له وما عليه)، وهكذا فإن الشركة المحدودة أو «ذات المسئولية المحدودة» هي الشركة التي تقتصر مسئولية الشركاء فيها عن الديون على حدودٍ معيَّنة، وعادةً ما تكون هذه الحدود هي قيمة الأسهم (shares) التي يحملها كلٌّ منهم (وهذا هو الغالب الأعم). وقد تكون محدودةً في حالاتٍ نادرة بقيمة الضمان guarantee، وهو ما يُسمَّى «التحديد بالضمان» limited by guarantee، ومعناه موافقة المشاركين على سداد الديون المحدَّدة في المذكِّرة memorandum التي يُقصد بها بيان إنشاء الشركة، وهو عادةً ما يتضمَّن معلوماتٍ أو بنودًا إضافيةً مُلحقةً بعقد الإنشاء. وهذا النوع الأخير يكاد يقتصر على النوادي والجمعيات وما إلى ذلك في إنجلترا دون الشركات، ولا يكاد ينطبق على الشركات ذات رءوس الأموال أو الشركات المساهمة joint stock company منذ عام ١٨٩٠م، وأمَّا القسم الثاني فهو الشركة ذات المسئولية غير المحدودة unlimited liability وهي التي لا تقتصر مسئولية المشاركين فيها عن الديون على قيمة الأسهم. أقول تختلف شركة التوصية الإنجليزية عن هذا النوع الشائع من الشركات في أنها لا تتمتَّع بشخصيةٍ قانونية، ومن ثم فإن الشركاء يتحمَّلون ديون الشركة حتمًا، ولا مجال هنا لوضع حدود من أي نوع، وإن كُنَّا في مجال شركة التوصية نفرِّق أيضًا بين الشركاء العموميين general partners وبين الشركاء المحدودين limited partners؛ فالشركاء العموميون يتحمَّلون جميع الديون المستحقَّة على الشركة في حالة إفلاسها أو انهيارها؛ أي تصفيتها، مهما تكن تلك الديون، ولا يتحمَّل الشركاء المحدودون إلا الديون التي تتناسب مع حجم استثماراتهم في الشركة، وأمَّا شركة التوصية المحدودة a limited partnership فهي التي تضم شركاء عموميين وشركاء

محدودين معًا، وتخضع في تنظيمها لقانون شركات التوصية المحدودة الذي صدر عام ١٩٠٧م في إنجلترا، وهو الذي لا يزال ساريًا حتى الآن (٢٠٠٠م)، ومن طرائفه النص على ما يُسمَّى شركة التوصية الحرة partnership-at-will، ومعناها عدم تقيُّد المشاركين فيها بمدةٍ زمنية مُعيَّنة، بل يجوز لأيهم لو أراد أن يخرج من الشركة بشرط إبلاغ جميع المشاركين فيها باعتزامه ذلك، كما ينص ذلك القانون على ما يُسمَّى بـ «المشاركة الاسمية» nominal partnership، ومعناها أن يسمح فرد للشركة باستخدام اسمه فقط فيما يعود بالخير على الشركة، دون أن يكون شريكًا قانونيًّا، في مقابل بعض المكافآت العينية أو المالية (وهذا شائعٌ في بريطانيا)، ودون الحصول على أية نسبةٍ من أرباح الشركة.

وتتميَّز شركات التوصية الإنجليزية إذن بأنها ليست ذات شخصية قانونية؛ ولذلك فإن الشركاء فيها يرتبطون باتفاقية مشاركة partnership agreement يُسمَّى أحيانًا عقد المشاركة partnership deed، وليلاحظ القارئ استخدام deed هنا بمعنى العقد، وهو الذي شاع في مصر عندما وزَّعت حكومة الثورة عقود التمليك title deed على صغار المزارعين في أوائل الخمسينيات في مصر، وعجب الناس من استخدام الكلمة، على صحتها، في هذا السياق. والمعروف أن هذا النوع من العقود له جذوره التاريخية؛ فهو عادةً ما يكون وثيقةً موقَّعة ومختومة ومطوية، وهو لا يصبح ساري المفعول في حالة نقل ملكية الأرض إلا إذا سُلِّم باليد! وأمَّا title فهو حق الملكية أو الحق في شيءٍ ما، ومنه جاء الفعل entitle؛ أي «يخوِّل لشخصٍ ما الحق في كذا». وأمَّا عقد المشاركة فيختلف عن عقود الشركات التجارية المستقلة في أنه يتفاوت من حالةٍ إلى حالة، ولا ينطبق عليه قانون مُوحَّد؛ ففي عقد المشاركة الإنجليزي لا بد من النص على أسلوب توزيع الأرباح، والإجراءات الواجب اتخاذها في حالة وفاة الشريك أو انسحابه (retirement، ولاحظ أن الكلمة تُترجَم بلفظ التقاعد أو الإحالة إلى المعاش في سياقاتٍ أخرى) أو إفلاسه، وكذلك قواعد سحب رأس المال، أو جانب منه، من الشركة. ويتميَّز الشركاء هنا بأنهم لا يتقاضَون رواتب سنوية (salaries وإن دُفعت على أقساطٍ شهرية أو فصلية!) ولا تُدفع لهم فوائد على رءوس أموالهم!

(٢-١٢-١١) والغريب أن يولع الكتَّاب ولعًا شديدًا بكلمة الشراكة، ظانين أنها قادرة على أن تحمل جميع معاني الكلمة الإنجليزية المشار إليها، بل وأن يستخدموها في سياقاتٍ اقتصادية يمكن أن تؤدِّي إلى بلبلةٍ في المعنى، هذا إذا قَبِلنا أن الشراكة توازي partnership اصطلاحًا، وكل ما أُثير من اعتراضاتٍ بصدد الكلمة العربية الجديدة لا

يعدو صحة اشتقاقها من شِرك، وكراهة أن توحي بالشرك بالله، وهذا جميعًا ممَّا لا يجدر بنا أن ننظر فيه، فلا يعني عدم ورود الكلمة عند الأقدمين عدم جواز استخدامها عند المحدثين، ما دام لها نفعٌ مؤكَّد، وما دامت الحاجة تدعو إليها، فإذا كُنَّا نريد أن نوازي اصطلاحًا بين partnership وشراكة، دون أن نربط هذه بأصولها العربية أو بنظائرها القريبة منها مثل الشِّراك (الطريقة من الكلأ الأخضر تكون منقطعةً عن غيرها، أو سير النَّعْل على ظهر القدم) والأشراك (جمع شَرَك وهو حبالة الصيد) (الوسيط واللسان)، وإذا كُنَّا قادرين على تحديد المعنى الاقتصادي المشار إليه آنفًا دون عَنَت وبوضوح، فلا بأس بذلك. ولكن الذين يستخدمون كلمة الشراكة اليوم يوحون بأنهم لا يقصدون ذلك المعنى، بل يقصدون المشاركة «على قدم المساواة» on an equal footing (وهو التعبير الشائع الذي استحدثناه في العربية) كقول بعضهم: «إن هدفنا هو الشراكة العربية الأوربية»:

(25) Our aim is an Arab-European partnership.

أو كقول الآخر: «إن الولايات المتحدة شريكٌ في عملية السلام في الشرق الأوسط.»

(26) The USA is a partner in the Mideast peace process.

ولكن التعبير الإنجليزي لا يعني إلا أن الولايات المتحدة تشارك في الجهود المبذولة لإحلال السلام في الشرق الأوسط، كما اعتدنا سماع مَن يشير إلى الشراكة العربية الأمريكية، أو الشراكة «المتوسطية»، نسبةً إلى البحر المتوسط The Mediterranean Sea الذي كُنَّا نشير إليه فيما مضى باسم البحر الأبيض المتوسط، والنسبة إلى «المتوسط» شاعت، وهي تعني البلدان المطلة على هذا البحر، أو بلدان حوض البحر المتوسط، وفي كل حالةٍ من هذه الحالات يريد الكتَّاب أو يوحوا بالمساواة بين الشركاء، فإذا صحَّ تفسيري لمقصدهم فلا بد أن نضيف كلمةً إلى partners مثل equal حتى توضِّح المعنى، أمَّا إذا كانوا لا يعنون سوى المشاركة فلا بأس من إيراد الكلمة الإنجليزية قيد البحث هنا.

(١٣-١١) ولا نستطيع أن ننتهي حقًّا من هذا الباب دون الإشارة إلى الصفة المشتقة من الاسم وهي developmental، والتي ذكرنا من قبلُ أنها تُرجمت مرةً بالتنموي ومرةً بالإنمائي، وذكرنا أن تغيير اسم برنامج الأمم المتحدة الإنمائي قد قُصد به أن يجمع بين النمو والتنمية، ولكن المشكلة هي أننا مقيَّدون في اللغة العربية بصيغٍ صرفية ثابتة المعنى، ولا نكاد نتجاوز ذلك المعنى الثابت حتى نقع في دُوامة الغموض؛ ولذلك فنحن نستمسك بهذه الصيغ ولا نخرج عنها، ونكاد نحدِّد لكلٍّ منها معنًى اصطلاحيًّا ثابتًا بغض النظر عن جذوره الاشتقاقية، وفقًا لِمَا نراه من المعاني التي تحملها الألفاظ

الأجنبية على نحو ما فعلنا مع مصطلح النمو والتنمية، وهما ينبعان من مصدرٍ واحد لا خلاف على معناه، وعلى نحو صيغة التنموي والإنمائي فهما من الصيغ الصرفية التي ليست جديدةً على العربية؛ أي صيغة النسبة (بإضافة الياء المشدَّدة) التي أصبحت توازي صيغة الصفة الإنجليزية؛ إذ أفادتنا هذه الصيغة في اشتقاق معظم الألوان التي نستخدمها اليوم في الفصحى المعاصرة؛ إذ نسبنا الرماديَّ ash-coloured إلى الرماد أي grey، ونسبنا البُنيَّ إلى البن coffee-coloured (brown)، ونسبنا البرتقاليَّ إلى البرتقال (والكلمة مُعرَّبة عن Portugal أي البرتغال)، ونسبنا إلى الزيت والنبيذ والرصاص وما إلى ذلك (انظر «المصطلحات الأدبية الحديثة» للمؤلِّف)، ولكننا عندما حاولنا محاكاة الإنجليزية في اشتقاق صفاتٍ من معظم الأسماء عن طريق النسبة، وجدنا أن القاعدة غير مُطَّردة (consistent/applicable at all times)، كأن تكون مقابلًا للاحقة al- أو ic- أو ive-، أو كأن تكون بديلًا لاستخدام الاسم الإنجليزي في موقع الصفة، بل إن بعض الصفات التي ابتدعناها بالعربية لا مقابل لها بالإنجليزية؛ مثل «الحضاري» و«الإعلامي»، فإذا وصفت سلوكًا بأنَّه حضاريٌّ أتيت له باسم المفعول civilized، أمَّا إذا تحدَّثنا عن منجزاتنا الحضارية فلن تجد إلا الإضافة the achievements of our civilization، وأمَّا السياسات الإعلامية فهي information policies؛ أي بالإضافة أيضًا، وهذا هو ما نفعله مع كلمة growth ومقابلاتها:

(27) “To double the annual growth rate”, as a stated government policy for the foreseeable future, may sound a little too ambitious, considering the depletion of the old resources and the lackadaisical attitude to the current population explosion.

(٢٧) قد ينم الهدف الذي أعلنته الحكومة من مضاعفة معدَّل النمو السنوي في المستقبل المنظور عن التطرُّف في الطموح بعض الشيء، إذا أخذنا في اعتبارنا نفاد الموارد القديمة، وفتور مواجهة الانفجار السكاني حاليًّا.

وقبل أن نتطرَّق لترجمة الاسم الذي يُستخدم صفةً في هذا السياق وهو growth، وتحويل «السياسات الحكومية المعلنة» إلى «الهدف/السياسة التي أعلنتها الحكومة» (وليلاحظ القارئ موازاة stated بكلمة declared)، يجدر بنا أن نقف قليلًا عند شيوع ترجمة foreseeable بالمنظور، وهي ترجمة لا بأس بها على الرغم من عدم التطابق الكامل بين الكلمتَين؛ فالكلمة الإنجليزية تعني «المستقبل الذي يمكننا أن نتنبَّأ به» لا

أن ننتظره، ولا «أن نتوقَّعه» أو «أن نترقَّبه»، والفعل «نظر» يفيد في أحد معانيه الفعل «أَنْظَرَ» أي أمهل وأخَّر؛ فأنت تقول «نظر الدَّين» و«أنظر الدَّين» بمعنى أخَّره؛ أي منح المدين مهلةً للسداد، وتقول «أنظرت البيع أو المبيع»؛ أي بعته بنَظِرَةٍ (بكسر الظاء) (وفي التنزيل العزيز ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ (البقرة: ٢٨٠)؛ أي بالنسيئة أي أنسأته، وليس هذا هو المعنى هنا، ولكن المنظور في العربية التراثية تعني «ما ترمقه الأبصار اشتهاءً ورغبة»، كما يقال إن فلانًا سيد منظور؛ أي «يرجى فضله» ونحن نقول في العامية إن فلانًا أو إن شيئًا منظور أي محسود (أصابته عين الحاسد، «العين صابتني»)، وليس هذا هو المعنى أيضًا، ولكن المعنى الجديد يسير المأخذ، قريبٌ إلى المعنى الدقيق للكلمة الأجنبية؛ ممَّا يجعلنا نقبل الكلمة العربية باعتبارها تعني «الذي يمكن النظر إليه» بمعنى استشفافه بناءً على معطيات الحاضر.

(١-١٣-١١) والكلمة الثانية هي seem التي لا تكاد تلمحها عين المترجم حتى يدرج مقابلها التليد «يبدو» أو «يظهر»، وهي تأتينا في هذا المثال متخفيةً في كلمتَي may sound، ونحن نعرف أن المعنى الدقيق هو to seem from the sound or manner of utterance؛ أي «يبدو» على نحو ما «يفهم أو ما يلوح للذهن من رنين هذه الكلمات أو نغمتها»، ومعنى ذلك أن الإدراك ذهنيٌّ في الحالتَين؛ فهو في seem يتوسَّل بالبصر، وفي sound يتوسَّل بالسمع، وكلاهما من الحواس الأساسية، وعادةً ما يبدأ الإنجليز بذكر البصر حين يقترن بالسمع، بخلاف العربية؛ فالله هو السميع البصير، وقد وهبنا السمع والبصر، فيقولون The sights and sounds؛ أي ما نراه وما نسمعه، أو المناظر والأصوات، ولمَّا كان التعبير الافتتاحي في المثال ٢٧ ألفاظًا مقتطفةً من حديثٍ أدلى به أحد المسئولين الحكوميين، فإن الفعل المناسب له هو sound، نسبةً إلى وقع الألفاظ على السمع ودلالاتها التي تحوَّلت في الترجمة إلى «ينم عن» (والبعض يفضِّل «ينم على» ولكن الحرفَين صحيحان، قال الشاعر: الصبُّ تفضحه عيونه وتنم عن وجدٍ شئونه)، فإذا رجعت إلى معنى «ينم» رأيت المعجم يقول: «نمَّ الحديث نمًّا: ظهر، ونمَّ الشيء انتشرت رائحته.» كما ستجد أنه يقول إن «النميم (هو): الصوت الخفي من حركة شيء أو وطء قدم.» وهكذا فإن الترجمة تنقل المعنى عينه، وإذا شاء المترجم أن يقنع بالفعل القديم «يبدو» ما لامه أحد.

(٢-١٣-١١) والعقبة الثالثة هو التعبير ... a little bit too ومعناه الحرفي «ما زاد عن الحد قليلًا»، وهذا يسيرٌ ولا صعوبة فيه، ولكن مكمن الصعوبة هو وصف السياسات

(أو الأهداف) بأنها «طموحة»، وهو استعمالٌ مجازي شاع في العربية، ويسمَّى بالإنجليزية transferred epithet؛ أي نقل الصفة من الإنسان إلى الشيء، بل لقد أصبحنا نقول إنه يقرأ كتابًا غبيًّا ترجمةً للتعبير الإنجليزي he is reading a stupid book، بمعنى أن الكتاب ينمُّ عن غباء كاتبه، ومن هنا فسَّر المترجم هذا التعبير المجازي بأن هذا الزعم من جانب الحكومة ينم عن طموح قائله أو طموح الحاكمين الذين يمثِّلهم ذلك المتحدِّث، ولا يعني ذلك حرمان المترجم من استعمال التعبير المجازي نفسه، فلقد شاع ولم يَعُد يمثِّل صعوبةً أو غرابة.

(٣-١٣-١١) وأخيرًا تُواجهنا كلمة considering، وهي اسم فاعل لا فاعل له، وكثيرًا ما يترجمها المحترفون بتعبير «نظرًا لـ» (بل «وبالنظر إلى»)، وأنا أفضل إيجاد فاعل، على الرغم من عدم إضافة شيء إلى المعنى، ويتكرَّر ذلك في تعبير «فتور الموقف» أو الفتور في المواجهة؛ فالمعنى المضمر هو فتور موقف الحكومة؛ أي عدم حماسها للتصدي للمشكلة، ولكن الترجمة هنا لا تأتي بفاعلٍ بسبب غموض الفاعل المفترض (supposed/putative)، فقد لا يكون الفتور منسوبًا إلى السلطة التنفيذية، بل إلى الشعب أو إلى الشعب والحكومة جميعًا.

(٤-١٣-١١) ونعود إلى ترجمة الصفة بصيغة النسبة أو الإضافة، فإذا كانت growth وحدها تُترجم بالنمو وdevelopment تُترجم بالتنمية، فإن الصفة المتخذة من النسبة — سواء اعتبرنا أنها «تنموي» أو «إنمائي» — قد تعود كما قلنا إلى أيٍّ من الكلمتَين السابقتَين، على اختلاف دلالة كلٍّ منهما، وفي هذا ما فيه من غموضٍ غير مستحبٍّ؛ ولذلك فقد يفضِّل المترجم الإضافة إلى الاسم (على نحو ما فعل في «معدَّل النمو»)، أو إلى الشرح (كما فعل في الحديث عن الحكومة بدلًا من النسبة إليها). وقد شهدنا في السنوات الأخيرة ظهور كلمات ذات دلالات مظلية جديدة مثل التكاثر reproduction، أو ما أصبح يُترجَم بكلمة «الإنجاب»، وهي كلمة تغري بالنسبة إليها؛ أي «الإنجابية» في العبارة التي وردت في سياق مؤتمر المرأة والتنمية.

(28) The emphasis on reproductive health is no irrelevant to the general purposes of the conference, for more than 50 per cent of the headaches of the developing world may be attributed to poor health, especially to prenatal and babyhood curable diseases – a field for worthwhile work in human development.

والمعنى المباشر للعبارة قيد النظر هنا هو «صحة الأم والمولود» وليس صحة الإنجاب؛ أي أن تكون الولادة «صحيحة» بمعنى عدم مخالفتها للقواعد الطبية السليمة؛ ولذلك فإن النسبة مضلِّلة.

(٢٨) لا يخرج التأكيد على صحة الأم والطفل عن الأغراض العامة للمؤتمر؛ إذ إن أكثر من ٥٠ في المائة من بلايا العالم النامي يمكن أن تُعزى إلى سوء الحالة الصحية، وخصوصًا إلى الأمراض التي يمكن علاجها في فترة الحمل والطفولة المبكِّرة – وهذا من مجالات العمل المجدي في إطار التنمية البشرية.

وقد يُفضِّل بعض المترجمين ترجمة الكلمة بـ «التناسلية»، وهي ذات مدلول أوسع وأشمل، وقد يكون أقرب إلى المعنى الأصيل في الكلمة الإنجليزية؛ فإن الجهاز التناسلي هو reproductive organs (وجرى العرف على ترجمة genitals بالأعضاء التناسلية)، والجهاز أعم وأشمل. ولكن ذلك يجعل الكلمة تتضمَّن مراحل سابقةً على الحمل، وهو غير المقصود اصطلاحًا بالتعبير الإنجليزي؛ ولذلك فقد وضع أحد المستشفيات في القاهرة عنوانًا لعيادةٍ له هو «صحة المرأة الإنجابية»، كأنما لتُخرج الرجل من إطار المعنى المذكور.

وسوف تظل مشكلة ترجمة الصفة ذات الظلال الدلالية بصيغة النسبة العربية من أعقد المشكلات التي يواجهها المترجم العربي؛ فنحن مثلًا ترجمنا كلمة prenatal بعبارةٍ كاملة هي «في فترة الحمل»، ومعناها الحرفي هو «قبل الولادة»؛ أي إننا ساوينا بينها وبين during pregnancy، وبهذا قصرنا المعنى على المقصود، وتجنَّبنا اشتقاق صفة بالنسبة من الولادة أو الوضع (قبل ولادي؟ قبل وضعي؟) في حين أننا قد لا نتحرَّج من ذلك في سياقاتٍ أخرى كقولنا «بعد حداثي» post-modernist أو بعد الحداثية/ما بعد الحداثة postmodernism، بل و«قبل حداثي» و«قبل الحداثية» وpre-modernist في الإشارة إلى لوحةٍ أو عمل فني ما.

الباب الثاني عشر: facility

(١-١٢) هذه من الكلمات ذات المظلات الدلالية وفقًا للتعريف الذي أوردناه في صدر الكتاب، أمَّا أصل معناها فهو معنًى مجرَّد؛ أي السهولة واليسر، وهو ما اعتدته في قولك:

(1) She has great facility in learning languages.

(١) إنها تستطيع تعلُّم اللغات بيسرٍ بالغ (وتعني هنا الموهبة).

(2) She shows facility in performing any task requiring accuracy such as …

(٢) تتجلَّى سهولة أدائها لأي مهمةٍ تتطلَّب الدقة في … (وتعني هنا المهارة).

(3) She can paint with facility, even though she’s never been to any art school.

(٣) تستطيع ممارسة التصوير الزيتي بسهولة، وإن كانت لم تلتحق بأي معهدٍ فني في حياتها (تشير إلى الموهبة الفطرية).

وقد يكون من المناسب أن نشير إلى سبب ترجمة school بمعهدٍ لا بمدرسة؛ فالواقع أنهما من الكلمات ذات الدلالات المظلية، وكلمة معهد اختصار لتعبير «معهد تعليمي» educational institute، ولا توضِّح المعاجم العربية كيف اكتسب المصدر الميمي من عهد هذا المعنى، إلا أن تكون من الحضور والاجتماع (المعهد: محضر الناس ومشهدهم)، وأمَّا الكلمة الإنجليزية فمشتقةٌ من اللاتينية schola، واليونانية schole التي تعني وقت الفراغ وما يشغله من مناقشات، أو الفلسفة، أو الدراسة. ويجب علينا ألَّا نفوِّت هذه الفرصة للتمييز بينها وبين المعنى الآخر لكلمة school التي نُطلقها على سربٍ من الأسماك؛ فهي

مشتقةٌ من كلمةٍ جرمانية (لا تزال حيةً في اللغة الهولندية بنفس الهجاء)، وانتقلت إلى الإنجليزية القديمة في صورة scolu، وتحوَّلت إلى shoal التي توازي school في الإشارة إلى هذا المعنى تمامًا. ويطلِق الإنجليز والأمريكيون كلمة school بمعنى المعهد التعليمي أو معهد البحوث عل كل منشأةٍ establishment ذات علاقة بالعلم أو التعليم أو البحوث، بغضِّ النظر عن حجمها أو تخصُّصها. فتعبير LSE (London School of Economics) هو أرفع معهد للبحوث الاقتصادية (والاجتماعية) في بريطانيا، وإن كان قد اكتسب شهرةً في مجال الدراسات الاشتراكية، وأصبح خريجوه موسومين باليسارية.

(١٢-٢) ومعنى facility الثاني هو معنًى مجسَّد، على عكس المعنى السابق المجرَّد (أي الذي لا يقبل الجمع)، وأصل المعنى الثاني هو كل ما من شأنه تيسير إنجاز شيء، ثم اتسع المعنى فأصبح يُطلَق على المعدَّات والأدوات التي تسهِّل الأداء، ومنه إلى المكان الذي يتضمَّن هذه الأدوات والأجهزة. ومن ثم فقد يَستخدم كاتب الإنجليزية كلمة facility بمعنى مكان وجود هذه المعدَّات، باعتبار أن المكان نفسه هو الوسيلة، وهكذا نشأ الخلط الذي يقع فيه كثيرٌ من المترجمين. ولنبدأ بالمعاني الأصلية:

(4) The facilities available for travel today have made the world a small place.

(٤) إن وسيلة الانتقال التي يسَّرت السفر اليوم قد جعلت العالم مكانًا محدود المساحة.

أي إن المترجم هنا يفصل بين عناصر الكلمة الإنجليزية، فكأنما يعيد صياغتها على النحو التالي:

"The means of transport which have facilitated travel …"

ولكن من حَقِّه أن يتجاهل الشرح:

(٤-أ) إن وسائل الانتقال الميسرة قد جعلت …

(٤-ب) إن وسائل الانتقال المتاحة لنا اليوم قد جعلت …

(5) The school has adequate study facilities, but hardly any sports facilities.

(٥) يوجد بالمدرسة ما يكفي من الوسائل التعليمية، ولكنها تكاد تفتقر إلى المرافق الرياضية.

وهكذا نجدنا مُضطرِّين إلى استخدام الكلمة ذات الدلالة المظلية التي أصبت شائعةً في ترجمة facilities، وهي مرفق ومرافق، والتي تعني في العربية كل ما يساعد في

فعل شيء أو أداء عملٍ ما. وأصل ذلك المعنى موجودٌ في تسمية أجزاء الذراع (الساعد والعضد والمرفق)؛ ولذلك تُطلِق المنظَّمة العالمية للأرصاد الجوية World Meteorological Organization (WMO) مصطلح مرفق البيئة العالمية على «الهيئة» التي تتولَّى رصد كل تغيير يطرأ على البيئة الطبيعية في العالم Global Environment Facility (GEF)، وهي تسمية محايدة ولا شك، ولكنها قطعًا لا تُفصح عن العمل الذي يقوم به ذلك «المرفق»، وسوف يَرُد على ذلك المترجمون قائلين: وهل تُفصح الكلمة الإنجليزية عن ذلك العمل؟ وهم محقُّون!

(١٢-٣) ومشكلة كلمة المرفق (والمرافق) هي أنها تشير إلى مؤسَّساتٍ معيَّنة تُنشئها الدولة لتقديم الخدمات التي لا يقدر على أدائها الأفراد أو القطاع الخاص؛ فالمرافق العامة هي public utilities؛ مثل مرفق مياه الشرب، ومرافق الكهرباء والمجاري وما إليها، وهي — وإن أُطلق على بعضها لفظ الشركة — تختلف عن الشركات التجارية في أشياءَ كثيرة، أهمُّها أنها تابعة للدولة state-owned؛ أي تملكها الدولة، وتديرها الدولة state-run، وأحيانًا يُطلَق عليها تعبير public services (وحذار إذن من ترجمتها بالخدمات العامة!) وأنا أسميها مشكلةً لأن المرفق قد يتضمَّن عددًا من المنشآت التي قد يُطلق عليها لفظ facilities، ونحن قطعًا لا نطلق على المرافق العامة هذه الكلمة؛ فقد تكون لهيئة السكك الحديدية منشآت لتجديد القاطرات locomotive renovation facilities، وهي أشبه شيء بالمصانع أو المعامل (ونطلق عليها في مصر لفظ الورش جمع ورشة)، ومنشآت لإصلاح السيمافورات (أي أجهزة الإشارات عند التقاطع) semaphore repair facilities وما إليها، وقد يكون لهيئة مياه الشرب منشآت لتحلية مياه البحر أو لضَخِّها أو لتخزينها وما إليها desalination of sea water storing or pumping facilities، وقِس على ذلك سائر الهيئات. ترى هل يقوم المترجِم إن المرافق العامة لها مرافق صناعية؟

(١٢-٤) استنادًا إلى الخبرة الطويلة مع هذه الكلمة يمكن للمترجم أن يقصر معناها بالعربية على الدلالات المحدَّدة في كل حالة؛ لأن محاكاة اللفظ ذي الدلالة المظلية سوف يوقعه في مشكلاتٍ كبيرة أهمها الغموض، وسوف توضِّح الأمثلة ذلك:

(6) The new water desalination facilities established by Saudi Arabia in Jeddah are the envy of the world; but countries with no easy access to sea water cannot make use of such facilities.

(٦) مصانع تحلية المياه التي أنشأتها المملكة العربية السعودية حديثًا في جدة محط إعجاب العالم، ولكن البلدان التي لا يتاح لها الحصول بيسرٍ على مياه البحر لا تستطيع الانتفاع بمثل هذه المنشآت.

(7) A new signalling facility has been set up by the army to serve civil aviation in the north of Kosovo, currently under UN control.

(٧) أنشأ الجيش محطةً جديدة للإشارات (تابعة لسلاح الإشارة) لخدمة الطيران المدني في شمال إقليم كوسوفو، وهي المنطقة التي تخضع حاليًّا لإدارة الأمم المتحدة.

(8) The language laboratory (lab.) established in the department of English is a valuable teaching facility.

(٨) يُعتبر معمل اللغات الذي أُنشئ في قسم اللغة الإنجليزية من الوسائل التعليمية القيمة.

(9) The radar facilities at Cairo Airport are periodically updated to cope with the increasing volume of traffic.

(٩) يجري تحديث أجهزة الرادار في مطار القاهرة بصفةٍ دورية حتى تستطيع مواجهة الزيادة في الحركة.

ونلاحظ هنا — عرضًا — حذف كلمة volume (حجم) وترجمة traffic بالحركة، وهي الكلمة الشائعة في السكك الحديدية ترجمةً للكلمة الإنجليزية نفسها. ونشير — عرضًا أيضًا — إلى أن traffic التي ارتبطت في الأذهان بالمرور تعني ما أثبتنا، وهذا هو تعريفها في المعجم:

(movement of) people and vehicles along roads and streets, of aircraft in the sky.

وتُستخدم الكلمة في معانٍ أخرى أهمُّها الاتِّجار غير المشروع ببعض الأشياء مثل المخدِّرات (drug trafficking: illicit trade in drugs/narcotics)، وقد تُستخدم للإشارة إلى أنشطة الإنسان العادية كقولك:

(10) In his daily traffickings, a Cairene resident is often made conscious of the suffocating pollution.

(١٠) كثيرًا ما يشعر قاطن القاهرة في حياته اليومية بالتلوُّث الخانق.

(11) The facilities required for the new hospital must include a child-care clinic, a maternity ward and a day-nursery: many would-be mothers

can ill-afford to engage baby-sitters if they have to spend more than a day or two in hospital.

(١١) لا بد أن يكون من بين التجهيزات المطلوبة للمستشفى الجديد عيادة للعناية بصحة الأطفال، وعنبر للحوامل، وروضة أطفال يقضون فيها ساعات النهار؛ فكثيرٌ من الحوامل اللائي أوشكن على الوضع لا يستطعن تحمُّل تكاليف من يرعى أطفالهن إذا اضطُررن إلى قضاء مدة تزيد على يوم أو يومَين في المستشفى.

وهكذا فنحن لا نحتاج حقًّا لكلمة مرفق أو مرافق عندما يُفصح السياق عن معنًى محدَّد لكلمة facilities، ولن يكون من المتعذِّر العثور على كلماتٍ عربية ذات معانٍ محدَّدة؛ فلغتنا زاخرة بها والحمد لله، وأمَّا الاطمئنان إلى لفظٍ واحد يُعفينا من مشقة التفكير، فهو الكسل بعينه.

الباب الثالث عشر: formulate

ترجع صعوبة هذه الكلمة إلى شيوع استخدامها في غير المعنى المعجمي لها؛ فالمعنى المعجمي هو «يضع فكرةً أو رأيًا في قالبٍ لفظي مُحدَّد المعنى»، أو «يضع أفكاره في صورةٍ محدَّدة واضحة»؛ ولهذا ذهب مُعظم المترجمين إلى اختيار فعل «يصوغ» والاسم منه «الصياغة» ترجمةً لها. والكلمة قريبة المعنى من الكلمة الإنجليزية حتى لَتوحي بالتطابق، ولكنها تُغفل بعض العناصر الدلالية التي أكاد أقطع بأن من يكتبونها بالإنجليزية لا يأبهون لها! ومع ذلك فلْنبحث المعنى الأصلي أولًا.

(١–١٣) الكلمة فعلٌ مشتقٌّ من الكلمة الإنجليزية formula المشتقة من الكلمة اللاتينية المطابقة لها، والتي هي تصغيرٌ لكلمة form أي شكل أو صورة. ويقول بعض علماء اللغة إن الكلمة اللاتينية forma هي قلب للكلمة اليونانية morphe، وإن كان الخلاف على هذا لم يُحسم بعد. أمَّا معاني formula فيُمكن إيجازها في ما يلي:

المعنى الأول والأهم هو القالب اللغوي الثابت الذي قد لا يعني ما قُصد به أصلًا (أو أولًا)، وأصبح تركيبةً ثابتة لا تتغيَّر، مثل «أهلًا وسهلًا» (نزلت أهلًا وحللت سهلًا)، التي يُقصد بها الترحيب فقط، بل إن «مرحبًا» نفسها قالبٌ لا يعني أن المكان رَحبٌ (واسع) يكفي نزولك (على الرحب والسعة)، أو مثل قولك «وتفضَّلوا بقَبول فائق الاحترام» في آخر الخطابات الرسمية، وهي الصيغة الثابتة المترجمة عن الإنجليزية Please accept my highest regards/respects، وقِس على ذلك عشرات القوالب أو الصيغ الجامدة.

المعنى الثاني هو الأسلوب الثابت لتحقيق غاية أو أداء عمل مُعيَّن، مثل الشكل الثابت المتبَع في كتابة رواية بوليسية:

(1) The commonest formula for a successful detective story is to conceal a great deal of information about the motives for the crime, as well as

the real criminal, while keeping everybody else under suspicion until the very end.

(١) أكثر الأشكال البنائية شيوعًا في القصة البوليسية الناجحة هو إخفاء كثير من المعلومات الخاصة بدوافع الجريمة ومرتكبها الحقيقي، مع إثارة الاشتباه في جميع أبطال القصة الآخرين، حتى آخر لحظة.

(2) One accepted formula for a musical comedy is to have a musician or a singer play the leading role.

(٢) من القوالب المقبولة للكوميديا الموسيقية إسناد دَور البطولة لأحد الموسيقيين أو المطربين.

(3) A traditional formula for legitimizing military intervention (and occupation) is to have a dissident political party ask for help, then appear to be responding to a popular demand for saving the country from civil war or anarchy.

(٣) من الأساليب التقليدية المُتبعة لإضفاء الشرعية على التدخُّل العسكري (والاحتلال) أن يوعز المحتل إلى أحد الأحزاب السياسية المنشَقَّة بطلب المساعدة، بحيث يبدو أنه يتدخَّل استجابةً لمطلبٍ شعبيٍّ لإنقاذ البلاد من الوقوع في هُوة الحرب الأهلية أو الفوضى.

المعنى الثالث هو الصيغة الثابتة للإعراب عن عقيدةٍ دينية، أو عن عقيدةٍ سياسية (وهذه صِيَغ يصعب دحضها لأنها ربما تتضمَّن خِداعًا يصعب الكشف عنه أثناء الحوار)، أو عن أفكارٍ متوارثة يصعب نقضها. أمَّا نموذج الأول فهو التلفُّظ بالشهادتَين لدى المسلمين، وأمَّا نموذج الثاني فهو «الخبز هو الحرية»، أو «الحق فوق القوة»، أو «العدل أساس المُلك». وأمَّا نموذج الثالث فهو يتضمَّن كل الأمثال و«الحكم» السائرة التي قد يُناقض بعضها بعضًا، ومع ذلك فالناس تستشهد بها في حياتها العادية دون إحساسٍ بالتناقض، مثل «الصبر مفتاح الفرج»، و«الرزق يحب الخفية»، وهكذا فهذه صِيغٌ ثابتة يندر أن تخضع للنقاش.

والمعنى الرابع هو التركيبة الثابتة التي يُجهِّزها الأطباء لدواءٍ مُعيَّن، أو يُجهِّزها أهل الأغذية لإطعام فئة مُعيَّنة؛ فتركيبة الدواء هي الوصفة recipe التي ينبغي أن يحافظ فيها على نِسب المكوِّنات components، وتركيبة الطعام — مثل لبن الأطفال — هي التركيبة التي يحافظ فيها على المقادير الداخلة في تكوينها، ونُسمِّيها ingredients؛ إذ قد

يُضاف إلى اللبن المجفَّف بعض الفيتامينات أو المواد المعدنية أو السكر، وتعلن الشركات الصناعية عن هذه التركيبة على غِلاف المنتج الذي يُباع في الأسواق.

(4) The current formula of most milk powders includes vitamins and minerals, some essential for healthy growth.

(٤) التركيبة الشائعة لمعظم أنواع اللبن المجفَّف تتضمَّن الفيتامينات والمعادن، وبعضها ذو أهمية جوهرية لصحة نمو الطفل.

(5) The established formula for corn flakes is wheat flour plus other nutritional elements, real or bogus, designed to attract the young especially.

(٥) التركيبة الثابتة للكورن فليكس هي دقيق القمح مضافًا إليه بعض العناصر الغذائية الأخرى، سواء أكانت حقيقيةً أم كاذبة، التي تهدف إلى اجتذاب اهتمام الصغار بصفةٍ خاصة.

ولا بد أن نُشير عَرضًا إلى أن كلمة young تعني الصغير مثلما تعني الشاب والشباب، وهو المعنى الذي قد يغيب على كثيرٍ من المترجمين، كما يتضح من المثال التالي:

(6) Beethoven’s father was a pianist, and he wanted his son Ludwig to be like him; so at the early age of four, young Ludwig began to sit, with legs not reaching the floor, at his father’s grand piano.

(٦) كان والد بيتهوفن عازفًا للبيانو، وكان يريد لابنه لودفيغ أن يصبح مثله، وهكذا بدأ لودفيغ الصغير، وهو بعدُ في الرابعة من عمره، في الجلوس على كرسي البيانو الكبير الذي يمتلكه والده، ولم تكن قدماه تصلان إلى أرضية الغرفة.

والمعنى الخامس هو ما نسمِّيه بالمعادلة في علم الجبر (equation)؛ فنحن نقولًا مثلًا إن س + ص = ع، ونفترض أن أحد هذه الرموز (أو اثنَين منها) معروف، ونحاول من ثَم معرفة المجهول؛ أي استنباطه من المعادلة. وقد تكون المعادلة بسيطةً في مظهرها مُعقَّدةً في مخبرها، مثل معادلة أينشتاين الشهيرة، وهي: المادة × مربع سرعة الضوء = طاقة.

والمعنى السادس هو المعادلة الكيميائية التي توضِّح تركيب المركَّبات من عناصرها، وهو المعنى الذي شاع في الأفلام السينمائية والحلقات التليفزيونية التي تبغي الإثارة عن طريق المغامرات والمطاردات، فتصوِّر عميلًا لدولةٍ أجنبية أو مُنظَّمة سرية يختطف تركيبة سلاح سري يُهدِّد أمن البشرية، ويُطلقون عليه «التركيبة السرية» secret formula وهكذا.

(٢–١٣) وهذه المعاني كلها أو بعضها قائمة في الفعل formulate، ولكن الفارق شاسع بين المعنى الاشتقاقي للكلمة والمعنى الاصطلاحي لها؛ فالمعاني الاشتقاقية هي التي عرضنا لها في صدر الباب، وأَولاها هو التعبير بتركيبةٍ أو ضغط فكرة من الأفكار إلى تركيبةٍ بالمعنى المشار إليه، وهذا مثالٌ عليه:

(7) Man is distinguished from the other members of the animal kingdom by his capacity of laughter but the idea, thus formulated, should exclude some eminent political leaders form the human race.

(٧) يتميَّز الإنسان عن غيره من أفراد المملكة الحيوانية بقدرته على الضحك، ولكن وضع الفكرة بهذه الصورة من شأنه استبعاد كثير من الزعماء السياسيين البارزين من الجنس البشري.

أي إن الفكرة تتحوَّل إلى الصورة الموجزة «الإنسان حيوانٌ ضاحك» man is a laughing animal وهي كما ترى أقرب إلى التعريف؛ ولذلك فقد يرى المترجم أن يقول: «ولكن تعريف الإنسان على هذا النحو»، بدلًا من ترجمة الألفاظ الأجنبية.

وثانيها هو التعبير عن رأيٍ أو عن نظرية بأسلوبٍ منهجي منتظم:

(8) His ideas are original, drawn from empirical facts, and very valuable; indeed, like all new ideas, however, they are a little amorphous, requiring formulation if they are to constitute a theory.

(٨) إن أفكاره أصيلة، وتستند إلى نتائجِ تجارِبه الواقعية، وذات قيمة كبرى، ولكنها، شأنُها في ذلك شأنُ سائر الأفكار الجديدة، لا تزال هُلاميةً إلى حدٍّ ما، ولا بد من وضعها في إطارٍ منهجي مُحكَم حتى تُمثِّل نظريةً متكاملة.

وسوف أُحيل قارئ هذه الترجمة إلى ما قلته عن facts في بابٍ سابق، ثم أتوقَّف عند كلمة «متكاملة» التي أضفتها إلى النص! إننا نستخدم كلمة متكامل بالعربية لا لنعني التكامل بالمعنى العلمي integration أو complementarity؛ إي إن الشيء يتكوَّن من عناصرَ أو أجزاءٍ يُكمل بعضها بعضًا، ولكن لنعني بها فحسب اكتمال الشيء في ذاته بحيث لا يحتاج إلى ما يُكمله من خارجه، وكان بوسع المترجم هنا أن يقول: «حتى تصبح نظرية» ويقف، ولكن معنى التكامل كامن latent أو مضمر implicit في العبارة، ويُوحي به المقابلة بين الشكل الهلامي والانتظام المنهجي الذي تعنيه كلمة formulate، وهكذا فإن كلمة «متكاملة» زائدة، ولكن معناها قائمٌ ولو كان مضمرًا!

وثالث معاني formulate هو ابتكار فكرة أو تشكيلها في الذهن، أو قل «نسجها» من عدة خيوطٍ فكرية! وهي هنا تتضمَّن معاني عدة كلمات منها: devise (يبتدع)، وdevelop (انظر معانيها في الباب الخاص بها)، وcontrive أي يُدبِّر تدبيرًا فكريًّا (وقد يصبح التدبير عمليًّا إذا أدَّى إلى وضع أو ابتكار شيء مادي). والكلمة إذن قريبة الصلة بالفعل excogitate الذي يُفيد صَوغ الأفكار وابتداعها، والأمثلة كفيلة بإيضاح ذلك:

(9) The use of osmotic pressure in the desalination of water was first formulated by A. Nashar, an Egyptian scientist living in the USA, but the applications have been elaborated by US scientists.

(٩) كان علي النشار، العالِم المصري المقيم في الولايات المتحدة، هو أول من ابتدع استخدام الضغط الأسموزي في تحلية مياه البحر، أمَّا التفاصيل الخاصة بتطبيقات هذه الفكرة فقد وضعها العلماء الأمريكيون.

(10) An approach must be formulated for handling sentences before suggesting any practical solutions to their complex grammar in translation.

(١٠) لا بد من ابتكار منهج مُحدَّد لتحليل الجُمَل الطويلة قبل اقتراح أي حلول عملية لمشكلات التعقيد في بنائها النحوي عند الترجمة.

(٣–١٣) ولْنتوقَّف لحظةً هنا عند كلمة handling ذات الدلالة المِظلية؛ فقد تعني التناول أو الإمساك أو المس أصلًا، ولكنها تُستخدم في عدة معانٍ من «المناولة» في إطار التعاملات التجارية، إلى «التصدي لـ» في إطار القتال والحرب، إلى «الحل» في إطار المسائل الحسابية، إلى آخره. ونحن هنا نترجمها بكلمة «التحليل»، وكان يمكن أن تعني الدراسة فهذا هو المقصود هنا، وكنت أنتوي تخصيص باب لها في هذا الكتاب، ولكن هذه العُجالة تكفي ولو اقتضى ذلك مثالًا أو مثالَين:

(11) The teacher wanted him to read 30 books before taking his qualifying exam: as he obviously could not handle such a huge mass of material, he never took his exam.

(١١) طلب منه المدرِّس أن يقرأ ثلاثين كتابًا حتى ينجح في اختبار التأهيل للدرجة، ولكنه لم يستطِع قراءة هذا الكَم الهائل من الكتب؛ فلم يدخل الامتحان حتى الآن.

(12) One look at the question paper was enough to convince him that he could not handle all the questions: he opted for the easy ones and, amazingly, passed.

(١٢) لم يكد ينظر إلى ورقة الأسئلة حتى أدرك أنه لن يستطيع إجابة جميع الأسئلة، فأجاب عن الأسئلة السهلة فقط، ومن الغريب أنه نجح.

(13) This is made of glass, so please handle it with care!

(١٣) هذا مصنوعٌ من الزجاج فأرجو تناوله بحذر!

(14) The Job involves teaching huge classes, correcting their weekly essays, and answering all their queries; do you think you can handle it?

(١٤) يتضمَّن العمل القيام بالتدريس لأعدادٍ كبيرة من الطلاب، وتصحيحَ موضوعاتِ الإنشاء التي يكتبونها مرةً في كل أسبوع، والإجابةَ عن جميع استفساراتهم، فهل تظن أنك قادرة على النهوض به؟

(15) The economic situation is getting out of hand, with rising unemployment and rampant inflation; so much so, in fact, that no government can hope to handle it in the short term.

(١٥) لقد أفلت زِمام الموقف الاقتصادي بارتفاع أعداد العاطلين وازدياد التضخُّم (المالي) إلى الحد الذي لا تأمل معه أي حكومة في التغلُّب على الأزمة في الأجل القصير.

(16) The computer is a complex machine but is really easy to handle.

(١٦) الكمبيوتر (الحاسب/الحاسوب) آلة مُعقَّدة، ولكنها يسيرة الاستعمال في الواقع!

ويمكننا تعديد الأمثلة إلى ما لا نهاية، وقد يكون المثال (١٣) هو الأصل، ولكن شيوع الكلمة أنسانا الأصول والفروع!

(٤–١٣) قلت إن الفرق شاسعٌ بين معاني formulate الدقيقة وبين المعاني الشائعة في الإنجليزية المعاصرة، وللمترجم أن يتحرَّر إذن من قيود المعاني الدقيقة إذا وجد أن الكاتب لا يقصدها، وهاك الأمثلة:

(17) The formulators of the US constitution were no doubt idealistic, which accounts for the fact that the Amendments are often cited than the original text.

(١٧) لا شك أن الذين وضعوا دستور الولايات المتحدة كانوا مثاليين، وهو ما يفسِّر لنا مَيل الناس إلى الاستشهاد بالتعديلات التي أُدخلت عليه أكثر من الاستشهاد بالنص الأصلي.

(18) The wording of the statement is too strong, but then the ideas are strident and, no matter how careful you may be in tempering it, the formulation will offend somebody, somewhere.

(١٨) صياغة البيان الشديدة اللهجة، ولكن ذلك يرجع إلى أن الأفكار نفسها عالية النبرة، ومهما يكن من حرصك على تخفيف اللهجة، فسوف تُغضب كلماته بعض الناس في مكانٍ ما.

وقد تعمَّدت الإتيان بتعبير wording للدلالة على الصياغة حتى أُساعد القارئ على تحرير ذهنه من ارتباط الكلمة العربية بكلمة formulation، وبالمناسبة فإن لجنة الصياغة (في المؤتمرات) تُسمَّى drafting committee!

الباب الرابع عشر: Implications

الكلمة شائعةٌ في الكتابات العلمية الحديثة، وأقصد بالكتابات العلمية كل ما يتصل بالعلم والبحث العلمي، سواء أكان ذلك في العلوم الطبيعية أم العلوم الإنسانية (أو الإنسانيات the humanities)، وعادةً ما تأتي في سياقاتٍ تجعل معناها ينصرف إلى «الآثار المترتِّبة على» شيءٍ ما، ولكن هذا المعنى الشائع لا تُدرجه المعاجم المترجمة (ثنائية اللغة)؛ لأن معظم الذين وضعوها (Iexicographers? dictionary compliers?) ليسوا من «المعجميين» بالمفهوم الذي تدل عليه الكلمات الإنجليزية السابقة، بل هم مترجمون، وهم يترجمون المعاجم الإنجليزية أو الأمريكية المتاحة لهم دون أن يتوافر لهم من الخِبرة ما يُمكِّنهم من استيفاء جميع معاني الكلمات الشائعة في اللغة الإنجليزية، وهي خِبرة من المُحال أن تتوافر لفردٍ واحد مهما بلغت دُربته ومهما استفاض علمه؛ ولذلك فإن واضعي المعاجم الإنجليزية الحديثة يستعينون بالمتخصِّصين في شتَّى فروع المعرفة؛ حتى تكتمل لهم معاني الكلمات في شتَّى فروع العلم واللغة. وهذا هو ما ينبغي فعله عند إعداد معجم مترجم أيضًا، وما هذا الكتاب إلا مساهمة من فردٍ واحد في هذا الجهد، ولا بد أن تنضم إليه جهود الآخرين.

(١٤–١) المعنى الأصلي لكلمة implication مستقًى من الفعل imply؛ أي يُدرَج ضمنًا، والفعل مشتقٌّ من السابقة أو البادئة in (التي تتحوَّل إلى im)، وply التي تعني يطوي أو المطوي، وإذا شئنا فعلًا من أفعال المطاوعة قلنا إنه يعني «ينطوي على». ومن معانيه الشائعة الإيحاء ضمنًا؛ أي النص غير الصريح على شيءٍ ما؛ فكلمة Implicit أي

الضمني هي عكس كلمة explicit أي الصريح، وهاك مثالًا:

(1) By accepting the document, the committee implicitly approved the principle of private capital participation in the project, but no specific rules of implementation could be inferred.

(١) كانت موافقة اللجنة على الوثيقة تعني ضمنًا قَبولها لمبدأ مشاركة رأس مال القطاع الخاص في المشروع، ولكننا لم نستطِع استنباط أية قواعد تنفيذية من الوثيقة.

والمُلاحظ هنا أن infer هي عكس imply؛ فالوثيقة توحي بشيءٍ غير مُفصَح عنه، والقارئ يستنبطه من قراءتها، ومعنى implicitly هو أن اللجنة لم تُعرِب صراحةً عن موافقتها على مشاركة القطاع الخاص برأسماله في المشروع، ولكن موافقتها على الوثيقة دلَّت على ذلك ضمنًا. والملاحظ أيضًا أن الموافقة والقَبول يتبادلان مواقعهما في الترجمة (لماذا؟). ولنا أن نُعبِّر عن معنى الموافقة الضمنية بكلماتٍ أخرى مثل:

(2) A tacit approval of private capital participation in the project could be inferred from the committee's acceptance of the document, but no other rules of implementation.

فقولك he tacitly agreed يعني أنه وافق دون أن يُفصح عن ذلك صراحة، وهذا معنًى يختلف بعض الشيء عن معنى imply الذي قد لا يقتصر على الإفصاح عن المعنى، بل قد يعني — كما ذكرنا — أن شيئًا ما يتضمَّن شيئًا آخر:

(3) If drama implies conflict, and poetry metaphor, then poetic drama must imply dramatization of metaphor!

(٣) إذا كانت الدراما تتضمَّن الصراع، والشعر يتضمَّن الاستعارة، فلا بد أن تتضمَّن الدراما الشعرية المعالجة الدرامية لاستعارةٍ ما!

وقد نُترجم الجملة ترجمةً أخرى على النحو التالي:

(٣-أ) إذا كانت الدراما تعني وجود الصراع، والشعر يعني وجود الاستعارة، فلا بد أن الدراما الشعرية تعني تصوير الاستعارة دراميًّا!

(٣-ب) إذا كان الصراع قائمًا في كل عملٍ مسرحي، والاستعارة قائمةً في كل عملٍ شعري، فلا بد …

ونحن بهذا إذن نبتعد عن معنى الضمنية أو معنى الإضمار؛ فالإضمار هو عدم الإفصاح، والصراع مُفصَحٌ عنه في كل عملٍ مسرحي وليس موحًى به! واختلاط معنى التضمين (أو الإدراج) بمعنى الإضمار هو سبب صعوبة الكلمة.

(١٤–٢) والعربية لغة واسعة تشتق الكلمات وتمنحها معاني جديدةً بأساليب الصرف المعروفة، وقد حوَّلت معنى يضمن ... guarantee, ensure, insure, secure etc إلى معنًى آخر هو معنى يتضمَّن (يفعل يتفعَّل)، وهو معنًى مُحدَّد قد يُفيد الاحتواء (يحتوي على/يشتمل على/يشمل ... إلخ)، وهذا هو المعنى الأول (والاشتقاقي) لكلمة imply، وللفعل المشتق منها وهو implicate الذي نُترجمه بالفعل يورِّط (والكلمة الإنجليزية تعني إدخال شخص ما في ثنايا أو تلافيف عمل ما — عادةً ما يكون جريمة)، فإذا تأمَّلنا معنى كلمة ply وجمعها plies وجدناها تُفيد تلك الثنايا والطوايا والتلافيف؛ ولذلك فقد نترجم المثال (٣) قائلين إن الدراما تنطوي على الصراع، أو إن الصراع موجودٌ في ثنايا الدراما، وهو المعنى الذي لا يغيب أبدًا عن كل كلمةٍ مشتقَّة من imply، حتى الكلمة الإنجليزية الجديدة التي ابتدعها علماء اللغة خصوصًا حتى يُبرِّئوا الكلمة من معنى «الطيِّ» والتضمين، وهي implicature (ولم تُدرِجها القواميس الإنجليزية العامة حتى اليوم ١٩٩٩م)؛ فهي تعني ذلك أيضًا، وإن كان معناها مقصورًا على الاستعمال اللغوي؛ أي على الإضمار فقط. ولْننظر إذن إلى بعض أمثلة المعنى الأول قبل أن ننتقل إلى المعنى الثاني:

(4) The gradual lowering of tariffs, with a view to total abolishment, as required by the GATT 1994 Agreements, has serious implications for third world trade prospects.

(٤) إن التخفيض التدريجي للتعريفات الجمركية تمهيدًا لإلغائها تمامًا، وفقًا لِما تنصُّ عليه اتفاقية الجات ١٩٩٤م، ستكون له آثاره الخطيرة على آفاق تجارة العالم الثالث.

(5) The implications of a final peace settlement in the Middle east are difficult to assess at present: it will depend on the political will of the parties to seize this opportunity for allocating (diverting) part of their military expenditure to economic development.

(٥) من العسير حاليًّا تقدير نتائج التسوية السلمية النهائية في الشرق الأوسط؛ إذ تتوقَّف النتائج على الإرادة السياسية للأطراف، ومدى استعدادها لاغتنام الفرصة لتخصيص (تحويل) جانب من نفقاتها العسكرية للتنمية الاقتصادية.

ونُشير عَرضًا إلى ترجمة assess بكلمة تقدير (يُقدِّر)، وهي كلمة شاع الخَلط بينها وبين كلمة evaluate (يُقوِّم أو يُقيِّم)؛ فالأخيرة معناها تحديد القيمة، والفعل يُقوِّم معناه

يحدِّد النفع أو الفائدة (أو السعر أو الثمن)، ومنها valuable (ثمين/قيِّم) وinvaluable (لا يُقدَّر بثمن) وvalueless (لا قيمة له worthless)، والآية الكريمة ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ (البينة: ٣)، معناها ذات نفع كبير، وأمَّا الأولى فمعناها الذي يعنينا هو، على نحو ما يورده المعجم، هو:

to estimate the significance, importance, or value, of …

أي يُقدِّر دلالة أو أهمية أو قيمة شيء ما.

ومعنى «التقدير» إذن هو الثابت وما عداه متغيِّر؛ أي إن التقدير قد يكون للقيمة، فتتساوى الكلمة مع evaluate، ولكن التقدير قد يكون للمغزى أو الأهمية أو الدلالة، فيختلف المعنى بطبيعة الحال. أمَّا أصل الكلمة بإيجاز فهو «تقدير قيمة عقار لتحديد الضريبة التي ستُفرض عليه»، والأصل الاشتقاقي هو المشاركة في إصدار الحكم، من اللاتينية assessus، وهي اسم المفعول من assidere (ad + sidere)؛ أي «يجلس بجانب» القاضي ليساعده في الحكم. وقديمًا كان تقدير الضرائب وقيمة العقارات من اختصاص القُضاة وحدهم؛ ولذلك فكثيرًا ما نقرأ تعبير assessable؛ أي خاضع للضريبة العقارية، وassessed contributions؛ أي المساهمات المقدَّرة، (التقديرية) وعكسها unassessed؛ أي لم تُقدَّر بعد. وأحيانًا ما يختتم الباحث بحثه بفقرةٍ عنوانها assessment؛ أي الحُكم. وقد يقول قائلٌ أفلا يمكن أن يكون الحُكم أو التقدير بمثابة تقويم؟ لا شك في هذا، وعندها يجوز للمترجم أن يستخدم كلمة التقويم.

(6) Disregarding all possible implications, the minister decided that all export goods be inspected before the licence is granted.

(٦) أصدر الوزير قرارًا يقضي بضرورة فحص جميع الصادرات قبل منح إِذْن التصدير، متجاهلًا كل ما يمكن أن يترتَّب على ذلك من عواقب.

والملاحظ أن كلمة implications هنا أصبحت تضم عنصرَين هما ما يترتَّب على + عواقب، وكان يمكن حذف الكلمة الأخيرة؛ فهي من المتغيِّرات، ويمكن إبدالها بأي كلمةٍ أخرى وفقًا لتفسير المترجِم، ونقول — عَرضًا أيضًا — إن «عواقب» التي نترجمها عادةً بلفظ consequences يمكن أن تتفق في هذا السياق وحده مع معنى كلمة implications، وقد سبق أن ترجمناها في الأمثلة السابقة بالآثار عندما اقترنت بصفة serious (الخطيرة)، وقد اعتدنا ترجمة تعبير «عواقب وخيمة» بالعبارة الإنجليزية grave consequences، ويندر أن تفترق الكلمتان فهما من الكلمات المتصاحبة (وفقًا لتعبير ابن جني)، أو ما

نسمِّيه collacations (والدكتور حلمي هليِّل يترجمها بالمتلازمة، وهي ترجمة مقبولة)، ومع ذلك فقد نُبدل grave بكلماتٍ أشد مثل catastrophic أو disastrous أو tragic بمعنى فاجعة، أمَّا إذا وردت في السياق فنحن نغيِّر البناء تغييرًا جذريًّا:

(7) He knew that conducting the experiment in the open air could have serious implications, but never thought that it might have fatal consequences for some villagers.

(٧) كان يعرف أن إجراء التجرِبة في الهواء الطَّلق له خطورته، ولكن لم يجُل بخاطره مطلقًا أن يؤدِّي ذلك إلى قتل بعض أهل القرية.

أي إننا حوَّلنا «العواقب المميتة» إلى «قتل»، مثلما حوَّلنا «آثار خطيرة» إلى «له خطورته»، ونحن بهذا نتحرَّر من الصيغ الحرفية التي يلتزم بها المبتدئ، ونقدِّم المعنى كاملًا في إطار مصطلح اللغة المترجم إليها، ويجب ألَّا ننسى أن كلمة disaster أو calamity أو catastrophe لا تترجم إلا بكارثة (مثلما نكاد نقتصر في ترجمة tragedy على مأساةٍ أو فاجعة)؛ فكلمات الكوارث والنوازل والخطوب كثيرةٌ في العربية، ويقول لنا أبو منصور الثعالبي إن ابن الأعرابي جمع من أسماء الدواهي أربعمائة، وقال إن كثرة أسماء الدواهي من إحدى الدواهي، ولا بأس إطلاقًا أن يلجأ المترجم إلى تحويل «سوء العاقبة» إلى «كارثة» والعكس بالعكس، ما دام يعرف المعنى المقصود ويثق في قدرته على نقله بوضوح. وقد ضربت المثال السابق لأجمع بين implications وconsequences في سياقٍ واحد، ولكني سأُفرد بعض الأمثلة للكلمة الأخيرة:

(8) Catastrophic as the consequences of losing his job were, at least in terms of falling into debt and his inability to find any other job, he still consoled himself with the fact that he had gained better knowledge of life and people.

(٨) على الرغم من المصائب التي حلَّت به بسبب فقدِ عمله، على الأقل من حيث وقوعه في هُوة الديون وعجزه عن العثور على عملٍ آخر؛ فقد كان يُعزِّي نفسه بأنه ازداد معرفةً بالحياة والناس.

أي إن الكلمتَين قد تحوَّلتا إلى كلماتٍ كثيرة:

catastrophic consequences of = المصائب التي حلَّت به بسبب

وذلك أقرب إلى المعنى من ترجمة الألفاظ المفردة، كأن تقول «العواقب الفاجعة» (فهي ليست فاجعة) أو غير ذلك؛ فالمعنى هو ما أثبتناه. ولا يظنن أحدٌ أن المصائب تعني «الموت» في كل حالة، رغم شيوع هذا المعنى؛ فالمصيبة هي أي مكروه أو أي شدة «تصيب» الإنسان، وجمعها مصائب على غير قياس (وقياسها مَصاوِب)، والمثل السائر «المصائب لا تأتي فُرادى»، يقابلها: It never rains but it pours (حرفيًّا: كلما أمطرت السماء انهمر الوابل)، ويقابله المثل المشهور «صابت بقُرٍّ» والصيِّب بعدُ هو المطر، ومن عجب أن تتفق اللغتان في هذه الفكرة التي كان يمكن أن تختلف بسبب اختلاف معنى المطر في العربية عن الإنجليزية (انظر دراستنا عن الترجمة *Wittgenstein's Family Resemblances Revisited*)، وهاك مثالًا آخر:

(9) She warned him that consequences would be grim if he should try to approach her father again for a loan: her father was highly-strung and excitable, she said, and might cause him, in a fit of rage, grave bodily harm.

(٩) أنذرته بسوء العاقبة إن هو حاول أن يخاطب أباها من جديد بشأن الحصول على قرض، قائلةً إن أباها متوتِّر الأعصاب سريع الهِياج وقد تنتابه سَورة غضبٍ يُصيبه فيها بضررٍ جسدي خطير.

(10) After-shocks may not be regarded as consequences of an earth-quake: they occur only subsequently as part of the tremor at the same epicentre.

(١٠) لنا ألَّا نعتبر توابع الزلزال من عواقبه؛ فهي تتبعه زمنيًّا فحسب باعتبارها نتيجة الهِزَّة الأرضية التي تصيب مركز الزلزال الأول.

وقد جئت بالمثال الأخير لأبيِّن الفارق بين consequent وsubsequent؛ لأن كلمة «العواقب» جمع عاقبة، وهي آخر كل شيء؛ أي ما ينتهي إليه لا ما يتلوه زمنيًّا. وأمَّا التعقيب بالمعنى القديم أو بالمعنى الحديث فلا يُهمنا هنا، ويكفي أن نُشير ختامًا إلى العُقبى (عُقبًا)؛ أي ما سوف يتلو، ومنها عُقبًا لكم؛ أي العُقبى لكم، ونُضيف إليها أحيانًا «في المسرات»!

الباب الخامس عشر: involve

في عام ١٩٩٤م اجتمع مترجمو الأمم المتحدة في جنيف لتوديع مترجم ضليع بلغ سن التقاعد، وهو أحمد حسن الحكيم، وبعد أن تحدَّث المتحدِّثون جاء دور المترجم (الذي لا يزال يُمارس عمله خارج الوظيفة)، فقال: «إنني أتقاعد وفي نفسي شيء من involve (مُلمِّحًا إلى «وفي نفسي شيء من حتى»)، وشاركه الجميع مشاعره؛ فهي الكلمة التي استعصت على الجميع؛ ففي كل مرةٍ وفي كل سياقٍ يُضطر المترجم إلى إيجاد كلمات عربية مختلفة لترجمتها!

(١–١٥) المعنى الاشتقاقي (والأصلي) هو يكتنف؛ أي يطوي في ثناياه وتضاعيفه (انظر implications)، وهو معنًى يكاد يكون مهجورًا:

(1) He could not see clearly at the promontory as fog involved the shoreline.

(١) لم يكن يستطيع الرؤية بوضوحٍ من ذلك اللسان الممتد في البحر؛ إذ كان الضباب يكتنف الساحل.

ويكتنف هنا تعني «يُغلِّف» أو «يُغطِّي» أو حتى «يطوي»، وهو معنًى أصبح مقصورًا على الاستعمال الاستعاري.

(2) The case is involved in mystery.

(٢) الحالة/القضية يكتنفها الغموض.

وذلك يوازي تعبير (... shrouded in) أي يلفه؛ لأن shroud أي الكفن يلفُّ جسد المُتوفَّى، ونحن لا نُقابل أيًّا من المعنيين كثيرًا في الإنجليزية المعاصرة، وإن كانت الإحاطة بهذا المعنى لازمةً لإدراك المعاني الأخرى التي سوف نعرض لها هنا.

(٢–١٥) والمعنى الثاني هو — على نحو تعريف القاموس للفعل المتعدي:

to make intricate, tangled or complicated.

أي «يُعَقِّد»، أو يتسبَّب في تعقيد شيء أو تشابك خيوطه وتداخلها!

(3) The plan, as presented by the engineer, appeared too involved to be grasped at once: the premises overlapped, the specifications were too intricate and the conclusion vague.

(٣) كانت الخطة في الصورة التي قدَّمها بها المهندس تتسم بدرجةٍ من التعقيد تَحُول دون استيعابها على الفور؛ فالمقدِّمات متداخلة، والمواصفات متشابكة، والنتائج غامضة.

(4) His style is involved perhaps as a consequence of the involvement of his thought: it is periphrastic and long-winded, requiring the reader to wander back and forth in search of the meaning.

(٤) أسلوبه مُعقَّد، وقد يكون ذلك بسبب افتقار تفكيره إلى السلاسة؛ فهو يلجأ إلى اللف والدوران، والإطناب، ممَّا يضطر القارئ إلى التردُّد بين الصدور والأعجاز بحثًا عن المعنى.

والملاحظ أن الصورة الشائعة لهذا الفعل المتعدي هي حالة اسم المفعول، ويندر أن يستخدم كاتب الإنجليزية الفعل مبنيًّا للمعلوم بهذا المعنى. وقد يستخدم الاسم involvement بمعنى التلافيف والتعاريج (convolutions) دون إضافة حرف الجمع (s).

(٣–١٥) المعنى الثالث هو التوريط (انظر implications)؛ أي الزج بشخصٍ ما في مشكلةٍ أو في «ورطة»، والورطة كلمةٌ فُصحى (اسم المرة من وَرَط)، وقد تعني أيَّ موقف صعب، نسبةً إمَّا إلى الأرض المنخفضة التي لا طريق فيها، أو إلى الهُوَّة، أو إلى الوحل، وإن كان المعنى المقصود أقرب إلى المعنى القديم «ورط الجرير في عنق البعير»؛ أي جعل طرفه في حلقته ثم جذبه حتى يخنقه (الوسيط)؛ فمعنى التوريط الحديث يوحي بلف الحبل حول الشخص بمعنى جرِّه جرًّا إلى داخل المشكلة، وهذا من المعاني الشائعة التي لا بد من تفصيل القول فيها.

(5) The documents found in his house have involved him in the espionage case, but no conclusive evidence has yet been found. (cf. implicated).

(٥) أدَّت الوثائق التي عُثر عليها في منزله إلى توريطه في قضية الجاسوسية، ولكن «المحققين» لم يكتشفوا أي أدلة قاطعة حتى الآن.

(6) His involvement with the "junkies" was invoked at his trial as proof of his depravity but he persistently denied being a heroin addict himself.

(٦) قالت «النيابة» أثناء المحاكمة إن علاقته الوثيقة بمُدمني المخدِّرات دليلٌ على فساده، ولكنه دأب بإصرارٍ على إنكار أنه من مدمني الهيروين.

ونلاحظ هنا تحويل المبني للمجهول في الجملتَين إلى مبنٍ للمعلوم بإضافة اسم في موقع الفاعل، مستقًى من السياق. ونلاحظ أيضًا أن معنى involvement يتغيَّر في الجملة الثانية، وقد يُبقي المترجم على كلمة «توريط» فيغيب المعنى المقصود، وهاك مثالًا آخر:

(7) Though the order to shoot on sight was explicit enough, the officer refrained from firing at the crowd, as he would not want to get involved in the massacre.

(٧) على الرغم من أن الأمر بإطلاق النار فور رؤية «المتظاهرين» كان أمرًا صريحًا، فقد رفض الضابط إطلاق النار عليهم لأنه لم يكن يُريد أن يشارك في تلك المذبحة.

والمشاركة هنا تعني التورُّط، وللمترجم أن يستعمل أي الكلمتَين شاء ما دام واعيًا بالمعنى المقصود، وهاك أمثلةً أخرى:

(8) It is said that any involvement in bad habits can turn them into second nature: better than break a habit, never get involved!

(٨) يقولون إن أي ممارسة للعادات السيئة يمكن أن يُحيلها إلى طبيعةٍ ثانية، وهكذا فإن عدم اكتساب العادة أصلًا أفضل من محاولة الإقلاع عنها!

(9) They are deeply involved in debt.

(٩) إنهم غارقون في الديون إلى آذانهم!

(10) Don't involve yourself in unnecessary expense!

(١٠) لا تُكلِّف نفسك نفقاتٍ لا لزوم لها!

وللمترجم أن يستخدم كلمة التوريط هنا أيضًا، ولكن المثال رقم (٨) يدل بوضوحٍ على إمكان إبدالها بكلماتٍ أدق، وكسل الكاتب بالإنجليزية لا يستتبع بالضرورة كسل المترجم العربي!

(٤–١٥) أمَّا المعنى الرابع فيحدِّده المعجم على النحو التالي:

to draw or hold within itself; include.

أي «يجتذب أو يشتمل أو يتضمَّن» وهو يضرب مثالًا واحدًا عليه:

(11) The riot soon involved thousands

(١١) سرعان ما انضمَّ الآلاف إلى أعمال الشغب.

والواضح أن كلمة «شارك» أفضل، إلا إذا ترجمنا riot بالمظاهرة الصاخبة، فابتعدنا عن المعنى الدقيق (أو المتعارف عليه) للكلمة. وهناك أمثلةٌ أقرب للتدليل على هذا المعنى مثل:

(12) The attempted coup in Uganda, involving many senior officers, was quickly foiled.

(١٢) قُضي (تمَّ القضاء) بسرعة على محاولة الانقلاب التي وقعت في أوغندا وشارك فيها/انضمَّ إليها كثيرٌ من كبار الضباط.

(13) It may be difficult to involve civil servants in stock market activities as they are inured to secure income and averse to speculations.

(١٣) من العسير إشراك (اجتذاب) موظَّفي الحكومة في أنشطة البورصة؛ لأنهم معتادون على الدخل المأمون ويكرهون المضاربات.

وهذا المعنى إذن، على الرغم من دقة تحديده، يقبل التنوُّع أيضًا في مقابلاته العربية، والأمثلة ناصعة الدلالة على ذلك.

(٥–١٥) وربما يكون المعنى الخامس أكثر شيوعًا من جميع المعاني باستثناء المعنى الثالث، وهو يشترك في الكثير مع الفعل imply (والاسم الذي سبق لنا تناوله أي implications)، ولكنه يختلف بعض الشيء في استعماله، وهو ما سنضرب له بعض الأمثلة. هذا المعنى هو «يستتبع» أو «يتطلَّب» أو «يقتضي»، أو «يستلزم».

(14) To accept the position you offer would involve my living in London.

(١٤) إن قَبولي الوظيفة التي تعرضها يتطلَّب مني الإقامة في لندن.

(15) The war involved a great increase in the national debt.

(١٥) أدَّت الحرب إلى زيادةٍ كبيرة في الدَّين القومي.

والفعل «يؤدِّي إلى» يحمل معنى «استلزم»؛ أي إن الزيادة الكبيرة في الدخل القومي كانت نتيجةً محتومةً للحرب، وهذا يختلف عن المعنى الثالث الذي لا يفيد الحتم، وهاك مثالًا آخر عليه:

(16) A project involving years of work must be well planned and well executed.

(١٦) لا بد من التخطيط المحكم والتنفيذ الدقيق لأي مشروع يتطلَّب إنجازه سنوات طويلة.

وهكذا نجد أن المعنى الأصيل لكلمة imply قائمٌ في كل حالة، وإن تغيَّر بعض الشيء فسمح باستعمال كلمات مختلفة.

(١٥–٦) والمعنى السادس يُعتبر فرعًا من فروع المعنى الخامس، ويحدِّده المعجم على النحو التالي:

to relate to or affect.

ويضرب له مثالًا هو:

(17) The matter involves his honour.

(١٧) إن المسألة تتعلَّق بشرفه.

فإذا شئنا تحليل ذلك المعنى وجدنا أنه ينبع أصلًا من المعنى الأول، ويمكن رصد عناصره بالرجوع إلى المعنى الاشتقاقي للكلمة؛ فقضية الشرف واردة في إطار (في ثنايا أو أطواء) المسألة المذكورة، ومن ثم فإن المسألة تنطوي على ما يمس الشرف! وهاك مثالًا أوضح:

(18) The bank official defended himself gallantly, trying to absolve himself and to put the blame for the financial scandal on an eminent director, realizing that the question involved more than defalcation, variously defined as malpractice or embezzlement: it primarily involved his honour.

(١٨) دافع موظف البنك عن نفسه دفاعًا رائعًا، محاولًا تبرئة ساحته وإلقاء تبعة الفضيحة المالية على أحد المديرين البارزين؛ إذ كان يدرك أن المسألة لا تقتصر على الاستغلال غير المشروع للودائع، وهو ما يعرِّفه البعض بأنه انتهاكٌ لِمَا جرى العُرف عليه، ويُعرِّفه آخرون بأنه اختلاس، فلقد كانت المسألة تتعلَّق أساسًا بشرفه.

وهكذا نرى أن الكلمة تُرجمت أولًا بكلمة «تقتصر» (لا تقتصر على)، بحيث تقترب من المعنى الرابع (include)، ثم بكلمة «تتعلَّق» وهو المعنى السادس، وفي الحالتَين يكمن المعنى الأول!

(٧–١٥) أمَّا المعنى السابع فيعرِّفه المعجم هكذا:

to make busy; occupy; employ.

ويضرب له مثلًا واحدًا هو:

(19) The teacher involved the class in the research.

(١٩) أشرك المعلم طُلابَه في البحث.

وهو معنًى يتفق في أهم عناصره مع المعنى الثالث؛ ولذلك لن تقف عنده طويلًا، بل سنضرب في النهاية مثالًا يتضمَّن استعمالاتٍ متعدِّدةً لكلمة involve ومشتقَّاتها، حتى يتضح مدى التداخل بين معانيها وضرورة عدم التقيُّد بمعنًى دون غيره.

(20) The call for women's integration in development is basically a call for involving them in the socio-economic processes from which they are seen to be barred at present. Its advocates claim that integration involves the assignment of vital roles to women outside the home, both in production and in public life. Opponents have argued that this may involve the disruption of family life and a potential risk of disintegration. Women cannot, they say, be involved in the internecine conflicts of the business world for which apathy and cynicism, a prerogative of the male of the species, are required. Women are already integrated, they insist, though at a deeper level of involvement: what is involved is a healthy social fabric, humanly defined, rather than an economically viable society.

(٢٠) تُعتبر الدعوة إلى التكامل بين المرة والرجل في جهود التنمية أساسًا دعوةً إلى إشراك المرأة في العمليات الاقتصادية والاجتماعية التي يرى الداعون إليها أن المرأة مستبعدة منها في الوقت الراهن؛ فهم يقولون إن التكامل يستلزم تكليف المرأة بأدوارٍ حيوية خارج البيت، في مجال الإنتاج وفي الحياة العامة جميعًا. ولكن المعارضين يقولون إن ذلك قد يؤدِّي إلى تفكيك الحياة الأسرية، ويحمل في طيَّاته خطر التمزُّق والتشتُّت، وإنه لا ينبغي الزج بالمرأة في خِضم الصراعات والتناحر الدائر في عالم رجال الأعمال؛

فهو يتطلَّب ما يتميَّز به الرجل من قدرةٍ على بلادة الحس والتنصُّل من العاطفة. ويُصِر المعارضون لتلك الدعوة على أن التكامل متحقِّقٌ بالفعل حاليًّا، وإن كان مستوى مشاركة المرأة أعمق كثيرًا من مستوى الرجل؛ فالقضية تتعلَّق بصحة النسيج الاجتماعي من حيث مضمونه الإنساني، أكثر ممَّا تتعلَّق بمجتمعٍ قادرٍ على تحقيق النجاح الاقتصادي.

وردت كلمة involve ومشتقَّاتها ست مرات في هذه الفقرة، وتُرجمت مرتَين بكلمة إشراك ومشاركة، وأربع ترجمات مختلفة وفقًا للمعاني التي سبق تحديدها، وليست بينها كلمتا «توريط» أو «تضمين»، وقد توجد كلٌّ منهما في سياقاتٍ مختلفة، بطبيعة الحال، ولكن ثَم سببًا آخر يدفعني إلى إيراد هذه الفقرة، ألَا وهو ورود المصطلح الشائع integration في سياق إشراك المرأة في عمليات التنمية، وهو الذي يترجمه زملاؤنا بالأمم المتحدة بتعبير «دمج المرأة في التنمية»!

(١٥–٨) كلمة integration مصدرها integer؛ أي الواحد الصحيح، أو الرقم الذي لا يتضمَّن الكسور؛ فالرقم ثلاثة (٣) منها، أمَّا ثلاثة ونصف فلا؛ لأن الكسر fraction يُلغي «الصحة»! ومعنى الفعل المشتق منها integrate هو إحالة الأجزاء (الكسور) إلى أرقامٍ صحيحة؛ أي إلى «كلٍّ صحيح» (whole)، ومنه جاء معنى ضَمِّ العناصر بعضها إلى بعض، بحيث يُكمل بعضها بعضًا في وحدةٍ واحدة؛ أي كاملة، وهكذا ابتدعنا لها لفظ التكامل الذي يتميَّز بصحة اشتقاقه وشيوع معناه. والتعبير الذي تستخدمه الأمم المتحدة بالإنجليزية يقوم على افتراض أن الرجل نصف المجتمع (فهو كسر)، والمرأة هي النصف الآخر، فإذا أُضيف هذا إلى ذاك تحقَّق الاكتمال أو التكامل. ومنه جاء تكامل الشخصية بمعنى اتساق عناصرها الذي يؤدِّي إلى مكارم الأخلاق، فأصبحت كلمة Integrity تعني الأمانة والاستقامة، ومنه جاء تعبير سلامة الأراضي territorial integrity؛ أي عدم اقتطاع جزء من أراضي الدولة، أو عدم تقسيم الدولة إلى دولتَين أو دُويلات، ومنه جاء التكامل الاقتصادي economic integration الذي يعني أن عناصر اقتصاد دولة مثلًا تُكمِل أو تَستكمل عناصر اقتصاد دولة أخرى (وتُستكمل بها بضم التاء) وما إلى ذلك.

(١٥–٨–١) ولكن مترجمي الأمم المتحدة يُحبُّون مقابلةً لكل لفظة بلفظة واحدة تيسيرًا على المترجم وتوفيرًا للوقت وتوَقِّيًا للتفسير والتأويل خصوصًا إذا كان المترجم مبتدئًا أو إذا لم يكن ضليعًا بما فيه الكفاية، ومن ثَم أشاعوا كلمة دمج أو إدماج، وهي لا شك تحمل جزءًا من معنى التكامل ولكنها لا تدل على المعنى المقصود بالإنجليزية. وقد شهدتُ مولد تلك الكلمة في السبعينيات حين حلَّت محل «إشراك المرأة في ...» و«إدخال المرأة في ...»

وعندما ترجمتها أنا بالعبارة السابقة أي «التكامل بين المرأة والرجل في …» اعترض أحدهم قائلًا إن كلمة الرجل غير موجودة في النص الإنجليزي! وإزاء إصراري تدخَّل رئيس القسم — الأستاذ سمير عفيفي — في مُنظَّمة الأغذية والزراعة، وأجازها، وسرعان ما اتَّهَمَنا المترجمون في نيويورك بأننا نُترجم كما يحلو لنا لا كما يحلو لهم!

(٢–٨–١٥) والفقرة المقتبسة آنفًا تؤكِّد ما يذهب إليه البعض من أن المعنى المقصود هو إشراك المرأة على قدم المساواة مع الرجل في جهود التنمية، وموازاتها في النص بكلمة involvement وهي مدار الحديث في هذا الباب، وأن كلمة التكامل تعني ذلك، وهذا هو سبب هذا الاستطراد، ولو أنني أُحس أن من واجبي التنبيه إلى شيوع الكلمة العربية بمعنى الكامل لا المتكامل؛ فنحن لا نصف خطةً أو مشروعًا بأنه مُكتمل complete أو كامل خوفًا من الخلط مع معنى الكمال perfection؛ لأن الكمال لله وحده، ومن ثَم استعضنا عنها بكلمة المتكامل؛ أي الذي يُكمل بعضه بعضًا، ولا بأس في ذلك إذا كُنَّا نقصده، ولكن المترجم مطالَبٌ بأن يحدس معنى الكاتب العربي، فإذا كان يقصد التكامل، كان بها، أمَّا إذا كان يقصد المكتمل فحسب، فلا داعي لاستخدام الكلمة الإنجليزية في الترجمة. مثال:

(21) Noting the gaps in the submitted report, the Dean asked the rapporteur to prepare a full study of the research papers submitted by the lecture in support of his application for the post of Assistant Professor.

(٢١) لاحظ العميد وجود ثغرات في التقرير المرفوع إليه فطلب من المقرِّر إعداد دراسة متكاملة عن الأبحاث العلمية التي تقدَّم بها المحاضر للحصول على وظيفة أستاذ مساعد.

ولا مكان هنا للتكامل بالمعنى السابق، وإنما المقصود هو full أو fuller وهي الأفصح، وهاك مثالًا آخر:

(22) A whole chapter in his book is devoted to his Chinese trip.

(٢٢) خصَّص فصلًا متكاملًا في كتابه للحديث عن رحلته إلى الصين.

ولا مجال للتكامل هنا أيضًا، ولكن المثال التالي قد يسمح بذلك المعنى:

(23) The design of the new plant looked fine and impressive enough, but it lacked operational integration: some equipment were modern and the others outmoded, and he use of robots, in imitation of the West, clashed wit the [Egyptian] need to create work opportunities.

(٢٣) كان تصميم المصنع رائعًا ومثيرًا، ولكنه كان يفتقر إلى التكامل من زاوية التشغيل؛ فبعض الأجهزة حديثٌ والبعض الآخر قديم، واستخدام الإنسان الآلي — محاكاةً للغرب — يتناقض مع الحاجة إلى تشغيل العُمَّال.

وهذا — كما ترى — معنًى جِدُّ دقيق، يندر أن نُصادفه عندما يلجأ الكاتب إلى كلمة «متكامل»، ومثلها كلمة «المتغيِّرات».

(٣–٨–١٥) المتغيِّرات أو variable هي العناصر التي تتغيَّر، وليست التحوُّلات transformations أو أوجه التغيير changes، وقد استثقل الكُتَّاب في العالم العربي هذه الألفاظ العربية؛ أي التغيُّرات والتحوُّلات، أو لعلهم وجدوا أن كلمة المتغيِّرات توحي بالمنهج العلمي، فجعلوا يُشيرون إلى التحوُّلات والتغيُّرات التي شهدها العالم باسم المتغيِّرات، والمترجم لا يستطيع تغيير لغة الكاتب، ولكن عليه أن يُدرك مرماه، فإذا كان يعني المتغيِّرات فبها، وإلا فلا عيب مطلقًا في الإشارة إلى التغيُّرات باسمها، مهما ثقل وقعها على السمع!

الباب السادس عشر: maximize

شاعت ترجمة هذه الكلمة هذه الأيام حتى أصبحت كلمةً عربية مستقلة، وأصبحت تُستخدم على ألسنة المثقَّفين، حتى الكبار منهم، ألَا وهي «تعظيم»، فيُقال مثلًا «تعظيم الاستفادة من المكتبة»، أو من رءوس الأموال، وما إلى ذلك بسبيل. ولم يقابل ابتداع هذه الكلمة ترجمة للكلمة المضادة لها، وهي minimize التي تعني التقليل إلى الحد الأدنى أو إلى أدنى حدٍّ ممكن، والكلمتان الإنجليزيتان من باب الرطانة jargon، ونقصد بها لغة المهنة، وهي تُستعمل أكثر ما تُستعمل في الاقتصاد وفي التقارير الحكومية ووثائق الأمم المتحدة. وخلال عملي بالترجمة لاحظت أن الكاتب الإنجليزي في هذه المجالات مغرمٌ بكلمةٍ أخرى وثيقة الصلة «بالتعظيم»، هي optimize أي يرتقي بشيءٍ ما إلى أرفع مستوًى ممكن، هي والكلمات الأخرى المشتقَّة من optimum أي optimal وoptimally؛ ولذلك سنناقش ترجمة هذه الكلمات كلها في بابٍ واحد.

(١٦–١) كلمة maximize مشتقَّةٌ من maximum، وأصلها اللاتيني هو maximus وهي صيغة أفعل التفضيل من magnus أي العظيم، ومعناها إذن باللاتينية هو «الأعظم»، وقد شاعت ترجمة maximum بالحد الأقصى، وهي ترجمةٌ صائبة وتصلح لجميع استعمالات الكلمة مهما يكن السياق؛ إذ تستطيع أن تُشير إلى الحد الأقصى من الأحجام أو من المكاييل أو المقاييس ... إلخ، وينطبق ذلك على الحد الأدنى؛ فنحن إذن أمام معانٍ من نوعٍ جديد، ليست مظلية الدلالة ولكنها مرنة طَيِّعة، تصلح في كل حال، وتسد فراغًا لا يسدُّه غيرها لأنها تُعفي من تحديد المثال الذي تنطبق عليه:

(1) He wanted to maximize his profit by keeping the goods until the market has regained its strength.

(١) كان يريد أن يزيد أرباحه إلى أقصى حدٍّ بعدم طرح بضائعه حتى يستعيدَ السوق قُوَّته.

(١-أ) كان يريد تحقيق أقصى ربح ممكن ...

(١-ب) كان يريد زيادة أرباحه ...

والصورة الأخيرة هي المقصودة في معظم الأحوال، وإن كانت الموضة تقتضي استعمال الفعل المذكور.

(2) He wanted to maximize the benefits of class participation by offering prizes to the most frequent speakers at class time.

(٢) كان يريد أن يزيد الاستفادة من مشاركة الطلاب في الدرس برصد جوائز لأكثر المشاركين في النقاش أثناء الدرس.

(٢-أ) كان يريد أن يزيد الاستفادة من ... إلى أقصى حدٍّ ...

(٢-ب) كان يريد تحقيق أقصى فائدة ممكنة من ...

(٢–١٦) وهنا تبرز optimize لتعمل عمل العبارة السابقة؛ أي:

(maximize the profit/maximize the benefit).

على النحو التالي:

(3) To optimize class participation, he offered prizes ...

أي إن الترجمة العربية لن تتغيَّر إذا استخدمنا هذا الفعل، وقد يقول قائلٌ إن الترجمة ستختلف في هذه الحالة.

(٣) تحقيقًا لأفضل صورةٍ ممكنة من المشاركة في الدرس ...

(٣-أ) وصولًا إلى الصورة المثلى للمشاركة في الدرس ...

(٣-ب) رصد بعض الجوائز ... حتى تؤتي المشاركة في الدرس أفضل ثمارها.

ولكننا في الواقع ندور في فلك الفكرة نفسها، حتى ولو غيَّرنا صورة الكلمة إلى اسم optimum أو صفة optimal أو حال optimally.

(4) He wanted the optimum ... a level which only prizes, he thought, could achieve from class participation.

(4-a) By offering prizes, he hoped that optimal benefits could be gained from class participation.

(4-b) Optimally practised, class participation required the incentive of prizes.

ولنا أن نُطبِّق ذلك على أي حالة أخرى واثقين أن المعنى لن يتأثَّر، وعلى المترجم ألَّا يتبع البناء اللغوي للعبارة ظانًّا أنه سيزداد اقترابًا من المعنى الأصلي؛ فمثل هذه التعابير تحويلات transformations يلجأ إليها الكاتب من أجل أهدافٍ لا مجال للخوض فيها هنا.

(٣–١٦) وإذا ذكر المترجم ذلك فلن يحار في ترجمة minimize.

(5) The company wanted to minimize the risks involved in the construction of the dam by having the entire area evacuated before diverting the course of the river but the government did not approve.

(٥) كانت الشركة تريد تقليل الأخطار التي تكتنف إنشاء السد إلى أدنى حدٍّ ممكن بإخلاء المنطقة كلها من السكَّان قبل تحويل مجرى النهر، ولكن الحكومة لم توافق على ذلك.

وتأمَّل الآن الصيغة التالية:

(5-a) The company wanted to avoid any loss of human life perceived to be involved in the construction of the dam, or to minimize it, by …

(٥-أ) كانت الشركة تريد تلافي وقوع أية خسائر في الأرواح، وهو ما كانت ترى أن إنشاء السد قد يتسبَّب فيه، أو تقليلها إلى أدنى حدٍّ ممكن، بإخلاء المنطقة …

والصيغة التالية:

(5-b) Any loss of life resulting from the construction of the dam could be avoided, the company argued, or at least minimized, if the entire area was evacuated …

(٥-ب) قالت الشركة إنه يمكن تحاشي وقوع أي خسائر في الأرواح بسبب إنشاء السد، أو تقليلها على الأقل، إذا أمكن إخلاء المنطقة كلها من السكان.

الواضح أن فكرة الحد الأدنى لازمة هنا؛ لأن الهدف هو تفادي وقوع الخسائر في الأرواح تمامًا، فإن كانت الخسائر محتومة، فأضعف الإيمان تقليلها إلى الحد الأدنى.

فإذا انتهينا من «تعظيم» وجدنا رفيقتها التي تطالعنا كل يوم في الصحف وهي «تفعيل،» التي عادةً ما تعني «تنفيذ»، وإن كان بناؤها يوحي بما هو أكثر؛ ألَا وهو إضفاء القوة والفاعلية على قرار صدر أو توصية لا يعمل بها أحد. وترجع الكلمة إلى ترجمة الكلمة الإنجليزية activate التي كثيرًا ما تقترن بصاحبتها reactivate باعتبارهما

من الكلمات («الموضة» vogue/fashionable) التي يعترف كاتبوها بأنها ذات دلالة لا تصل إلى مستوى التحديد العلمي المطلوب، وإن كانت تُرضي الأطراف المتفاوضة negotiating parties عندما يختلفون أثناء المناظرة debate حول صياغة نصٍّ من النصوص the wording of a given text، فإذا قال طرفٌ إنه يريد أن ينص قرارٌ من القرارات resolution على تنفيذ implementation بند ما an item باعتباره ملزمًا، قانونًا (legally binding)، وكان طرفٌ آخر يعارض ذلك ويُصر على الاكتفاء ب «إحياء» البند resuscitating؛ أي توجيه انتباه الأطراف إليه ابتغاء دراسته أو التفاوض بشأن تنفيذه في المستقبل، تقدَّم طرفٌ آخر بحلٍّ وسط compromise هو النص على «تفعيل» ذلك البند to activate it (أو reactivate)، وهو معنًى يقف في منتصف الطريق in the middle of the road بين التنفيذ الإجباري enforcement الذي يعني أن البند واجب التنفيذ (إجباري mandatory)، وبين التنفيذ الاختياري (اختياري optional)، والكلمة لذلك مُهمَّة في سياق المفاوضات الدولية، وانظر الأمثلة التالية:

(6) Some third world countries objected to the imposition of sanctions solely on the basis of a given country's human rights record, as stipulated by a sub-paragraph in the relevant article in the American Convention on Human Rights, insisting that the American Convention on Human Rights, insisting that the "reactivation" of the said clause, called for by the UN General Assembly resolution, implied no obligation and left the matter open to the discretion of each party.

(٦) اعترضت بعض بلدان العالم الثالث على فرض العقوبات (الاقتصادية) استنادًا على سجل حقوق الإنسان وحده لأي بلدٍ من البلدان، وفقًا لِمَا تنص عليه فقرة فرعية من فقرات المادة الخاصة بهذا الموضوع في الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان، وأكَّدت أن لفظ «تفعيل» النص المذكور، الوارد في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة، لا يتضمَّن أيَّ إلزام، بل ترك البت في المسألة لتقدير كل طرف من الأطراف.

والتفعيل إذن قد يعني «البعث» من حالة الرقاد dormancy؛ أي حالة التجاهل — ولا شك أن كثيرًا من نصوص القانون الدولي «نائمة» dormant؛ أي لا يعمل بها أحد — وقد يعني التنفيذ الواجب قانونًا؛ ولذلك فعلينا أن نكون واعين بمعنى الكلمة في كل سياقٍ عربي بعينه.

(7) The Dean recommended that the rule that a student be prevented from taking the exam unless he or she attended the required percentage of lessons should be [strictly] applied.

(٧) أوصى العميد بتفعيل قاعدة حرمان الطالب من دخول الامتحان إذا لم يُحقِّق نسبة الحضور اللازمة.

(8) The Environment Minister called for the re-activation of the decisions prohibiting soil-scraping or the burning up of waste in open ovens, stating that such acts should be regarded as criminal offences.

(٨) طالبت وزيرة البيئة بتفعيل القرارات التي تحظر تجريف التربة وإحراق النفايات في أفرانٍ مكشوفة، بل وبتجريم كل هذه المخالفات.

ففي المثال (٧) توجد قاعدة لا ينفِّذها أحد، وفي المثال (٨) توجد قرارات «نائمة» إمَّا لأنها صدرت في غضون قوانين غير معمولٍ بها، أو لم تصدر بها لوائح تنفيذية، وإمَّا لأنها لم تصدر بها قوانين أصلًا، ولا يوجد من ثَم أيُّ نصٍّ على فرض عقوبة على مَن يخالفها. لاحِظ أن كلمة مخالفة (التي تُرجمت هنا بالكلمة المحايدة acts)، تعني إمَّا abuse بصفةٍ عامة أو offence في سياقِ مخالفات المرور مثلًا traffic offences، فإذا كان المعنى عامًّا فقد تكون جُنحةً misdemeanor، وقد تكون جنايةً felony (وكلها offences أو crimes)، ولاحِظ كيف تُرجم المصدر «تجريم» في المثال (٨).

ولا بد أن نقف قليلًا عند الكلمتَين اللتَين تُرجمت كلٌّ منهما بالقرار، ألَا وهما resolution وdecision — الأولى ترتبط عادةً بالقرارات غير الملزمة — فالمعنى الأصلي هو الاعتزام أي تبيان النية والمقصد، وقد تعني الكلمة حل مشكلة أو حسم خلاف أو البَت في صراع؛ ولذلك فجميع القرارات التي تصدر عن المؤتمرات هي من هذا النوع، وكذلك قرارات معظم الهيئات الدولية. أمَّا decision فترتبط بالقرارات الملزمة مثل قرارات المحاكم (أي قرارات السلطة القضائية the judiciary)، وقرارات الحكومة (أي قرارات السلطة التنفيذية The Executive Authority) المستندة إلى قرارات السلطة التشريعية The Legislative Authority or the Legislature التي هي بمثابة القوانين؛ ولذلك فنحن نُترجم قرار المحكمة a decision by a court بتعبير حكم المحكمة، ونُفرِّق في هذا بين الفصل في القضية، خصوصًا في القضايا الجنائية the verdict وهو تحديد الذنب،

وبين العقوبة sentence، ولكن الفصل بين الكلمتَين في العربية عسير إلا في كل سياقٍ على حدة، وإن كان مترجمو الأمم المتحدة قد اهتدَوا إلى حلٍّ طريف، وهو ترجمة resolution بالقرار وdecision بالمقرَّر! وهذا حلٌّ لا بأس به داخل الأمم المتحدة فقط؛ لأنه يحيل القارئ إلى النص الإنجليزي؛ فالمترجمون يفترضون أن قُرَّاءهم يعرفون الإنجليزية، ولا شك أن معظمهم يعرفونها، ولكن المبدأ خطيرٌ لأنه يجعل العربية لا تُفهم إلا بالترجمة العكسية. أمَّا الحل في نظري فهو عدم تخصيص كلمة عربية واحدة لكل كلمة من الكلمتَين الإنجليزيتَين، ولا بأس من استخدام القرار في ترجمة كل منهما، أو الاستعاضة عنها بما هو أدق ممَّا يوحي به النص.

(9) The Court of Cassation approved the decision by the court of Appeal that reparations be paid and, being the highest court in the land, its decision was final.

(٩) أيَّدت محكمة النقض ما حكمت به محكمة الاستئناف من دفع التعويضات، ولَمَّا كانت أعلى محكمة في البلاد كان حُكمها نهائيًّا.

(10) He was in two minds which one to choose for the job, as each had the right qualifications, but his decision to appoint the younger man was, everybody concurred, unbiased.

(١٠) كان حائرًا لا يدري مَن يقع عليه اختياره للتعيين في الوظيفة؛ فكلٌّ من المرشَّحِين يتمتَّع بالمؤهِّلات المناسبة، ولكن اختياره الرجل الأصغر سنًّا للوظيفة كان في رأي الجميع بريئًا من الهوى.

ولقد تعمَّدت اختيار نماذج يمكن ترجمة decision فيها بكلمةٍ أخرى غير قرار، وإن كان ذلك لا يمنع من ترجمتها في هذَين النموذجَين بكلمة القرار، وسوف نلاحظ أن كلمة قرار قد توازي كلمة مرسوم، والفعل to decide قد يعني to decree؛ أي يُصدر مرسومًا؛ ولذلك فنحن لا نستخدم الفعل العربي المشتق من أيٍّ منهما، ولا من resolve وهو الفعل الذي اشتُق منه resolution، ممَّا يتضح معه صعوبة التمييز بين القرار والمقرَّر اللتَين أتى بهما مترجمو الأمم المتحدة!

(11) The conference has resolved–resolves/decided– decides.

(11–a) The council has decided–decides.

فكيف نأتي بفعلٍ من «المقرَّر» يختلف عن الفعل المشتق من «القرار»؟ وأمَّا الحل فيتضح في حالة كلمة decree:

(12) The king has decreed that all expatriate workers should have a valid residence permit.

(١٢) أصدر الملك مرسومًا يقضي بأن يحمل كل عاملٍ أجنبي تصريحًا صالحًا بالإقامة.

وأعتقد أن في هذا فصلَ الخطاب.

الباب السابع عشر: package

أصل معنى package (الاسم) هو الحُزمة أو الربطة أو الطرد؛ أي الصندوق مثلًا الذي يتضمَّن شيئًا ما مرسلًا من جهةٍ إلى جهة. ولكن معنى الاسم شائع، ولا يُهمُّنا إلا معناه الاستعاري الجديد الذي نشأ وتطوَّر تطوُّرًا غريبًا في ربع القرن المنصرم. وكانت البداية في إنجلترا من جانب الشركات السياحية التي هداها تفكيرها التجاري المحض إلى الاقتصاد في النفقات عن طريق ضمان عدد مُعيَّن من المشاركين في كل رحلةٍ سياحية، ونقلهم بطائرةٍ متعاقد عليها خصوصًا chartered إلى مكانٍ محجوز سلفًا، وتقديم أطعمة لهم، وتنظيم جولات لهم، على أساس حساب الجملة wholesale، وتقليل المخاطر التجارية risks من خلال ضمان العملاء clients؛ ممَّا يؤدِّي إلى تخفيض تكاليف كل عنصر من هذه العناصر، وضغط النفقات التي يتحمَّلها السائح تبعًا لذلك؛ ممَّا نتج عنه رواجٌ كبير في الرحلات السياحية المتكاملة التي أصبح يُطلق عليها تعبير package tour. وسرعان ما انتقل استخدام الكلمة ليصف التكامل بين الإجراءات التي «يُكمل بعضها بعضًا»، أو الحالات التي تضم الحقوق والواجبات التي لا ينفصل بعضها عن بعض، فخرج لنا مصطلح package deal؛ أي الصفقة المتكاملة. وبهذا أصبحت الكلمة تُستخدم صفة، وشاع استخدامها على مستوياتٍ وفي مجالاتٍ متعدِّدة وغير متوقَّعة، ثم ما لبث، شأنه شأن معظم الكلمات الجديدة، أن فُقد هذا المعنى المحدَّد، أو فلنقل إنه لم يعد مقصورًا عليه، بل أصبح أقرب ما يكون في معناه إلى التعبير العربي الشائع «مجموعة متكاملة» (وإن لم تتكامل في الواقع) من الإجراءات أو الخطوات المُتَّبعة، فغدا شبيهًا بتعبير set أو group!

(١–١٧) ولْننظر في الأمثلة التي توضِّح المعنى الأصلي وتطوُّره:

(1) The company offered its potential "partners" packages, transforming them from share-holders to saving-bank depositors, which appealed to small investors, particularly, who did not relish the prospect of loss and hoped for security of profit, however limited.

(١) كانت الشركة تعرض على من يود المشاركة فيها عقودًا متكاملة، بحيث يتحوَّلون من مساهمين (حاملي أسهم) إلى مُودِعين في بنوك الادخار، وكان لذلك جاذبيته لصغار المستثمرين بصفةٍ خاصة، وهم الذين يعافون احتمالات الخسارة ويأملون في بعض الأرباح المضمونة مهما تكن محدودة.

والمشاركة على أساس العقد المتكامل معناها إذن، في هذا السياق، الموافقة على مجموعة الشروط الواردة في العقد (والتي يُفترض من كلمة package أنها يُكمل بعضها بعضًا) دون الحق في تغيير أيها، وهو ما يشار إليه في الإنجليزية بتعبير contract in set form، وما يُشار إليه في القانون بالتعبير العربي «عقد الإذعان» (والذي تخصَّص في دراسته الدكتور عبد المنعم فرج الصدة، رحمه الله)، ونلاحظ هنا أن الصياغة الإنجليزية توحي بأن مثل هذه العقود أقرب ما تكون إلى عقد الادِّخار الذي يضمن guarantees (انظر مناقشة كلمة secure) ربحًا ضئيلًا للمُدِّخر حتى لو تعرَّضت الشركة للخسارة؛ فالمفترض أنها تقتطع من أرباحها الكبيرة في بعض الصفقات ما يوازن هذه الحالات المحدودة من الخسائر. وكلمة package إذن تُعفي الشركة من الإيحاء بأن عقودها «عقود إذعان» بسبب الرنة غير المحبَّبة لهذا المصطلح.

(2) The leader said that if the people opted for capitalism, they had to accept all that it involved—discrepancies in income, class conflict, and rampant crime—as the option was simply a package.

(٢) قال الزعيم إن الناس عليها، إذا اختارت الرأسمالية، أن تقبل كل ما تؤدِّي إليه — مثل صور التفاوت في الدخل، والصراع الطبقي، وانتشار الجريمة — فالاختيار يمثِّل صفقةً متكاملة.

(3) The package of reforms, as proposed by the Committee, should require a great deal of sacrifices and should, the chairman explained, mean much less profit in the short term.

(٣) قال رئيس اللجنة إن مجموعة الإصلاحات المتكاملة التي يقترحها الأعضاء من شأنها تقديم قدر كبير من التضحيات، وأوضح أنها تعني تخفيض الأرباح كثيرًا في الأَجَل القصير.

(١٧-٢) ومن هذا المعنى برز معنًى جديدٌ للفعل to package، وهو الاستعمال الحديث للكلمة الذي أشاعه الأمريكيون ولا تورده بعض المعاجم البريطانية؛ فالفعل pack يُغني في رأيها عنه، بمعنى يُغلِّف أي يجهِّز الطرد في ربطةٍ أو صندوقٍ للإرسال. ولكن الفعل الجديد يكاد يقتصر في معناه على تجميع الإجراءات أو المقترحات في صورةٍ متكاملة، لا تغليفها أو إعدادها للإرسال!

(4) As the measures to be taken included a number of apparently incompatible ones, or disparate departmental acts, the minister urged that a process of thoughtful packaging was needed, if parliament was to swallow the bitter pill.

(٤) كان الوزير يرى أن بعض التدابير المزمع اتخاذها لا تتمشَّى مع بعضها البعض، أو تستند إلى إجراءاتٍ وزارية غير متجانسة، وهكذا فقد أكَّد ضرورة تنسيقها في مجموعاتٍ متكاملة، وعلى أُسسٍ مدروسة؛ حتى يتسنَّى إقناع البرلمان بقَبولها؛ إذ كانت بمثابة حبة دواء مُر.

وسوف نقف هنا قليلًا عند كلمتَين هما urge وthoughtful.

(١٧-٢-١) جرى العُرف على ترجمة urge بالفعل «يحث»، ولكن الفعل يحث متعدٍّ في العربية ولا يقبل الاستعمال دون مفعول به، والفعل الإنجليزي قد يقبل غير ذلك، والأمثلة كفيلة بالإيضاح:

(5) He urged his son to study hard.

(٥) حثَّ ابنه على الجد والاجتهاد (في الدراسة).

(6) Noting that dereliction of duty was the rule rather than the exception, especially among white collar workers, the manager urged more diligence and attention to detail.

(٦) لاحظ المدير أن الإهمال في أداء الواجب قد أصبح أقرب إلى القاعدة منه إلى الاستثناء، خصوصًا بين الموظَّفين الكتابيين، وهكذا حثَّ «الجميع» على بذل المزيد من الجهد والاهتمام بالتفاصيل.

وقد أضفنا «الجميع» هنا للاحتفاظ بكلمة «حث»، وكان يمكن الاستعاضة عنها (فهي ليست مُقدَّسة) بأفعالٍ أخرى مثل طلب/أمر/أوصى ... إلخ.

(7) Residents of the district were urged to refrain from tipping and restrict their dust to a minimum; the council believed that the dustmen's strike may continue for many days and though it would be a long haul.

(٧) حثَّ المجلس البلدي سُكَّان الحي على عدم إلقاء القُمامة في الطرقات ومحاولة التقليل من القُمامة نفسها إلى أدنى حدٍّ ممكن؛ لأن إضراب الزبَّالين في اعتقاده سوف يستمر عدة أيام، بل قد يطول أمده.

ولا بأس من الإشارة إلى تغيير البناء من المبني للمجهول إلى المبني للمعلوم ما دمنا نعرف الفاعل من السياق؛ فكلمة council تعني town council (أو municipality في تعبيرنا العام!) والسياق واضح ولا خلاف على معناه، أمَّا معنى tip هنا فهو إلقاء القُمامة، ويُستخدم الفعل مع المفعول به أو دون مفعول به، كما هو الحال هنا، كقولك:

(8) He tipped the rubbish out of the bin into the back of the van.

(٨) إنه ألقى القُمامة من السلة في صندوق الشاحنة الخلفي.

والأمريكيون يسمون القُمامة trash وصندوق القُمامة trash can لا dust bin، ولكن الفعل يُستخدم بالأسلوب نفسه في بريطانيا وأمريكا.

(9) She tipped the slop out of the bucket into the sink.

(٩) ألقت الماء القذر (ماء المسح أو الغسيل) من الدلو في الحوض.

وأمَّا الكلمة الثانية فهي تعبير long haul، وكلمة haul قد تكون فعلًا بمعنى يسحب أو يجر، وقد تكون اسمًا بمعنى المسافة التي يقطعها الشيء الذي يسحبه الإنسان أو يجره، وتستخدم استعاريًّا بمعنى طول الأمد. ونعود إلى urge.

(10) It was urged that all farmers stay at home during the distribution of the food aid: this should be conductive to a quicker and more orderly operation.

(١٠) طلب المسئولون من المزارعين أن يظلُّوا في مساكنهم أثناء توزيع المعونة الغذائية؛ فمن شأن ذلك أن يؤدِّي إلى الإسراع بالتوزيع وتنظيمه.

لاحظ تحويل المبني للمجهول إلى مبنٍ للمعلوم.

(11) He urged belt-tightening, insistion that an austerity budget could never work if the people maintained their pervious levels of spending.

(١١) حثَّ (فلان) الشعب على شد الأحزمة على البطون، مؤكِّدًا أن ميزانية التقشُّف لا يمكن أن تنجح إذا استمرَّت مستويات الإنفاق القديمة على حالها.

ولاحظ هنا تحويل جملة that إلى جملةٍ مفيدة بالعربية.

(١٧–٣) ولكن package لم تعد مقصورةً على المعنى الذي حدَّدناه أولًا، على نحو ما سبقت الإشارة إليه، ولم تعد تفيد التكامل في كل حالة، بل إنها أحيانًا أصبحت تعني التجميع فحسب؛ ممَّا دعا بعض مترجمي الأمم المتحدة إلى ترجمتها بكلمة الترزيم؛ أي جمع الأشياء أو الأفكار في رُزمٍ (جمع رزمة).

(12) The current packaging of the acts and bye–laws on immigration, said a Commonwealth spokesman, should reveal the amount of official hypocrisy practised both at Whitehall and at the townhall.

(١٢) قال متحدِّثٌ باسم الكومنولث إن تجميع القوانين التي أصدرها البرلمان والقوانين التي أصدرتها السلطات المحلية في بريطانيا من شأنها أن تُميط اللِّثام عن مدى نفاق المسئولين في الحكومة المركزية وهيئات الحكم المحلي.

فهل تصلح كلمة الترزيم هنا؟ ربما كان من الأفضل إضافة عبارةٍ أخرى إلى الجملة العربية «... البرلمان (في لائحةٍ واحدة)» لإيضاح المعنى، وسوف نلاحظ أن التجميع لا يعني التوحيد، وإن كُنَّا نستخدم الأخيرة في ترجمة النصوص التجارية (خصوصًا فيما يتعلَّق بالحسابات)؛ فنحن نقول الميزانية الموحَّدة consolidated budget بدلًا من المجمَّعة، ولا نملك أن نغيِّر هذا المصطلح ما دام أصحاب المهنة قد اتفقوا عليه. وانظر أخيرًا إلى المثال التالي:

(13) Done in the name of streamlining, the clumsy packaging of trade regulations has only led to contradictions difficult to undo.

(١٣) إن تجميع اللوائح التجارية بهذه الصورة المرتبكة، وإن كان قد جرى باسم الانسيابية، لم يؤدِّ إلا إلى تناقضاتٍ من الصعب إزالتها.

ونشير عَرضًا هنا إلى أن كلمة regulations بصيغة الجمع تعني «اللائحة»، مثلما يعني تعبير rules and regulations. ولْيَحذر المترجم من تصوُّر أنها تعني القواعد والنظم أو التنظيمات؛ فالمتفق عليه مثلًا أن اللائحة العامة هي general regulations، وأن النظام الأساسي (أو القانون الأساسي) هو statute، وأن اللائحة الداخلية هي internal regulations (réglement intérierure)، واللائحة قد تتكوَّن من rules يشار

إليها أحيانًا باسم المواد articles، وأحيانًا باسم القواعد بل والمبادئ. ونحن أهلَ اللغة العربية لا نزال نكافح حتى نحدِّد معنى «النظام»؛ فالكلمة مساوية في بعض البلدان العربية للقانون (والقانون كلمةٌ هندية أي سنسكريتية Sanskrit قديمة دخلت اللغة اليونانية، ثم انتقلت إلى بعض لغات الأرض الحية، ومنها العربية!) والنظام قد يساوي ما نعنيه بنظام الحكم السياسي the regime، أو جهاز الحكم الإداري the system، أو الانضباط descipline أو الترتيب order (مثل النظام العالمي الجديد the new world order الذي يعني إعادة ترتيب مكانة ودور الدول)، وغير ذلك من المعاني الشائعة، ومنها «التنظيم» بمعنى تخطيط المدن ورسم المباني والشوارع planning.

فإذا رجعنا إلى المثال رقم (١٢) وجدنا أن لدينا نوعَين من القوانين يُشار إلى الأول بكلمة acts (اختصارًا لعبارة acts of parliament)، وإلى الثاني بكلمة bye-laws (ومن الشائع أن تكتب by-laws)، ومعنى التعبير الأول هو القانون الذي تُصدره الهيئة التشريعية (a legislative body) سواء كان ذلك في بريطانيا، على نحو ما ورد في هذا المثال، أو في أمريكا (acts of Congress)، ويشار إليها باسم القوانين الوطنية أو التشريعات الوطنية national legislation، وقد توصف أحيانًا بأنها محلية domestic، وقد تُستخدم كلمة acts في تعبيرٍ آخر هو Act of God، وعادةً ما نُترجمه بتعبير «قضاءً وقدرًا»؛ أي دون أن يتسبَّب فيه البشر، وهو يشير أصلًا إلى الكوارث الطبيعية مثل العواصف والزلازل وما إلى ذلك، أو إلى الأحداث العارضة accident في حالاتٍ نادرة. ولاحظ أننا نفرِّق بين الكوارث الطبيعية والكوارث التي يتسبَّب فيها البشر natural vs man-made disaster. وأمَّا النوع الثاني (by-laws) فكان يشير في الأصل إلى القوانين «الفرعية»؛ أي ما يقابل لدينا «اللوائح التنفيذية»، وهي التي تتضمَّن تفاصيل تنفيذ القوانين الوطنية على مستوى كل هيئةٍ من الهيئات، ثم تطوَّر المعنى فأصبح يعني التعليمات instructions التي تُصدرها هيئات الحكم المحلي، والتي اكتسبت قوة القانون بمعنى ضرورة الالتزام بتنفيذها وفرض عقوبة على من يخرقها، وهذه تتفاوت من سلطة حكم محلي إلى سلطةٍ أخرى؛ إذ تختص هيئات الحكم المحلي في بريطانيا مثلًا بشئون التعليم (الإشراف على المدارس) والشرطة والمرافق العامة، وتنفق على ذلك من حصيلة العوائد the rates، وهي الضرائب العقارية؛ أي المبلغ الذي يدفعه كل صاحب عقار (أرض أو منزل) إلى السلطة المحلية سنويًّا، إلى جانب ما تحصل عليه من الحكومة المركزية من مال.

ومن الطبيعي أن يؤدِّي اختلاف النظم بين البلدان الناطقة بالإنجليزية والبلدان العربية إلى بلبلةٍ في الترجمة؛ فكلمة القانون (والقوانين) العربية تُستخدم في الإشارة إلى كل أشكال التشريعات على اختلافها مع إضافة صفة تشرح أو توضِّح نوعها، ولن يحارَ المترجم ما دام يفهم المعنى المقصود في النص الإنجليزي، ولكن الترجمة من العربية قد تؤدِّي إلى صعوباتٍ كثيرة، فما هو «قانون تنظيم الجامعات»؟ هل هو نصٌّ قانوني يتفق مع الدستور ولا يخالف القانون العام public ولا قانون العرف common law ولا قانون العادات والتقاليد customary law، ويتضمَّن من الأحكام provisions والنصوص clauses ما يُخوِّل له التمتُّع بالاستقلال عن القوانين المدنية civil والجنائية criminal وغيرها؟ أم هو لائحة عامة فحسب general regulations تتضمَّن أُسس العمل ومبادئه الثابتة؟ أم لائحة تنظيمية regulatory rules تُحدِّد أسلوب العمل واختصاصات كل وظيفة؟ والاختصاصات هي إمَّا terms of references أو competence إذا كانت ثابتةً ودائمة، وهي mandate إذا كان يمارسها شاغل الوظيفة بالتفويض delegation of authority، أو بالتكليف assignment، وهي تختلف عن الاختصاص القضائي أو ما تترجمها الأمم المتحدة بكلمة «الولاية»؛ أي jurisdiction، وهي تعني السلطة فحسب لا اختصاص المحكمة، كما يتضح من المثالَين التاليَين:

(14) The defendant said that the court was not competent to hear the case as it was a purely civil claim for damages.

(١٤) دفع المتهم بعدم اختصاص المحكمة بنظر القضية؛ لأنها كانت قضيةً مدنية تنحصر في المطالبة بالتعويض.

(15) The Palestinians tried by the Israeli court challenged its jurisdiction as the alleged crime had been committed on Arab territory, though currently under occupation, and called for an Arab court to be established specifically for this purpose.

(١٥) قدَّم الفلسطينيون الذين كانوا يُحاكَمون أمام محكمةٍ إسرائيلية طعنًا في الاختصاص القضائي لتلك المحكمة، قائلين إن الجريمة المزعومة قد ارتُكبت على أرضٍ عربية، وإن كانت حاليًّا تحت الاحتلال (محتلة)، وطالبوا بتشكيل محكمة عربية خصوصًا لهذا الغرض.

(٤–١٧) إننا لا نعرف ما ستئول إليه معاني كلمة package، ولكنها أصبحت تقترب كما قلنا من معنى set أو group، وابتعدت عن معنى التكامل وإن كان لا يزال كامنًا فيها، وكثيرًا ما نقرأ نصوصًا ترد فيها هذه الكلمات معًا.

(16) The set of suggestions may appear exciting, and some are definitely interesting enough to be capable of tidier packaging, but a series of executive steps should be formulated and included in the paper, for the recommendations are not binding and many are hazy.

(١٦) قد تبدو (مجموعة) الاقتراحات المطروحة مثيرة، وبعضها لا شك على درجةٍ من الأهمية التي تبرِّر وضعها في مجموعاتٍ منتظمة، ولكن الدراسة يجب أن تشتمل على سلسلةٍ من الخطوات التنفيذية؛ لأن التوصيات ليست ملزِمة، ويتسم عددٌ كبيرٌ منها بالغموض.

وقد وضعت كلمة «مجموعة» الأولى بين قوسين لأنها لا تضيف شيئًا ذا بالٍ إلى المعنى، ويجوز حذفها، وسوف يلاحظ القارئ حذف كلمة formulated، وكان يجب أن نترجم العبارة على النحو التالي (ولكن يجب على كاتب الدراسة أن يضع سلسلةً من الخطوات التنفيذية ويدرجها فيها)، وهو كما ترى إطنابٌ تتميَّز به لغة التقارير النمطية؛ فكاتب أمثال هذه التقارير يُسعده أن يستخدم الكلمات «الموضة»، والتي توحي بلغة العلم، وعلى المترجم أن يتسلَّح باليقظة فلا يحاكي تلك الرطانة الخاوية.

الباب الثامن عشر: potential

شاع استخدام هذه الصفة المرادفة للاسم potentiality أي الطاقة الكامنة، وشاع جمعها بهذا المعنى، بحيث أصبحت تجمع بين المعنى المجرَّد الذي لا يُجمع (الطوق)، والمعنى المخصص الذي يُجمع (الإمكانات أو الإمكانيات). كما شاع استخدامها وصفًا لِما يمكن أن يحدث أو لِما يمكن أن يكون، فترجمها الكثيرون بكلمة «المحتمل» اختصارًا للجهد والوقت، فنشأ خلطٌ عجيب بين الممكن والمحتمل؛ ولهذا لزم تخصيص باب لها.

(١–١٨) المعنى الاشتقاقي يرجع إلى كلمةٍ باللاتينية الوسطى هي potentialis من potential (وأصلها potens (والمضاف إليه منها هو potentis)، وهي اسم الفاعل من الفعل posse؛ أي يستطيع أو يقدر)، والصفة هي potis بمعنى قادر، والصفة الإنجليزية المشتقة مباشرةً من الأصل هي potent بمعنى القوي القادر أو صاحب السلطة والنفوذ والجبروت. والجميع يعرفون أنها كثيرًا ما تُستخدم لوصف المشروب المُسكر، ويقول بعض العلماء إن وصف المشروب بأنه strong معناه وجود الكحول فيه (السبرتو spirit التي ترجمها بعضهم بالمشروبات الروحية!) وأمَّا وصف المشروب الكحولي بأنه potent فيعني أنه قوي التأثير، مثل وصف الدواء، ولعل التصاحب بين الكلمتَين يرجع إلى التشابه في الحروف الأولى؛ لأن كلمة potable التي أخذتها الإنجليزية عن الفرنسية تعني ما يُشرب، وأصلها اللاتيني potabilis المشتق من potus بمعنى المشروب، من الفعل potare، ثم تحوَّلت في اللاتينية العامية إلى معنى كأس الشراب، وأتت منها الكلمة الإنجليزية pot بمعنى القدح أو الإناء. ومن كلمة potent أتت كلمة potency؛ أي القوة أو الطاقة (وقد تكون كامنة أيضًا). فإذا تأمَّلنا المعنى الأصلي لكلمة potential وجدناه يتفق تمامًا مع جوهر المعاني الاشتقاقية، ولكن معناها الاصطلاحي يختلف اختلافًا بيِّنًا.

(٢–١٨) أمَّا المعاني الاصطلاحية للكلمة فيمكن إرجاعها إلى فكرةٍ واحدة هي كل ما يمكن أن يتحقَّق، وقد يكون طاقةً كامنة latent energy، أو نزوعًا فطريًّا (موهبةً talent)، أو مَيلًا طبيعيًّا (natural propensity, inclination)، أو موارد غير مستغلة unexploited resources أو غير ذلك، وسوف نضرب لكل منها مثالًا موجزًا.

(1) Atomic fission has shown that matter is potentially energy.

(١) أثبت انشطار (تفتيت) الذرة أن المادة طاقةٌ كامنة.

(١-أ) تبيَّن من تفتيت الذرَّة أن المادة يمكن أن تتحوَّل إلى طاقة.

(١-ب) اتَّضح من انشطار الذرة إمكان إطلاق الطاقة من المادة.

(2) Young men and women have potentials rarely recognized by the old.

(٢) يتمتَّع الشباب بطاقاتٍ كامنة يندر أن يعترف بها الشيوخ.

(٢-أ) لدى الشبان والشابات إمكانيات يندر أن يقرَّ الشيوخ بوجودها.

(٢-ب) يندر أن يدرك الشيوخ ما لدى الشباب من قدراتٍ دفينة.

أمَّا المعنى الثاني فنصادفه في:

(3) She is a potential artist: everyone who heard her sing realized she should receive the necessary training.

(٣) لديها طاقات فنيَّة كامنة، وكل من سمعها تُغنِّي أدرك ضرورة تلَقِّيها التدريب اللازم.

(٣-أ) إنها تتمتَّع بموهبةٍ فنية، وكل من سمعها ...

(٣-ب) إنها فنانةٌ بالفطرة، وكل ...

وهو يتداخل مع المعنى الثالث:

(4) Still a science college finalist, the boy is a potential politician: he is a leader of men and has “power of speech”; in fact some party cadres are already trying to recruit him.

(٤) إن ذلك الشاب الذي لا يزال في السنة النهائية بإحدى كليات العلوم، يتمتَّع بإمكانيات العمل بالسياسة؛ فهو قادرٌ على القيادة، وهو خطيبٌ مُفلِق، بل إن بعض أعضاء الحزب يحاولون حاليًّا أن يضمُّوه إلى الحزب.

(٤-أ) إن ذلك الشاب ... لديه مَيلٌ طبيعي للعمل بالسياسة ...

(٤-ب) إن ذلك الشاب ... يتمتَّع بالقدرة على العمل بالسياسة ...

(٤-ج) إن ذلك الشاب ... سياسيٌّ بالفطرة ...

(٤-د) إن ذلك الشاب ... تتجلَّى فيه المواهب السياسية ...

أمَّا المعنى الرابع فهو ما نراه في هذه العبارة:

(5) There are immense potentials in the Toshka project: the ground water in Sharq Al–Uwaynat may be complemented by the Toshka spillover, and the virgin cultivable land is crying for reclamation.

(٥) إن الطاقات الكامنة في مشروع توشكى هائلة؛ فالمياه الجوفية في شرق العوينات يمكن استكمالها من مفيض توشكى، والأرض البكر الصالحة للزراعة تشتاق إلى الاستصلاح.

(٥-أ) إن إمكانيات مشروع توشكى هائلة ...

(٥-ب) إن الموارد التي يمكن استغلالها في مشروع توشكى شاسعة ...

(٥-ج) هناك موارد ضخمة لم تُستثمر في مشروع توشكى ...

وهكذا نرى أن المعاني التي تحملها كلمة potential تتلوَّن بتلوُّن السياق، وليس على المترجم حرج إن هو استعاض عن المعنى العام بمعنًى مخصص ولو بالتأويل، ولو أن المعنى العام لم يعد عسيرًا على الإدراك بالعربية المعاصرة.

(٣–١٨) أمَّا الكلمة التي لا بد من التصدي بحزمٍ لها فهي كلمة «المحتمل»، التي شاعت في ترجمات الأمم المتحدة وأصبحت مصدر خلط شديد.

(6) Three lawyers were detained on a charge of defending dissidents; they were potential prisoners of conscience.

(٦) اعتُقل ثلاثة من المحامين بتهمة الترافع عن بعض المنشقِّين، وقد يكونون من سجناء الرأي.

(١–٣–١٨) و«سجين الرأي» هو التعبير الذي استحدثه طه حسين ليصف به كل من يُسجن بسبب اختلافه في الرأي مع النظام الحاكم، ونشير عَرضًا هنا إلى عبقرية طه حسين في إخراج هذا المصطلح الذي شاع لدى المشتغلين في مجالات حقوق الإنسان؛ أي human rights؛ فهو لم يقف عند المعنى الشائع لكلمة conscience (الضمير) ولو فعل لضلَّل أجيالًا كثيرة. ولا بد لنا أن نضيف أن الاستعاضة عن المعنى الشائع قد تتضمَّن بعض الأخطار (is potentially dangerous)، خصوصًا حين يكون المترجم مبتدئًا، أو

حين يفتقر إلى الدربة اللازمة، على نحو ما فعل المترجمون الأوائل للإعلان العالمي لحقوق الإنسان حين ترجموا تعبير «حرية الضمير» بحرية «الوِجدان» بكسر الواو، وهو المصطلح المستحدث في الفلسفة للتعبير عن الإحساس باللذة أو الألم، أو عن الحالة النفسية المتأثِّرة باللذة أو الالم (في مقابل الحالات الأخرى المتأثِّرة بالإدراك والمعرفة)، وكان بوسع المترجم أن يقول «حرية الرأي» لولا أن حرية الرأي منصوصٌ عليها في المتن نفسه freedom of opinion، أو «حرية العقيدة»، لولا أنها منصوصٌ عليها أيضًا (belief)، ومن ثَم لجأ إلى الوجدان فهو عنصرٌ آخر من عناصر الضمير، والضمير أصلًا هو المضمر، أو ما تُضمره في نفسك ويصعب الوقوف عليه، ثم تحوَّل المعنى إلى ما نفهمه حاليًّا من الكلمة، وهكذا انتهى المترجم إلى العنصر غير المنصوص عليه، وهو المعنى المستحدث للوجدان، فأثبته وفق تأويله للمعنى الموحي به في التعبير الإنجليزي، ولكن ذلك التأويل لم يكن موفَّقًا؛ لأن واضعي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان كانوا يقصدون الضمير بمعناه الحديث؛ ولذلك أعادت الأمم المتحدة ترجمة الإعلان، وأصبحت الترجمة الحديثة تنصُّ على حرية الضمير لا على حرية الوجدان.

(٢–٣–١٨) ولكن الأمم المتحدة لا تزال تترجم potential بكلمة المحتمل، وهي تستند في ذلك إلى المعنى القديم الذي يورده المعجم الوسيط في تعبيرٍ حديث قائلًا: «واحتمل الأمر أن يكون كذا: جاز.» وهو معنًى كاد أن يصبح مقصورًا على استعمالاتٍ محدَّدة مثل قولك: «إن ذلك يحتمل الصواب والخطأ.» ومثل «احتمل الشيء والأمر: حمله وصابر عليه، ويقال: احتمل ما كان منه: أغضى عليه وعفا عنه» (الوسيط). ولا تورد المعاجم العربية المعنى الحديث للمحتمل بمعنى «المرجَّح»، وهو المعنى الحديث الذي يهمُّنا هنا؛ فنحن نقول ما هي احتمالات زيادة رأس المال؟ بمعنى ما هي التوقُّعات أو الفرص المتاحة لزيادته، ونقول إنه من المحتمل أن يصل غدًا؛ أي نتوقَّع أن يصل غدًا أو نرجِّح وصوله غدًا، ولا نعني أنه يجوز أو لا يجوز، ونحن نصف درجات الاحتمال، فإذا كان ضعيفًا قلنا إنه غير مرجَّح، وإن كان قويًّا رجَّحناه، وهذا كله يختلف عن الإمكان وعن القدرة، وهذا هو مربط الفرس في الكلمة التي نحن بصددها.

(7) Promoted to the rank of full colonel, a potential active duty commander, he was only given a desk job, as his superiors thought him unlikely to take part in any forthcoming combat.

(٧) رُقِّي الضابط إلى رتبة العقيد، وهي رتبةٌ تعني إسناد القيادة إليه في العمليات العسكرية، ولكن رؤساءه عيَّنوه في وظيفةٍ مكتبية؛ إذ رأوا أنه من غير المحتمل أن يشارك في أي عمليةٍ قتالية مقبلة.

والتعبير «تعني إسناد القيادة إليه» تُترجمها الأمم المتحدة بالكلمة التي نحن بصددها؛ أي «قائد محتمل» (في العمليات العسكرية)، وإذا كان «الاحتمال» بمعنى الإمكانية واردًا، فكلمة «المحتمل» تُفسد النص تمامًا؛ لأننا نقول إن ذلك «غير محتمل» intolerable/unbearable؛ أي لا يمكن تحمُّله، ونقول ذلك «محتمَل» إذا كُنَّا نصف الشيء الذي تتوقَّع حدوثه، وهو شخصٌ محتمَل؛ أي يمكن تحمُّل وجوده أو أفعاله أو كلامه!

(١٨–٣–٣) ولكن المحتمَل شيء والممكن شيءٌ آخر، فهل من المحتمَل أن أُقرِّر في هذه اللحظة وعند هذه النقطة انتهاء الكتاب، فأختتم بهذه العبارة الفصل والباب والكتاب؟ إنه أمرٌ مستبعد؛ أي غير محتمَل، وإن كان ممكنًا؛ فهو ليس مُحالًا، وهو قَطعًا في طَوق كل كاتب! وقد بدأ الخلط عندما وجد المترجمون أنفسهم في حاجةٍ إلى جمع احتمال (احتمالات)، ووضعوها في مقابل كلمة possibilities، وهي الكلمة التي تتضمَّن معنى الاحتمال إلى جانب الإمكان. وأول معنًى لكلمة possible هو الممكن؛ أي الذي في الطوق أداؤه (مثل إنهائي الكتاب هنا) أو من الممكن وقوعه.

(8) Frost is possible, though not probable, even at the end of May.

(٨) نزول الصقيع ممكن، وإن لم يكن محتمَلًا، حتى في آخر شهر مايو.

(٨-أ) ربما تكوَّن الصقيع، وإن لم يكن متوقَّعًا، حتى في آخر مايو.

(٨-ب) قد يتكوَّن الصقيع حتى في آخر مايو، وإن كان ذلك مُستبعدًا.

(9) Are you insured against all possible risks?

(٩) هل حصلتَ على بوليصة تأمين ضد جميع الأخطار الممكنة؟

والممكن هنا تعني المحتمَل وغير المحتمَل، فمن الأخطار غير المحتمَلة سقوط نيزك من السماء، بخلاف الأخطار المحتمَلة مثل الحريق والحوادث ... إلخ. كما تعني كلمة possible في الإنجليزية المعاصرة كل ما هو «معقول» أو مُرض؛ فحين نواجه مشكلةً أو مسألة (حسابية) تستعصي على الحل، أو عندما يغيب الحل الأمثل عن أذهاننا فقد نقول:

(10) A possible answer is …

(10-a) A possible solution is …

(١٠) إحدى الإجابات المعقولة هي ...

(١٠-أ) أحد الحلول المقبولة/المرضية هو ...

ونحن نقول بالعامية «ممكن» بهذا المعنى، وأحيانًا نستخدمها في الفصحى المعاصرة، وبذلك نُحاكي المعنى الأجنبي الذي تسرَّب إلى العامية، وانظر إلى المثال التالي:

A. I can’t get him on the phone, but must give him the message!

B. You could possibly take it to him at home!

A. Now? at midnight? and in Nasr City?

(أ) موش قادر أكلمه بالتليفون، ولازم أبلغه الرسالة ...

(ب) ممكن تروح له البيت.

(أ) دلوقت؟ في نص الليل؟ وفي مدينة نصر؟

أي إن الحل المقترح غير مقبولٍ أو غير مُرض، ممَّا يجعله غير محتمَل الوقوع! ولذلك فقد يستمر الحوار هكذا:

(ب) مش ممكن؟

(أ) ممكن بس صعب!

(B) Impossible

(A) Oh, quite possible but difficult!

وقد نجد الخلط أيضًا في استخدام كلمة possibilities بمعنى إمكانيات أو بمعنى احتمالات:

(11) I see great possibilities in this scheme.

(١١) أرى في هذا المشروع إمكانياتٍ كبيرةً (ومعناها فُرَص نجاح كبرى).

(12–A) I am worried: my wife should’ve arrived two hours ago.

(B) There’s the possibility that her train has been delayed.

(١٢-أ) يساورني القلق على زوجتي فقد كان المفروض أن تصل منذ ساعتَين.

(١٢-ب) ألَا يمكن أن يكون القطار قد تأخَّر؟

و«يمكن» هنا تشير إلى «احتمال» تأخُّر القِطار لا إلى أنه ممكن فقط، ومع ذلك فالدقة تقتضي مِنَّا عدم الخلط خصوصًا في الترجمة العلمية؛ لأن potential ليست مساويةً في استعمالاتها لكلمة possible في جميع الحالات، وإذا كانت possibilities قد تشير إلى الاحتمالات، فإن potentialities لا يمكن أن تحمل هذا المعنى، على نحو ما بَيَّنا.

(٤–١٨) وكان العلماء العرب يُشيرون إلى معنى potential بتعبير «القوة»، على نحو ما بيَّنا في كتاب «فن الترجمة» (الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ١٩٩٣م، ١٩٩٤م، ١٩٩٦م، ١٩٩٧م)، ويقصد به إخوان الصفاء مثلًا في رسائلهم ما هو كامنٌ من طاقة، والمغني الأكبر يُدرج المعنى وإن كان يُغيِّر حرف الجر إلى «في»، والفكر العلمي العربي يقابل بين ما هو موجود «بالقوة» وبين ما هو متحقِّق «بالفعل»، وهذا هو المعنى الذي تطوَّر لُغويًّا في العربية المعاصرة.

(٥–١٨) ويستخدم علماء اللغة الصفة في تحديد نوعٍ من الأساليب (لا يهمُّنا هنا)، كما يستخدمها علماء الفيزياء في الإشارة إلى الطاقة الكهرومغناطيسية، التي يستمدُّها جسمٌ ما من المجال الكهرومغناطيسي، وتُقاس بوحدة الفولت، وهي قَطعًا معنًى مُخصَّصٌ يخرج عن نِطاق اللغة الشائعة.

الباب التاسع عشر: practice/practise

ترجع صعوبة هذه الكلمة ومشتقَّاتها إلى ارتباطها في أذهان المترجمين بكلمة الممارسة العربية. ولنبدأ بالكلمة الإنجليزية ذات الجوهر الذي يفيد العمل، وأصلها الاشتقاقي الذي لا شك فيه هو اليونانية prassein، التي تعني يعمل أو يفعل أو يؤدِّي، ومنها جاءت الإنجليزية praxis التي أصبحت من الكلمات المتخصِّصة (وهي اسم)، وجاءت الصفة اللاتينية practicus المشتقَّة من الفعل اللاتيني practicare (الذي أتى أيضًا بالفرنسية practiser وpractiquer)، ومعاني الكلمة الإنجليزية الحديثة لا تخرج اصطلاحًا عن المعنى الاشتقاقي الذي يتلوَّن بتلوُّن السياقات، ولا معنًى مطلقًا لاقتصار الترجمة على كلمةٍ واحدة.

(١–١٩) أمَّا الكلمة العربية التي تقابل بعض معاني practise وpractice وهي الممارسة، فلها عدة أصول منها مَرَسَ يَمرُس (بضم الراء)، وله معانٍ مهجورة لا تُهمُّنا، ويقول بعض الباحثين إنه ذو صِلة بكلمة مرث (بالإبدال)، وكلاهما يعني النقع في الماء أو المسح أو المص، ومنها الفعل مرِس بكسر الراء يمرَس (بفتح الراء)، وهو فعلٌ لازم يُفيد شِدة المعالجة، وهو معنًى مهجور أيضًا. أمَّا الفعل مارس يُمارس الشيء مِراسًا وممارسة، فهو يقابل المعنى الحديث لكلمة practise؛ أي عالجه وزاوله، ويقال في العربية مارس قِرنه (بكسر القاف) ومارس الأمور والأعمال، والتمرُّس يُفيد معنًى آخر يتفق مع أحد معاني الكلمة الإنجليزية، وهو التعرُّض للأحداث أو التدرُّب على أشياءَ بعينها، وإن كان القدماء يقولون «تمرَّس بالنوائب والخطوب»؛ أي مارسها بمعنى تعرَّض لها وخَبَرها،

ومنها جاء المِراس، فيقال فلان ذو مراس أي ذو جَلَدٍ وقوةٍ وممارسةٍ للأمور. ونلاحظ هنا غلبة معنى الشدة؛ فالمَراسَة (بالفتح) تعني الشدة، ويقول المعجم إن المَرَّاس بتشديد الراء يعني ذا الشدة العظيمة، أمَّا المَرْس بتسكين الراء فهو السير الدائم، ولعل الشدة ترجع إلى شيوع استخدام الفعل في الصراع، فكان القدماء يستخدمون الفعل المزيد امترس وتمارس للدلالة على التصارع والتنازع سواء كان لفظيًّا (امترسَت الألسن في الخصومات، وامترس الخطباء)، أو عمليًّا (تمارس القوم في الحرب أي تضاربوا)، ومنه جاء وصف الرجل بأنه مَرِسٌ حذر؛ أي شديد مُجرِّب للحروب.

(٢–١٩) واتفاق الكلمة العربية مع أكثر من معنًى للكلمة الإنجليزية هو الذي أغرى المترجمين بالاستمساك بها والالتزام بها في ترجمة جميع صور الكلمة الإنجليزية مهما اختلف معناها في شتَّى السياقات، بل إنهم أصبحوا يُضفون على الكلمة العربية معاني ليست أصيلةً فيها حتى تتفق مع معنى الكلمة الإنجليزية، ممَّا جعل بعض الترجمات توحي بالأصل الإنجليزي لَمَن يعرفه دون أن تنقُل المعنى المقصود بالعربية. ولنعرض إذن لمعاني الكلمة الإنجليزية في سياقاتها المختلفة حتى نرى مدى الاختلاف في دلالاتها. أمَّا المعنى الأول للاسم practice فهو الواقع الفعلي أو العملي، في مقابل الفكر المجرَّد أو النظري.

(1) The idea of total equality is attractive, no doubt, but it cannot be put into practice.

(١) لا شك في جاذبية فكرة المساواة التامة، ولكن تطبيقها محال.

(2) The plan appealed to the committee members without exception, though they knew it could never in practice.

(٢) حظيت الخطة بالقَبول لدى جميع أعضاء اللجنة دون استثناء، ولو أنهم يدركون استحالة نجاحها عمليًّا.

(3) The practice of administering justice involves more than legal expertise: above all it requires a basic knowledge of human nature.

(٣) إن إقامة العدل لا تتطلَّب الخبرة القانونية وحدها، بل تشترط المعرفة الأساسية بالطبيعة البشرية قبل كل شيء.

وسوف يلاحظ القارئ أن كلمة practice قد حُذفت من المثال الأخير لأنها زائدة؛ فالكلمة كثيرًا ما توجد في سياقاتٍ تقتضي حذفها مثل كلمة process؛ أي إن للكاتب

بالإنجليزية أن يقول — مثلًا — The administration of justice بدلًا من التعبير الحالي، وكثير من الكُتّاب يُضيفون كلمة process دون حاجةٍ إليها مثل:

(4) The process of writing a book requires the marshalling of facts even before planning the argument.

(٤) إن وضع كتاب من الكتب يتطلَّب جمع الحقائق اللازمة أولًا، حتى قبل رسم ملامح القضية (التي سيطرحها الكتاب).

وقارن ذلك بما يلي:

(5) The practice of writing looks easy to the uninitiated, but it is as difficult as thinking, and it requires a further effort in the verbal formulation of thought.

(٥) تبدو الكتابة يسيرةً للمبتدئين، ولكنها لا تَقِل صعوبةً عن التفكير، كما إنها تتطلَّب بذل المزيد من الجهد في وضع الأفكار في صورةٍ لفظية.

وسوف أُناقش هنا — عَرضًا — بعض الكلمات التي وردت في هذه الأمثلة قبل الانتقال إلى النقطة التالية.

(١–٢–١٩) أول كلمة هي planning التي شاعت ترجمتها بالتخطيط، ولا شك أن كلمة plan قد تعني الخطة، ولكن الفعل to plan قد يعني «يعتزم» أو «ينتوي»، وهو المعنى الذي يغفل عنه كثيرٌ من المترجمين.

(6) Are you planning to move house when you get your new job?

(٦) هل تعتزم الانتقال إلى مسكنٍ آخر عند حصولك على العمل الجديد؟

(7) To abandon my *alma mater* has never been part of my plan; I only wanted to change the academic milieu in search of new ideas.

(٧) «عندما انتقلت إلى جامعةٍ أخرى» لم أكن أنتوي إطلاقًا أن أهجر جامعتي القديمة، بل كنت أسعى وحسب إلى تغيير المُناخ الأكاديمي بحثًا عن أفكارٍ جديدة.

وقد تعني الكلمة أيضًا يرسم ملامح شيءٍ ما، أو يضع خطوطه العريضة (ومن هنا جاء التخطيط).

(8) He had to plan the research in advance, at least as far as the objectives were concerned.

(٨) كان عليه أن يحدِّد ملامح البحث مقدَّمًا، وعلى الأقل فيما يتعلَّق بالأهداف المرجوَّة منه.

(9) The project is well-planned and appears capable of perfect execution.

(٩) المشروع ذو تصميم مُحكم، ويبدو أنه يمكن تنفيذه بصورةٍ مُحكَمة أيضًا. وهذا أخيرًا هو المعنى الذي يتضمَّن التخطيط.

(10) Market economies differ from central planning economies in being more susceptible to the forces of supply and demand.

(١٠) يختلف اقتصاد السوق عن اقتصاد التخطيط المركزي في أن الأول أكثر تأثُّرًا بقوى العرض والطلب.

وكثيرًا ما تعني كلمة plan (الاسم) الخطة الاقتصادية، وعلى غِرارها شاع استعمال الكلمة في الإشارة إلى سائر الخطط، بمعنى بيان هدف العمل ومنهجه وخطوات تنفيذه. وقد يعني planning — كما سبق أن ذكرنا — تخطيط المدن، أو ما يسمَّى اختصارًا بالتنظيم؛ فالتعبير الإنجليزي town planning دائمًا ما يُبتسر.

(٢-٢-١٩) والكلمة الثانية هي argument، وقد تُرجمت هنا بكلمة القضية؛ أي باعتبارها موازيةً لكلمة thesis (التي يترجمها بعض العرب بتعبير الأُطروحة؛ أي الفكرة المطروحة، وهي التي أصبحت توازي ما نسمِّيه في مصر بالرسالة الجامعية)، وكلمة argument قد تعني الحجة أو الدعوى، فإذا قلت «إن حجته واهية».

(11) His argument is flimsy.

كنت تعني أنه لا يستطيع إثبات ما يَدَّعيه، على عكس قولك «إن حجته قوية»؛ أي إنها تستند إلى ما يدعمها.

(12) His argument is cogent.

وسوف نلاحظ أن الكلمة تشترك في معناها الحديث مع المعنى القديم وهو «الموضوع» (في شعر مِلتون مثلًا وفي لغة القرن السابع عشر)؛ فالموضوع اسم مفعول من «وضع»، ويشير إلى مدار القول أو المسألة محل البحث أو موضع البحث. وترجمتها بأيٍّ من الكلمات السابقة يسيرة، ولكن ترجمة الفعل عسيرة؛ فكلمة argue تعني أولًا القول بشيءٍ أو بضده، وإن كان القول بالضد هو الذي شاع فنشأت فكرة المخالفة، والمعنى موجودٌ في كلمةٍ فصحى تكاد تكون مهجورةً هي حاجَّ (بتشديد الجيم) التي تعني جادل، وفي القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ (البقرة: ٢٥٨)، والصورة التي نألفها وهي «احتجَّ على» تعني أصلًا أقام الحُجة، ولكنها أصبحت تعني الاعتراض في معظم

الأحوال؛ فالاحتجاج لم يَعُد يعني إقامة الحجة، بل المعارضة واستنكار فعلٍ ما. وهذه نماذج لاستعمالات كلمة argue توضِّح معناها المعاصر:

(13) He argued that, considering the absence of the temptations involved in wealth, poverty may be a blessing.

(١٣) ذهب إلى أن الفقر قد يكون نعمة؛ لأنه يُعفي الفقير من التعرُّض لألوان الغواية التي تقترن بالثراء.

(14) Having got his facts right, he proceeded to argue very soundly indeed.

(١٤) تمكَّن بفضل تحرِّي دِقة المعلومات التي جمعها من إقامة حجةٍ بالغة القوة.

(15) He shall be banished, I say. Don't argue with me; my decision is final.

(١٥) إني حكمت بنفيه، ولا تجادلني في ذلك؛ فحكمي نهائي (لا رجوع عنه).

(16) That city-dwellers are more prone to criminal behavior is a moot point-you can argue for or against it.

(١٦) القول بأن سُكَّان المدينة أشد مَيلًا لارتكاب الجرائم قولٌ غير مقطوع بصِحته، ولك أن تنفي ذلك أو تُثبته إن أقمت الحجة على ما تقول.

(17) The lawyers argued the case for hours.

(١٧) قضى المحامون ساعاتٍ طويلةً في الجدل حول القضية.

وأهم مصدر للخطأ هو ورود كلمة argue (الفعل) بمعنى يقول أو يذهب إلى؛ لأن المترجم لا يستطيع أن ينسى الحجة والمُحاجَّة (بضم الميم وتشديد الجيم)، والحِجاج (بكسر الحاء المتبوعة بجيمٍ واحدة) وما إلى ذلك، وهاك مثالًا:

(18) As all native speakers of Arabic are Arabs, he argued, any variety of Arabic used by them should be regarded as standard.

(١٨) قال إنه لَمَّا كان تعريف العربي يعني كل مُتحدِّثٍ بالعربية باعتبارها لغته الأم، فيجب أن نعتبر أي نوع من أنواع اللغة العربية (أو أي مستوًى من مستوياتها) التي يستخدمونها لغةً عربيةً قياسية.

وختامًا للحديث العارض عن هذه الكلمة يجب أن نحذر الخلط بينها وبين الحج (بفتح الجيم وكسرها) وهو من شعائر الإسلام المعروفة، والغريب أن يتفق اللفظ في معناه

الأصلي (وهو قدوم المكان أو قصده) اتفاقًا محدودًا مع كلمة pilgrimage الإنجليزية التي تعني الرحلة أو السفر، ونحن نعرف أن للشاعر بايرون قصيدةً طويلة عنوانها رحلات تشايلد هارولد، والكلمة تردُ أيضًا في مؤلفات شيكسبير بالمعنى العام (الرحلة) والمعنى الخاص (الحج إلى مزارٍ مُقدَّس)، وقد اختلط الأمر على جبرا إبراهيم جبرا حين صادف الكلمة في مسرحية عطيل فظنها تعني الحج، بل إنه حاول التقعُّر؛ فبدلًا من كتابتها بالصورة المعتادة ترجمها إلى «المحجة»، والمحجة لا تعني في العربية إلا الطريق المستقيم، وهو خطأ لم يقع فيه سواه من مترجمي شيكسبير.

(٣–١٩) ونعود إلى كلمة practice ومعانيها بعد أن عرضنا للمعنى الأساسي وهو الفعل أو العمل أو الأداء، وكان المعنى الذي انتهينا منه يتضمَّن استخدام أداة مع practice هي حرف in وحرف into، ثم عرضنا لكلمة دون حروف، فقلنا إنها قد تكون زائدة redundant (superfluous)، ومن ثَم فهي تُحذف في الترجمة، مثلما نحذف كلمة process التي تُترجم عادةً بكلمة «عملية»، ولكن لها معنًى يحول دون حذفها وهو الدُّربة؛ أي تكرار الأداء الذي ينتج عنه إحكام العمل.

(19) He plays the piano very well indeed, having spent no less than three hours in practice everyday for the last two years.

(١٩) إنه يعزف البيانو بمهارةٍ فائقة بعد أن دأب على المِران لفترةٍ لا تقل عن ثلاث ساعات يوميًّا على مدى العامَين الأخيرَين.

(20) Practice makes perfect.

(٢٠) التدريب يؤدِّي إلى إحكام الصنعة.

وهاك معنًى آخر هو العادة أو الاعتياد:

(21) It has been his practice to work in the library from 9 to 5 during the academic year.

(٢١) اعتاد العمل في المكتبة من التاسعة صباحًا إلى الخامسة عصرًا أثناء العام الدراسي.

وهذا المعنى هو الذي يأتي بالمصطلح الشائع normal practice؛ أي المعتاد أو المعمول به أو ما جرى العرف عليه.

(22) It has been normal practice in our university not to consider applications from foreigners for appointment in key posts.

(٢٢) جرى العُرف في جامعتنا على رفض (عدم النظر في/استبعاد) طلبات الأجانب للتعيين في المناصب الرئيسية.

(23) It is normal practice in the legal profession to receive part of the fees in advance.

(٢٣) المعتاد أن يتقاضى المحامي جزءًا من أتعابه مقدَّمًا.

(٢٣-أ) المعمول به في مهنة المحاماة تقاضي جانب من الأتعاب مُقدَّمًا.

(٢٣-ب) جرى العرف في مهنة المحاماة على تقاضي جانب من الأتعاب مقدَّمًا.

وعلينا إذن أن نتحاشى تعبير «الممارسة» هنا، رغم ولوع مترجمي الأمم المتحدة بها، فلا هي «ممارسة طبيعية» ولا هي «ممارسة سوية» ولا حتى ممارسة عادية! ولا داعي لشرح تحويل «المهنة القانونية» إلى مهنة المحاماة؛ فالسياق لا يشير إلى أعضاء النيابة العامة ولا إلى القُضاة!

ومعنى الممارسة موجودٌ في الاستعمالات الأخرى، ولا أظننا في حاجةٍ إلى إثباتها، مثل:

(24) He's highly qualified and has been practicing medicine for the last forty years.

(٢٤) إن لديه مؤهِّلات عاليةً وهو يمارس مهنة الطب منذ أربعين عامًا.

والمعاجم العادية تزخر بالأمثلة على هذا المعنى القريب والشائع.

والمعروف أن الطبيب غير المتخصِّص في فرعٍ بعينه يسمَّى «ممارسًا عامًّا»؛ أي general practitioner، وقد شاع التعبير العربي ولم يَعد مَثار خلاف.

(25) He said he hated medical research and preferred general practice.

(٢٥) قال إنه يكره البحوث الطبية ويُفضِّل العمل ممارسًا عامًّا.

الباب العشرون:
promote

(٢٠–١) المعنى الحرفي للكلمة هو (أصلًا) «يدفع قُدُمًا» أو يُرقِّي؛ فهي فعل متعدٍّ له استخداماته الأصلية في الوظائف والجيش والمدرسة، كقولك:

(1) He was promoted sergeant.

(١) رُقِّي إلى رُتبة الرقيب.

ويمكن بالإنجليزية أن نقول promoted to أو promoted to the rank، ولكننا بالعربية لا نستطيع اختزال العبارة.

(2) He is the new head of department a considerable promotion from junior lecturer!

(٢) لقد أصبح الرئيس الجديد للقسم، وهي ترقيةٌ كبيرة من وظيفة محاضر صغير!

(3) Ought promotions to go by seniority or by merit and abilities.

(٣) هل ينبغي أن تستند الترقية إلى الأقدمية أم إلى الجدارة والمقدرة؟

ومن هذا المعنى يأتي معنى المساعدة في تنظيم وإنشاء شيءٍ ما، أو المساعدة في تقدُّمه، أو المساعدة في الإرساء والتنظيم، وهذه هي الأمثلة:

(4) He has been trying to promote a new business company.

(٤) ما زال يحاول إنشاء شركة تجارية جديدة.

(5) A women's group is promoting a new bill in parliament on equal pay for equal work.

(٥) تعمل إحدى المنظَّمات النسائية على إقناع البرلمان بالموافقة على مشروع قانون يقضي بالمساواة في الأجر بين من يقومون بنفس العمل.

وما دمنا قد ذكرنا كلمة group وترجمناها بكلمة منظَّمة، فلا بأس من أن نذكر عرضًا قصة group التي تُترجم اصطلاحيًّا بجماعةٍ أو مجموعة.

(٢–٢٠) الجماعة في العربية لا تفيد أكثر من الجمع، وهذا هو المعنى الإنجليزي للكلمة، وهذا هو المعنى الإنجليزي للكلمة، ولكننا في العلوم الاجتماعية نخصِّص لها معنًى محدَّدًا يفيد الاشتراك في بعض المظاهر أو العوامل، وقد يكون العامل عامًّا مثل السن age group (الشريحة العُمرية)، أو خاصًّا مثل الدخل المنخفض low–income group (فئة ذوي الدخول المنخفضة)، ممَّا يغيِّر كما هو واضح من ترجمتها، وقد تُحذف من الترجمة إذا كانت زائدة.

(6) These criteria do not apply to old–age groups.

(٦) لا تنطبق هذه المعايير على «فئات» المُسنين.

فغالبًا ما يستخدمها كاتب النص الإنجليزي ليوحي بأنه يتبع المنهج العلمي في تقسيم السُّكَّان إلى شرائحَ أو فئات (أو مجموعات)، ولكن المعنى الواضح لا يقتضي ذلك ولا يوحي به؛ فكلمة group كلمة ذات مظلة دلالية؛ أي (umbrella term) على نحو ما سبق تعريفه في المقدِّمة؛ ولذلك فنحن نترجمها هنا إلى «منظمة» دون حرج، وقد تكون جمعية، والجمعية منظمة، وقد سبق أن بيَّنا أن بعض الهيئات قد تكون منظَّمات، وقد تكون إدارات حكومية، ولكنها في كل حال جماعات يُشترط فيها وجود هيكل تنظيمي ثابت ولوائح مُتعمَّدة، وقد لا يتوافر ذلك في الجماعات أو المجموعات النسائية؛ فقد تكون منظمةً فَضفاضة البُنيان، وترجمتها بمنظمةٍ لا غبار عليها.

(٣–٢٠) أمَّا المعنى الذي يسبِّب مشكلةً حقيقية في الترجمة فهو استعمال الفعل to promote في سياق المجرَّدات، على نحو ما نرى في المثال التالي:

(7) Her first duty as chairperson, she believed, was to promote good feelings between the two parties who had long fought a futile ideological battle.

(٧) كانت تعتقد أن أول واجباتها الرئاسية هو العمل على إحلال المشاعر الطيبة بين الطرفَين اللذَين طال انخراطهما في معركةٍ أيديولوجية لا طائل من ورائها.

المعنى إذن هو «العمل على إرساء» الشيء أو إحلاله بمعنى إيجاده؛ فهو لم يكن موجودًا حتى نتصوَّر ترقيته أو تنميته، بل إن النص يوحي بأن الرئيسة سوف تعمل على إحلال المشاعر الطيبة محل المشاعر غير الطيبة (العداء؟ الخصومة؟) وهنا نرى أن الكلمة

تخرج عن المعنى الأول، مهما اعتبرناه أصيلًا فيها، لِتوحي بمعنًى آخر يتصل بفكرة الإنشاء؛ أي الإيجاد (والله أنشأنا أي خلقنا)، وهو المعنى الذي نراه في الأمثلة التالية:

(8) Work had almost ground to a halt and the director wondered if the promotion of cooperation at the shop floor level could help resume production.

(٨) كاد العمل أن يتوقَّف، وتساءل المدير في نفسه عمَّا إذا كان بَث روح التعاون بين العُمَّال، يمكن أن يؤدِّي إلى استئناف الإنتاج.

(9) Life is cheap in that country, the new commissioner for Human Rights said, and no one seems conscious of the inherent value of every human being as an independent soul. "Our only hope", she said, "is to promote human rights at state and popular levels".

(٩) قالت المفوَّضة الجديدة لحقوق الإنسان إن حياة الإنسان رخيصة في ذلك البلد، وإن الناس فيما يبدو غافلون عن القيمة المتأصِّلة في كل إنسانٍ باعتباره كِيانًا مستقلًّا، وأضافت قائلة: «إن أملنا الوحيد هو العمل على التوعية بحقوق الإنسان على المستوى الحكومي والمستوى الشعبي معًا.»

«العمل على التوعية» صياغة تعتمد على التفسير المستقى من النص، فإذا أخرجنا التعبير من النص كان يمكن أن يوحي بمعنًى آخر هو «العمل على إحقاق حقوق الإنسان»، أو «إرساء حقوق الإنسان» أو إقامتها (على نحو إقامة العدل. يقول حافظ إبراهيم: أمنت لَمَّا أقمت العدل بينهمُ/فنمت نوم قرير العين هانيها). ولا معنى إذن لترجمتها بكلمة «تعزيز» التي يُصِر عليها مترجمو الأمم المتحدة في جميع سياقات كلمة promotion!

(٢٠–٤) ومن المعاني الشائعة لكلمة promote هي يُشجِّع أو يُروِّج، أمَّا معنى يُشجِّع والألفاظ المشتقَّة منه فهو المعنى القائم في «العمل على ...» في الفقرة السابقة، فمعنى التعبير:

(10) He wants to promote mutual trust and understanding.

هو:

(١٠) يريد العمل على غرس الثقة المتبادلة والتفاهم.

ولا داعي لتكرار عدم ملاءمة كلمة تعزيز أو تشجيع، ولكننا لا بد أن نُفسِّر سبب الولع بكلمة «تعزيز»؛ فهو لا يقتصر على ما ذكرناه من كسل المترجم واستناده إلى

كلمةٍ واحدة بدلًا من البحث عن كلماتٍ مناسبة لكل سياق، بل يتعدَّى ذلك إلى طبيعة الكتابة بالإنجليزية نفسها؛ فمعظم من يستخدمون هذه الكلمة وأشباهها يلجئون إلى ما يُسمَّى باللباقة tact في التعبير؛ فهم لا يفترضون أبدًا عدم وجود الشيء غير الموجود، بل يُفضِّلون الإيحاء بأنه موجودٌ ويتطلَّب الدعم والزيادة؛ فمَن ذا الذي يفترض أن حكومته غير ديمقراطية؟

(11) The people are calling for the promotion of democracy so as to allow all citizens to actively take part in the running of the country.

(١١) يطالب الشعب بتعزيز الديمقراطية حتى يتسنَّى لجميع المواطنين أن يشاركوا مشاركةً فعَّالة في إدارة شئون البلاد.

فإذا استبدلنا «إرساء» أو «العمل» أو «العمل على انتهاج» الديمقراطية بكلمة تعزيز، كُنَّا نعني أنها غير موجودة؛ فالتعزيز يعني التدعيم والزيادة! وينطبق هذا على المثال السابق إذا كان الحال يتطلَّب افتراض وجود قدرٍ ما من الثقة والتفاهم.

(12) As members of the same family, the Prime Minister said, his cabinet colleagues should work more with one another; above all the spirit of mutual trust and understanding should be promoted.

(١٢) قال رئيس الوزراء إن زملاءه في مجلس الوزراء يجب أن يعتبروا أنهم أُسرة واحدة، فيزيدوا تضافرهم في العمل، وعليهم قبل كل شيءٍ أن يعزِّزوا روح الثقة المتبادلة والتفاهم.

أي إن نزوع اللغة الإنجليزية إلى استخدام صيغة المقارنة the comparative أو ما نسمِّيه بأفعل التفضيل بالعربية هو الذي جعل المترجمين يتصوَّرون أن كلمة promote تشير دائمًا إلى شيءٍ موجود، وإلى أن زيادته فقط هي المقصودة، ولكن التعبير الإنجليزي المستنِد إلى تلك الصيغة لا يُفيد ذلك في الحقيقة، على نحو ما بيَّنت في فن الترجمة المُشار إليه آنفًا؛ فتعبير greater cooperation مُضلِّل؛ لأنه لا يعني في الواقع ما تعنيه الألفاظ، وbetter coordination لا يعني زيادة التنسيق؛ فقد لا يكون التنسيق قائمًا أصلًا.

(13) The Present slump in economic activity, the minister said, was a temporary setback, and “all we need is greater co–ordination among the departments concerned with the promotion of exports to get us out of the current depression”.

(١٣) قال الوزير إن الانهيار الحالي للنشاط الاقتصادي يُعتبر نكسةً عارضة، وإننا لا نحتاج إلا إلى زيادة التنسيق بين الجهات المعنية بتنمية الصادرات حتى نتغلَّب على الركود الراهن.

أي إن الوزير يفترض وجود التنسيق ويطالب بزيادته، مع أن السياق يوحي بعدم وجوده، ونلاحظ هنا ترجمة promote بكلمة تنمية، وهو المعنى الكامن في كلمة إنعاش revival وانتعاش recovery، وهما من المصطلحات الاقتصادية، وقد يُفضِّل المترجم ترجمتها بكلمة «زيادة» أو بأيٍّ من الكلمتَين السابقتَين، بدلًا من كلمة ترويج التي تُستخدم عادةً للسلع أي في إطار المبيعات، والصادرات مبيعات، وقد يُفضِّل السلامة فيقول «تعزيز الصادرات» وحسب.

(٥–٢٠) الترويج كلمةٌ فُصحى تعني العجلة أو التعجيل أو الإسراع أصلًا (ابن فارس)، ولَمَّا كانت مادة «روج» قصيرة في لسان العرب، فلا بأس من إيرادها كاملة

روج–راج الأمر روجًا ورواجًا: أسرع، وروَّج الشيء وروَّج به عجَّل، وراج الشيء يروج رواجًا: نفق. وروَّجتُ السلعة والدراهم، وفلان مُروِّج وأمر مُروِّج: مختلط. وروَّج الغبار على رأس البعير: دام. ابن الأعرابي: الروجة العجلة، وروَّجت لهم الدراهم.

والمعنى الحديث إذن قائمٌ في الكلمة، ومعنى «نفق» بِيع بسرعة، والسوق النافقة كما نعلم هي الرائجة، والسوق تعني السلع هنا، ومعنى نفوقها أو فنائها هو شراء الناس لها أي رواجها، ويقول اللسان: «نفقت السلعة تنفُق نَفاقًا بالفتح، غلت ورغب فيها، وأنفقها هو ونفَّقها.» أمَّا معنى الدوام المقترن بالغبار على رأس البعير فهو من الأضداد، كما يقول ابن الأنباري، ولا يهمُّنا هنا. والطريف أن كلمة الإنفاق الإنجليزية الحديثة spend/expend/expenditure تتفق في معنى الاستهلاك (Spend: to use up, exhaust/consume)، وإن اختلفت اشتقاقًا مع الكلمة العربية؛ فالإنفاق يعني إهلاك المال (الجاحظ)، والنفقات دراهمُ هالكة، وهكذا فإن الترويج يعني العمل على سرعة بَيع السلع، ومعناها يتفق كل الاتفاق مع promotion.

(14) The company is trying to promote a new product, and has allocated five million pounds for the publicity campaign.

(١٤) تحاول الشركة ترويج أحد منتجاتها الجديدة، وقد خصَّصت مبلغ خمسة ملايين جنيه لحملة الدعاية.

(15) This is a promotional offer for a limited period: prices will naturally go up when the new product has secured a place on the corner-shop shelf.

(١٥) السلعة معروضة للبيع بسعرٍ مُخفَّض يرمي إلى ترويجها، ولن يستمرَّ إلا لفترةٍ محدودة، وسوف ترتفع الأسعار بطبيعة الحال عندما تضمن الشركة انتشار السلعة ووجودها في السوق، حتى في أصغر الحوانيت.

وتتضمَّن الترجمة — كما هو واضح — بعض الشروح، والهدف من المثالَين السابقَين إثبات أسلوبَين من أساليب الترويج؛ الأول هو الدعاية والإعلان، والثاني هو تخفيض السعر. فإذا نقلنا معنى promotion إلى نطاق المجرَّدات وجدنا أن الأسلوب الأول فقط هو الذي نستطيع افتراضه؛ أي إننا إذا افترضنا أن ترويج فكرة معيَّنة يعني محاولة «بيعها» للناس؛ أي إقناعهم بقَبولها، فلن يكون أمامنا سوى الدعاية والإعلان؛ ولذلك حوَّلنا «الترويج لحقوق الإنسان» في المثال (٩) إلى «التوعية» بحقوق الإنسان، وقلنا إنه يتضمَّن بعض التفسير، ونختتم هذا الباب بدعوة القارئ إلى تصوُّر معنى التعزيز هنا، وله أن يحكم على مدى مُلاءمته.

الباب الحادي والعشرون:
reliability/reliable

هذه من الكلمات الصعبة بسبب اختلاط معناها مع بعض المُرادفات التي لا يستطيع غير المتخصِّص التفريق بينها، مثل كلمة dependable وكلمة trustworthy وكلمة trusty، وكلها تعني في الظاهر معنى الوثوق بشخصٍ أو الاعتماد عليه، وإن كانت الكلمة الأولى تختلف على نحو ما سوف نُبيِّن هنا.

(١–٢١) معنى reliable العام هو «الذي يمكن الاعتماد عليه أو الوثوق به»، ولكن هذا المعنى يتلوَّن بتلوُّن السياق؛ فقولك إن المعلومات التي لدي «يمكن الاعتماد عليها أو الوثوق بها» يعني أنها معلوماتٌ صحيحة؛ أي إن التعبير المطوَّل في هذا المثال أسلوبٌ إنجليزي يتَّسم باللف والدوران periphrastic، وله بطبيعة الحال فوائده التي تلائم التفكير الإنجليزي الذي يميل إلى تحديد الدرجات بدلًا من القطع والبت بألفاظٍ لا تحتمل التدرُّج، فإذا قال قائلٌ إن المعلومات صحيحة امتنع عليه أن يشير إلى درجةٍ من درجات الصحة، فهي إمَّا صحيحة أو خاطئة، ولا توجد هنا منزلة بين المنزلتَين، كما يقول المعتزلة، ولكن إذا قال إنه يمكن الوثوق بها فهو يستطيع تحديد درجة من درجات الوثوق، وقد تكون مطلقةً وقد تكون نسبية، وسوف يتضح ذلك من الأمثلة التالية:

(1) His information should have been more reliable than that: some of his sources are not beyond reproach, one being the byword of the Department of Finance.

(١) كان ينبغي عليه أن يتحقَّق من معلوماته حتى لا تخرج بالصورة التي قدَّمها؛ فبعض المصادر التي استند إليها لا ترقى على الريبة، وأحدها شخصٌ ذاعت (سوء) سمعته في وزارة المالية.

(2) More reliable information cannot be hoped for: every fact has been checked and re–checked.

(٢) هذه أدق معلوماتٍ (يمكن أن) يأمل إنسانٌ في الحصول عليها؛ فلقد استوثق منها جميعًا ونقَّحها.

(3) As far as the housing statistics are concerned, the report is absolutely reliable.

(٣) يتضمَّن التقرير بياناتٍ إحصائيةً عن الإسكان يمكن الوثوق بها بصورةٍ مطلقة/مطلقة الصحة.

(4) Considering the difficulty of obtaining any accurate knowledge of members of underground mevements, the statement contains relatively reliable information.

(٤) نظرًا لصعوبة الإحاطة بدقةٍ بأفراد الحركات السرية، فإن المعلومات الواردة في البيان تتميَّز بدرجةٍ نسبية من الدقة.

والملاحظ أن كلمة الصحة لم تُستخدم في الترجمة إلا في حالة الصحة المطلقة (المثال (٣))، وفيما عدا ذلك استُعيض عنها بألفاظٍ أخرى تحتمل النسبية ودرجات الدقة المختلفة.

(٢–٢١) أمَّا حين نُطلق الصفة على المجسَّدات فنحن نُشير إلى خصائص يمكن تحديدها بدقةٍ أكبر، فإذا وصفت السيارة مثلًا بأنها reliable، كنت تعني أنها لن تتعطَّل ولن تخذلك أثناء الرحلة؛ أي أنها في حالةٍ جيدة. لا مجال لدقة إذن؛ إذ يعني الوثوق بالسيارة قدرتها على العمل دون توقُّف، وقِس على ذلك ما يلي من الأمثلة:

(5) He bought himself a set of reliable tools for the job: using the old ones in plumbing can be hazardous, he thought, and can even block his chances of success.

(٥) اشترى طقمًا جديدًا من الأدوات المتينة خصوصًا لهذه المهمَّة؛ إذ قال في نفسه إن استعمال الأدوات القديمة في السباكة محفوفٌ بالمخاطر، وربما عاق فرصته في النجاح.

(6) Believe me, you'll need a reliable stop–watch for the race: a fraction of a second may not be so infinitesimal!

(٦) ثِق فيما أقول! لا بد لك من ساعة قياس دقيقة لاستعمالها في هذا السباق؛ فأجزاء الثواني ليست صغيرةً إلى الحد الذي تتصوَّره.

(7) I don’t think the scaffold is reliable enough; the tubular scaffolding is rusty and the clamps are a little loose.

(٧) لا أظن أن السقالة ثابتة بما يكفي لصعود العُمَّال عليها؛ فالقضبان المعدنية يعلوها الصدأ، والمشابك غير محكمة إلى حدٍّ ما.

(يقول الدكتور أحمد السعيد سليمان إن سقالة أصلها إيطالي scala. انظر تأصيل ما ورد في الجبرتي من الدخيل، دار المعارف).

(٢١-٣) فإذا أطلقنا الصفة على الأشخاص بدأت مشكلات جديدة، فإذا وصفتَ السكرتيرة بأنها reliable لم تقصد أنها موضع ثقة، بل إنها يمكن الاطمئنان إلى نهوضها بالعمل على خير وجه.

(8) His success may be attributrd to the fact that he has reliable assistants—not the highest qualified but capable and hardworking.

(٨) يمكننا أن نعزو نجاحه إلى مساعديه الأَكْفاء؛ فهم لا يحملون أعلى المؤهِّلات، ولكنهم يتمتَّعون بالقُدرة على أداء العمل والاجتهاد فيه.

وإذا أطلقنا الصفة على الشهود في المحكمة كُنَّا ننفي عنهم شهادة الزور، وننفي عنهم أيضًا ما يمكن أن يُثير الرِّيبة في شهادتهم؛ مثل ضعف العقل أو البصر وما إلى ذلك بسبيل، فإذا كانوا reliable فهم شهود يُؤخذ بشهادتهم، ويُركن إليها، ويُعتدُّ بها!

(9) The judge decided that the witnesses were all unreliable—some were close relatives of the claimant, and the others were especially chosen from among his associates.

(٩) قرَّر القاضي عدم الأخذ بشهادة أيٍّ من الشهود؛ إذ كان بعضهم من أقرب أقرباء الشاكي (المُدَّعي)، والبعض الآخر ممن اختارهم خصوصًا من بين أصدقائه وخُلطائه.

أمَّا لماذا تجنَّبنا كلمة الثقة ومشتقَّاتها هنا فسوف يتضح من الفصل التالي في هذا الباب.

(٢١-٤) كلمة reliable إذن ينصرف معناها إلى أداء الشيء أو الشخص، لا إلى صفاته المتأصِّلة فيه؛ فالمعلومات الموثوق بها معلوماتٌ صحيحة يمكن أن تؤدِّي الغرض منها ولا تُضلِّل مَن يستعملها، والأدوات المتينة قادرةٌ على أداء مهمَّتها، وينطبق ذلك على باقي الأمثلة السابقة، والكلمة تختلف إذن عن كلمة dependable التي تُفيد المعنى العام نفسه، ولكن تتضمَّن إلماعًا إلى أن من يوصف بها يتحلَّى بالشهامة والتعقُّل؛ فالصديق

الصدوق a dependable friend هو من يُغيث صديقه ويَهُب لنجدته عند الحاجة لا من يَصدُقه القول فقط، وفي أبي حيان التوحيدي (رسالة الصداقة والصديق) شواهدُ كثيرة على هذا المعنى، وإذا كان المترجم يُفضِّل «المُخلص» فلا بأس.

(10) He is a dependable friend: I cannot recall ever approaching him for a service without geting satisfaction.

(١٠) إنه صديقٌ صدوق؛ فلا أذكر مرةً طلبت منه شيئًا إلا أجاب مَطلبي.

(11) This teacher is a dependable friend: his sound advice and parental care have been an asset to the class.

(١١) هذا المعلِّم صديقٌ مخلص، وطالما كانت إرشاداته القويمة ورعايته الأبوية ذُخرًا للطلاب.

وإذا وُصف الشيء أيضًا بأنه dependable كان ذلك إلماحًا إلى خصائصَ ثابتةٍ فيه ولا تتوقَّف على الأداء فقط؛ ولهذا تشترك مع الكلمة في reliable في المعنى العام، وتختلف عنها في هذا الجانب من الدلالة. ولننظر إلى وصف الكِتاب مرةً بهذه الصفة ومرةً بالأخرى.

(12) This is a reliable book, not only in terms of the verification of data but also because it is up–to–date.

(١٢) هذا كتابٌ يُعتمد عليه، ليس فقط من حيث التحقُّق من صحة البيانات الواردة فيه، بل أيضًا لأنها حديثة.

(13) This is a dependable book: it is comprehensive, commonsensical, and totally free of prejudice.

(١٣) هذا كتابٌ يُعتمد عليه؛ فهو شاملٌ ومنطقي، وبريء تمامًا من أي تحيُّزٍ أو تعصُّب.

أمَّا المثال (١٢) فيُشير إلى أن قيمة الكِتاب ترجع إلى إمكان الاعتماد على دقة معلوماته؛ أي على قدرته على النهوض بوظيفةٍ قد لا يُؤدِّيها سواه، وأمَّا المثال (١٣) فيشير إلى أن قيمة الكتاب ترجع إلى شموله واتزانه بحيث يستطيع القارئ أن يرجع إليه للاسترشاد بما ورد فيه من آراءٍ محايدة! المعنيان يتشابكان ويشتركان في معظم العناصر، ولكن ثمة خلافًا طفيفًا يجعل المعنى الثاني أقرب إلى صداقة الصديق من الكتاب الأول! وقد فضَّلنا الاحتفاظ بتعبير «يُعتمد عليه» في الحالَين حتى لا نؤثِّر على تفسير كلٍّ منهما، ولكن للمترجم حرية تغيير التعبير في المثال (١٢) إلى «يتسم بالدقة»، وتغيير التعبير في المثال (١٣) إلى «هذا مرجعٌ مفيد» أو مؤنس ومرشد!

(٢١–٥) وتختلف الكلمتان عن كلمة trustworthy، ونترجمها عادةً بتعبير «جدير بالثقة»، في أن المسألة هنا لا تتصل بالوظيفة أو الأداء! بل بطبيعة الشخص أو الشيء الموصوف بذلك؛ فنحن نقول مثلًا إن معلوماته دقيقة لأنها مُستقاة من مصدرٍ موثوق به.

(14) His information should be reliable as it is drawn from trustworthy sources.

أو إنه شخصٌ جدير بالثقة ولك أن تُطلعه على أسرارك مهما تكن.

(15) He's trustworthy: you may confide in him as much as you like.

أي أن تأتمنه على أي سرٍّ دون خوفٍ من إفشائه، بسبب أمانته أو حصافته، وهذا المعنى يؤدِّي إلى كلمةٍ أشمل هي trusty.

(٢١–٦) ومعنى trusty أنه موثوقٌ به؛ وذلك لأن المتكلِّم قد خبره فترةً طويلة وتأكَّد له أنه أهلٌ للثقة trustworthy، ولن يخذل صاحبه dependable، وقد يُطلقها المتكلِّم على شخصٍ خبره سنوات طويلة، أو على حصان «أصيل»، أو حتى على أداةٍ من أدواته قادرة على أداء مُهمَّة من المهمَّات reliable. ولنضرب هذا المثال أخيرًا:

(16) The thieves had a considerable headstart, but he mounted his trusty bike and confidently went after them.

(١٦) كان اللصوص قد انطلقوا (بسيارتهم) قبله وسبقوه بمسافةٍ كبيرة، ولكنه ركب دراجته النارية التي يعتبرها موضع ثقته وانطلق يطاردهم موقنًا من اللحاق بهم.

والواقع أن هذا الاستعمال يقتصر الآن على اللغة الأمريكية، ويُعتبر من المعاني المهملة أو القديمة في بريطانيا، فكثيرًا ما نقابله في النصوص الأدبية في سياق وصف السيف أو الخادم، ومع ذلك فقد أُضيف إليه معنًى جديد يعتبره الأمريكيون عامِّيًّا، ومع ذلك فنحن نسمعه في بريطانيا أيضًا (في التسعينيات)، وهو إطلاق لفظ trusty (باعتبارها اسمًا) على السجين الذي أُفرج عنه قبل انقضاء مدة العقوبة لتوافر الثقة في عدم عودته إلى حياة الجريمة.

(٢١–٧) ولعل القارئ يتساءل عن حاجتنا إلى رصد كل هذه الفروق، ما دمنا نستطيع استخدام تعبير يعتمد عليه أو يوثق به في كل حالة! والإجابة هي أن الفروق الدلالية لها فائدتها عند تحوُّل الكلمة من صفةٍ إلى الاسم؛ فمعظم الصفات المجرَّدة التي تتحوَّل إلى أسماءٍ (reliability, dependability trustworthiness وما إليها) لا مقابل لها من وزنها بالعربية، والمترجم يأنف من ترجمة كلٍّ منها بجملة، خصوصًا إذا وردت

مع صفاتٍ مجرَّدة أخرى تتطلَّب الترجمة إلى جُملٍ كاملة هي الأخرى، على نحو ما نرى فيما يلي:

(17) His susceptibility (1) to flattery redoubles his accessibility (2) to the opportunists – all upstarts and unscrupulous – but reduces his political reliability (3).

وقد وردت هذه العبارة في صحيفةٍ حديثة (١٩٩٩م) في سياق الحديث عن زعيمٍ آسيوي جديد، فإذا ترجم المترجم الأسماء المجرَّدة الثلاثة بجُملٍ أو عباراتٍ كاملة طالت الجملة فأمعنت في الطول: (١) إمكان التأثير في الشخص بالمديح والملق، (٢) إمكان استغلال الانتهازيين له، (٣) إمكان الاعتماد عليه باعتباره زعيمًا سياسيًّا! والمشكلة ليست الطول إطلاقًا، بل هي الركاكة المحتومة؛ ولذلك فنحن نتلافى ذلك بتحويل العبارات إلى صيغٍ أخرى.

(١٧) إنه يستجيب لملق المتملِّقين؛ ممَّا يُضاعف من فُرَص الانتهازيين، وكلهم من مُحدَثي النعمة الذين لا خَلاق لهم، في استغلال سُلطته (لصالحهم)، ويقلِّل من صلابته السياسية.

أي إننا ضغطنا الجملة (٣) فأصبحت كلمتَين بدلًا من ست كلمات، وإن كُنَّا قد أضفنا كلمات في أماكن أخرى لإيضاح المعنى، ومعنى الصلابة هنا هو المعنى المقصود. ولنضرب مثالًا آخر يوضِّح معنى تحويل الصياغة:

(18) His claim to reliability (1) was seriously damaged by his last public address; indeed, the viability (2) of the entire reform programme being undertaken by the government is now called in question, and the viability (3) of the government itself is now in the balance.

وربما كان علينا أن نتعرَّض عند ترجمة هذه العبارة لمبدأ التحويل في الصياغة (أي the change in wording)، وإن كُنَّا ناقشناه في كُتبٍ أخرى؛ وذلك لأن معظم الكلمات الصعبة هنا ترجع صعوبتها إلى الأوزان الصرفية الإنجليزية التي لا مقابل لها في العربية؛ فالكلمات التي تُصبح أسماءً بإضافة ability — من الصفة المكوَّنة من جِذع الكلمة واللاحقة able — لا تفيد القدرة أو القابلية ولا الإمكان في كل حالة؛ فكلمة susceptibility في المثال رقم (١٧) تعني «الحساسية» (sensitivity)، أو إمكان التأثُّر بشيء، وكلمة accountability التي نُترجمها عادةً «بالمساءلة» تعني «المحاسبة على الأفعال»، والتحديد

هنا مهم؛ لأن علم المحاسبة في الدراسات التجارية أو مهنة المحاسبة هي accountancy، وكلمة «المساءلة» مشتقةٌ من التعبير الإنجليزي الطويل to call/bring somebody to account، ومعناها مطالبة شخصٍ ما بأن يُبرِّر أو يُوضِّح أسباب أفعاله، وهي تشترك مع كلمةٍ أخرى هي bring to book، والاسم هنا لا يعني الكتاب، بل دفتر الحساب، والمعنى كما ترى يتضمَّن محاكمةً من نوعٍ ما؛ فيوم الحساب هو the day of judgement؛ أي إن المحاسبة قد تكون أقرب إلى المعنى من المُساءلة التي اقترنت بالكلمة الإنجليزية، ونحن نتجنَّبها خوفًا من الخلط مع علم المحاسبة أو مِهنة المحاسبة، مثلما نتجنَّب كلمة الحساب.

فإذا تناولنا كلمةً مثل viability وجدنا أن المعنى الدقيق لها هو القُدرة على البقاء (في قيد الحياة)، ولكنها في السياقات الاقتصادية تعني النجاح والاستمرار فحسب؛ فقولك إن هذا المشروع viable يعني أنه قادرٌ على النجاح أو ناجح، وهكذا فنحن نُترجم الكلمة بطريقتَين في المثال رقم (١٨)، كما أننا نتجنَّب مواجهة مشكلة ترجمة الصيغة الصرفية الإنجليزية بتحويلها إلى فعلٍ وفاعل ومفعول أو مبتدأ وخبر؛ أي إلى جملةٍ مفيدة بالعربية مثلما فعلنا في المثال (١٧)، ولنحاول ذلك ونُطبِّقه على جميع أجزاء الجملة.

(1) His cliam to reliability = he claims to be reliable.

(2) Was seriously damaged = this was adversely affected/very much in doubt/seriously questioned.

(3) by his last public address = owing to his last public address/because of/due to.

(4) the viability of the project = success/continuation.

(5) the viability of the government = whether the government will remain in power.

(6) in the balance = in doubt/is open to question/is called in question.

وإعادة الصياغة في ذهن المترجم تعفيه من الالتزام بأشكال العبارات والأسلوب؛ فلكل لغةٍ موازينها الصرفية، وما سبب العُجمة في بعض الترجمات الحديثة إلا إصرار المترجم على اشتقاق صِيغٍ صرفية جديدة (أو قديمة) لمعانٍ لا تعرفها العربية، وسنعرض لبعضها بعد هذه الجملة. وهذه هي بعض الترجمات المقترحة:

(١٨) إنه يزعم أنه يمكن الاعتماد عليه، ولكن خِطابه العام الأخير أَضَرَّ ضررًا بالِغًا بهذا الزعم، بل إن نجاح برنامج الإصلاح الذي تُنفِّذه الحكومة حاليًّا أصبح برُمته اليوم موضع شك، كما أن بقاء الحكومة نفسها في الحكم لم يعد مؤكَّدًا (ترجمة حرفية).

(١٨-أ) أدَّى الخطاب الجماهيري الأخير إلى إثارة شكوك جادة في ما يزعمه من صلابةٍ وكفاءة، بل وفي إمكان نجاح برنامج الإصلاح برُمته، وهو الذي تقوم الحكومة حاليًّا بتنفيذه، حتى إن بقاء الحكومة نفسها في الحكم لم يعد مؤكَّدًا (ترجمة بتصرُّف).

و«التصرُّف» المقصود يكاد ينحصر في تحويل «الضرر البالغ» إلى «شكوك خطيرة»، وضم العبارتَين الأوليين بعضهما إلى بعض، وإن كان تحويل «يعتمد عليه» إلى «صلابة وكفاءة» من قَبيل التفسير المقبول في ترجمة مثل هذه الكلمات. ولنقارن أي هاتَين الصيغتَين بالصيغة «الحرة» التالية:

(١٨-ب) أدَّى الخطاب الأخير الذي وجَّهه إلى الجمهور إلى الطعن فيما يزعمه من صلابة، كما أثار الشكوك في نجاح برنامج الإصلاح الاقتصادي كله، وهو الذي تنهض به الحكومة حاليًّا، بل إن بقاء الحكومة نفسها في الحكم أصبح فيه نظر.

ولننتقل الآن إلى كلمةٍ أخرى من نفس الميزان الصرفي المذكور.

(٨–٢١) وهذه هي كلمة predictability ومعناها القدرة على التنبُّؤ بأفعال شخصٍ ما (أو شيءٍ ما). والصفة predictable عادةً ما تعني أن الشخص المقصود سوي، له عادات منتظمة لا يخرج عنها؛ ولذلك فمن اليسير «توقُّع» ما سوف يفعله، من الفعل predict؛ أي يتنبَّأ أو يتوقَّع، وهو معنًى قريب المأخذ في ظاهره، وإن كان غريبًا على العربية. وقد ذكرنا من قبلُ أن «العُجمة» ترجع إلى محاولة اشتقاق كلمة عربية على قياس الكلمة الإنجليزية، مثلما يفعل حسن الكرمي في المغني الأكبر حين يورد الترجمات التالية لكلمة reliability :

معمودية = كون الشيء (أو) الشخص ممَّا (أو ممن) يُعتمد عليه = عمادية = عمدية (!).

والمترجم الذي يصدِّق الأستاذ الكرمي، وهو من هو، لن ينجو من الركاكة حتى ولو نجا من الغموض، ولقد رأينا كيف تتحوَّل معاني تلك الكلمة وتتبدَّل من سياقٍ إلى سياق، وكيف تتفق مع غيرها أو تختلف، وتخيَّل معي مترجمًا يترجم الجملة التالية وفق ما يوصي به الكرمي:

(19) The reliability of his information is not in doubt.

«(١٩) إن معمودية/عمادية/عمدية معلوماته ليست موضع شك (؟)».

بدلًا من:

(١٩) لا يمكن الطعن في صدق معلوماته

(١٩-أ) معلوماته موثوقٌ بها.

(١٩-ب) معلوماته دقيقة.

(١٩-ج) لا يجوز التشكيك في دِقة معلوماته.

والمعاجم الإنجليزية لا تُفيدنا في تفسير معنى predictability؛ فهي تُدرجها باعتبارها صورةً حرفية فحسب من الفعل predict؛ ولذلك فنحن نرجع إلى السياقات الحية في اللغتَين الإنجليزية والأمريكية لإدراك معاني الاسم المجرَّد، وخير دليل لنا هو الأمثلة.

(20) He is a creature of habit, no doubt, which may account for his failure to impress Fredda to whom predictability is anathema.

(٢٠) لا شك أنه يخضع للعادة في كل ما يفعل، وربما كان ذلك هو سبب عدم إعجاب فريدا به؛ فهي تكره أصحاب العادات المنتظمة كراهية التحريم!

(21) With a creative genius like him, predictability is precluded!

(٢١) من المُحال أن تحدس ما سوف يخرج علينا به، شأن العباقرة المبدعين!

(22) He's always been fond of exotic food and when he visited the States he, predictably, ordered a dish with a French name he could not even pronounce, only to discover that it was one of his native, regular dishes.

(٢٢) كان ولا يزال مُغرمًا بالأطعمة الغريبة، وهكذا فعندما كان في أمريكا طلب طبقًا يحمل اسمًا فرنسيًّا لا يستطيع حتى أن ينطقه، ثم اكتشف أنه أحد الأطباق العادية في بلاده.

المثالان الأولان يورِدان في الترجمة بعض معاني «التوقُّع»، ولكن المثال الثالث يستعيض عن الحال بكلمة «هكذا»، التي تعني في هذا السياق «وهو ما كان متوقَّعًا منه»، وفي هذا ما يدل على أن المترجم يستطيع أن يتحرَّر من المعنى الغريب عن اللغة العربية إذا رأى أنه يمكن أن يُنقَل بألفاظٍ أقرب إلى التفكير العربي، والدليل على صحة هذا «التصرُّف» أنك تستطيع بالإنجليزية أن تستعيض عن الكلمة الضخمة بكلمة so دون خسارةٍ في المعنى؛ لأن الجزء الأول من العبارة يُقدِّم المقدِّمة المنطقية التي تُعفيك من predictably؛ أي إن وجود الجملة الأولى التي تسبق and، هي التي تُتيح للمترجم هذا «التصرُّف»، ولو لم تكن موجودةً لاضطُر المترجم إلى إيراد المقابل العربي للكلمة الطويلة. فإذا بدأ القارئ الجملةَ بكلمة when لكان عليه أن يقول «وهو ما كان مُتوقَّعًا منه».

(23) He wondered where the chairman would be at that late hour, then, as though driven by sudden inspiration, he dashed to the club where the chairman was, predictably, sipping wine and chatting up a girl, the age of his daughter.

(٢٣) كان في حيرةٍ لا يعرف كيف يعثر على رئيس «مجلس الإدارة» في تلك الساعة المتأخِّرة، ثم انطلق — كأنما جاءه الإلهام فجأة — إلى النادي حيث وجد الرئيس حيث كان يتوقَّع، جالسًا يرشف النبيذ على مهل، ويغازل فتاةً في سن بناته.

(24) Unpredictability can be, though inconvenient to business–minded people, quite attractive to the other sex.

(٢٤) قد تكون غرابة أطوار الشخص من عوامل الجاذبية للجنس الآخر، وإن كان أصحاب التفكير العملي يجدونها مصدر إقلاق وكدر.

وهنا نجد أن unpredictability قد أوحت بمعنى eccentricity أي غرابة الأطوار، ونرجو أن يكون القارئ قد أدرك سِر عدم استعمال كلمة التنبُّؤ في أيٍّ من الأمثلة السابقة.

الباب الثاني والعشرون: typical

هذه الكلمة صفةٌ من اسمٍ شهير هو type، وتختلف ترجمته لا باختلاف السياق فقط، بل باختلاف المبحث العلمي والعصر الذي يُستخدم فيه أيضًا؛ فقد يُفضِّل بعضُ الباحثين إطلاق لفظ «النوع» وحَسْب عليه، ممَّا يجعله يشترك مع كلماتٍ أخرى تُفيد المعنى نفسه مثل kind أو sort أو genre وما إليها، ويُفضِّل آخرون ترجمة type بكلمة «نمط»، وهي لا تعني في العربية أصلًا إلا النوع، وإن كانت الكلمة العربية قد شاعت ترجمةً لكلمةٍ أخرى مُهمَّة هي pattern، التي قد تعني الشكل أو التصميم أو النسق. ويترجم آخرون كلمة type بالنموذج، ممَّا يجعلها تختلط في المعنى مع كلمة model أو حتى paragon، بل وبالكلمة التي نترجمها عادةً بمثالٍ وهي !example وهناك معنًى لا يهمُّنا هو «حرف الطباعة»، ومنه جاءت الآلة الكاتبة typewriter، والصف من الحروف line of type الذي تحوَّل إلى لينوتيب lino-type وما إلى ذلك من استعمالاتٍ للكلمة في الطباعة بأنواعها وهي كثيرة ويسيرة ولا تهمُّنا.

(١–٢٢) والمعنى الأول (وربما يكون الأصلي) هو النموذج أو المثال الذي يوجد على غراره الكثير ممَّا تتحقَّق فيه صفاته، بحيث يصلح أساسًا للتصنيف القائم على معاييرَ موحَّدةٍ standards، وهو ما نُطلق عليه مصطلح التصنيف القياسي؛ أي standardized classification، وأقول إن هذا قد يكون المعنى الأصلي بسبب أصوله الاشتقاقية من ناحية؛ ولأن المعاجم الإنجليزية على اختلافها تورده قبل غيره، وتُقيم على أساسه سائر المعاني من ناحيةٍ أخرى، وهو على أي حال المعنى المستخدم في المباحث العلمية التي تتطلَّب تحديد صفاتٍ نوعيةً specific qualities لكل تصنيفٍ أو تقسيمٍ يمنع تداخلها واختلاطها، ونلاحظ هنا أن ترجمة specific بكلمة «نوعي» ترجع إلى نسبتها إلى النوع

species، التي تشترك مع type في بعض عناصر المعنى اشتقاقًا؛ فكل منهما يفيد الشكل أو الصورة، وشيوع ترجمتها بالنوع يرجع إلى كتاب أصل الأنواع *The Origin of Species* الذي كتبه داروين، ولم يَعُد على ترجمة الكلمة خلاف، وإن كانت الألفاظ المشتقَّة من الاسم تُترجم بعدة صورٍ أخرى؛ فالفعل specify يُترجَم بكلمة «يحدِّد»، وكلمة specifications تُترجم بكلمة مواصفات ولا تُترجم بغيرها، وهكذا تتفق كلمة type مع species في معظم عناصر المعنى الاصطلاحي، ويبدأ الاختلاف عند استخدام كلٍّ منهما في حالة الفعل؛ فالفعل specify يعني يُحدِّد على أُسس صفات قائمة، وtypify يعني «يَسِم» أو «يتميَّز بسماتٍ معيَّنة» أو — وهذا جد مختلف — يرمز لأشياءَ تشترك في صفاتٍ مُعيَّنة؛ فمعنى الرمزية هنا غير وارد في الكلمة الأولى.

ولنبدأ ببعض الأمثلة التي توضح هذا المعنى:

(1) C. G. Jung has established many types of human character on the basis of distinctive qualities believed to be specific each, but the most viable distinction is the one made between introversion and extraversion.

(١) حدَّد «عالم النفس» كارل جوستاف يونغ أنماطًا كثيرة للشخصية الإنسانية استنادًا إلى بعض الخصائص التي يعتقد أنها تُميِّز كل نمط منها، ولكن أنجح تمييز هو التمييز الذي وضعه بين الشخصية الانطوائية والشخصية الانبساطية.

و«الانطواء» و«الانبساط» من المصطلحات المقبولة اليوم في علم النفس، ولا داعي للخوض فيهما، ولكننا يجب أن نُشير عَرضًا إلى ما ترجمناه بالخصائص، والأصل هو «الصفات المميزة»؛ فعلماء الكيمياء والفيزياء يستخدمون properties في الإشارة إلى خصائص الأشياء؛ أي إلى صفاتها المميزة لها. ولكن هذه الكلمة لا تُستخدم في الإشارة إلى البشر إلا بمعنى الممتلكات، ويُفرِّق أهل القانون بين العقار real property وبين المنقولات personal property (movable belongings)؛ ولذلك فنحن نُترجم «الخصائص» إلى الإنجليزية وفقًا للسياق، وخصائص ابن جني هو كتابٌ في اللغة، وعنوانه أقرب إلى العبارة الإنجليزية Linguistic Distinctions لا أي كلمة من الكلمات السابقة. وأمَّا ترجمة type بكلمة نمط فهي ترجمة اصطلاحية؛ لأن جميع أضراب الشخصية تنتمي لنوعٍ species واحد هو الجنس البشري homo sapiens أو mankind، وقد يُفضِّل بعض المحدثين ترجمة type في هذا السياق بكلمة نموذج، ولكنني أُحب أن أقصر استعمال هذه الكلمة

على model أو paragon بسبب إيحاءاتها الطيبة عندما نشتق منها الصفة نموذجي، وهو ممَّا لا توحي به type المحايدة.

(2) He killed and maimed his victim, obviously enjoying what he did, then burst into tears, as though unable to face his monstrosity — as typical of every psychopathic personality.

(٢) قَتل القتيل ومثَّل بجثته، وكان فيما يبدو يستمتع بذلك، ثم انخرط في البكاء، كأنما كان عاجزًا عن مواجهة فعلته الشائهة، وهو ما تتميَّز به شخصية المريض النفسي (المنحرف).

وليس المقصود بالصفة typical هنا أنه كان نموذجيًّا (ولا مريضًا نفسيًّا نموذجيًّا)، بل إن الصفة تفيد الخصيصة التي يتميَّز بها وحسب. ونقول عَرضًا إننا لا نترجم كلمة «القتيل» العربية بالتعبير المطوَّل the murdered person، بل يُفضِّل أهل الإنجليزية إطلاق صفة الضحية عليه، دون أي إيحاء بالمعنى الكامن في الكلمة العربية من التضحية، والكامن في المعنى الاشتقاقي للكلمة الإنجليزية (أضحية)؛ إذ أصبحت كلمة victim تعني كلَّ من يعاني من كارثةٍ أو خسارةٍ أو فقد، وكلَّ من يصاب حتى ولو لم يُقتل، بل كادت الكلمة أن تصبح بسبب مظلتها الدلالية الواسعة من الكلمات التي أشرنا إليها في صدر الكتاب، وبات على المترجم أن يتمهَّل قليلًا قبل استخدام كلمة الضحية ترجمةً لها؛ ولذلك أهميته الفائقة عند الترجمة من العربية.

(3) He sacrificed his happiness for that of his family, sparing no money or effort, nor expecting anything at all in return for his sacrifice.

(٣) لقد ضحَّى بسعادته في سبيل إسعاد الأسرة؛ فلم يدَّخر مالًا ولا جهدًا، ولم يكن ينتظر مقابلًا لهذه التضحية على الإطلاق.

أمَّا الترجمة العربية فأيسر قليلًا.

(4) They were the victims of a mass fraud: they believed the man who appeared pious and honest, losing all their savings in the process.

(٤) وقعوا ضحية (عملية) خداع جماعية؛ إذ كانوا يُصدِّقون الرجل الذي تبدو عليه (أمارات) الورع والأمانة، ففقدوا بذلك كل مُدَّخراتهم.

وقد وضعت كلمة «عملية» بين قوسين لأشير إلى أنها زائدة، وسوف يلاحظ القارئ أنني ترجمت in the process بكلمةٍ واحدة هي «بذلك» (انظر الفصل الخاص بكلمة practice)، كما تُرجمت fraud بكلمة خداع، وهي تقابل «النَّصْب والاحتيال» في

لغتنا المعاصرة، والمترجم له حرية الاختيار آخر الأمر، فإذا أضفت بعد كلمة honest العبارة التالية:

(4-A) Which is typical of the latter-day swindler, …

وجدت أنك تواجه خصيصةً يتميَّز بها المحتالون في زمننا هذا، وكان لك أن تترجمها على النحو التالي:

(٤-أ) وهي السمة المميِّزة للمحتالين في الأيام الأخيرة.

أي وجدت أنك تبتعد تمامًا عن فكرة النموذجية! وانظر المثال التالي:

(5) Having borrowed a small amount of money from each of his friends, under different pretexts, he typically disappeared for a few months then surfaced again to demand more money.

(٥) اقترض مقدارًا ضئيلًا من المال من كل صديقٍ من أصدقائه، متوسِّلًا بشتَّى الذرائع، ثم اختفى، كدأبه دائمًا، بضعة شهور ثم عاد للظهور للمطالَبة بالمزيد من المال.

والدأْب بتسكين الهمزة كما نعرف هو «العادة والشأن» أو ما نصفه بلغتنا المعاصرة بأنه ما درج عليه المرء إمَّا لطبعٍ فيه أو لتطبُّع، ونحن نقول هذا دأبه، أو ما زال هذا دأبَه، ويورد المعجم الوسيط الآية الكريمة: ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ (غافر: ٣١)، والشُّرَّاح لا يختلفون في هذا، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم يورد العادة والشأن، ومعنى الاستمرار الكامن في الكلمة يفيد أن عدم التوقُّف صفةٌ أصيلة ومميزة: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ (إبراهيم: ٣٣)؛ ولذلك فلنا أن نترجم عبارة:

(6) After the robbery he and his fellows typically went to the pub for a drink.

(٦) اتَّجه بعد السرقة، كدأبه والذين معه، إلى الحانة ليشرب الخمر.

وهكذا فسَّر المفسِّرون الآية الكريمة ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (آل عمران: ١١)، ولم يدرك معناها الحقيقي إلا رودويل، الذي ترجمها بما يفيد «العادة»:

(a) After the wont of the people of Pharaoh, and those who went before them, …

وإلا — بطبيعة الحال — العلامة محمد محمود غالي الذي ترجم المعنى بأنه الأسلوب الثابت الذي لا يحول الإنسان عنه.

(b) As was the steadfast manner of the household of Fir'awn, and the ones even before them, …

ومن أهم معاني manner (الطريقة) هو الأسلوب، وقد تُطبَّق على أسلوب الكتابة style أو أسلوب العمل mode of operation (التي تُختصر في اللغة الدارجة إلى .m.o في أمريكا)، وأحيانًا يقول الأمريكيون ليس هذا أسلوبي This is not my style بمعنى أن هذا ليس دأبي، فليس من طبعي ولا عادتي! أي:

It is not typical of me!

وأمَّا باقي مترجمي معاني القرآن فقد حذفوا كلمة دأب من النص تمامًا:

(c) Like them, pharaoh's people and those before them, …

داود.

(d) Like pharaoh's folk, and the people before them, …

آربري.

(e) Like pharaoh's folk and those who were before them, …

بيكتول.

(f) (Their plight will be) no better than that

Of the people of Pharaoh, and their predecessors:

يوسف علي.

ولن نُعلِّق على التأويل المبالغ فيه الذي يلجأ إليه يوسف علي؛ فهذا دأبه في كتابه المشهور، وليس هذا مجال التعليق على ترجمات معاني القرآن الكريم.

(٢–٢٢) واستخدام الكلمة بمعنى النموذج والرمز محدود، كقولك:

(7) Abraham Lincoln was a fine type of American patriotism/of the American patriot.

(٧) كان أبراهام لِنكُن مثالًا رائعًا على الوطنية الأمريكية/للوطني الأمريكي.

(8) He said that the girl was too skinny and walked with a swagger simply not his type, he said.

(٨) قال إن الفتاة أنحف ممَّا ينبغي وإنها تختال في مشيها — وإنها، باختصار، ليست المثال الذي يرنو إليه.

ونلاحظ هنا ترجمة simply بكلمة «باختصار» لأن السياق يوحي بذلك؛ فلقد توقَّف المتحدِّث عن تعديد الصفات التي لا تُعجبه في الفتاة حتى يوجز الحكم في كلمةٍ واحدة. ونحن عادةً نُترجم الكلمة بلفظ «وحسب» أو صيغة أخرى تحمل المعنى نفسه.

(9) He was appalled at the suggestion that he was chatting her up: he simply wanted someone to talk, he insisted.

(٩) أفزعه أن تتهمه بأنه كان يحاول مغازلتها، وأكَّد أنه لم يكن يريد إلا أن يحادث شخصًا ما.

ولنا أن نبدِّل التعبير الأخير بعبارة «كان يريد أن يتحدَّث إلى شخصٍ ما فحسب»، ولا بد أن أُحذِّر المترجم المبتدئ من ترجمة simply إلى «ببساطة»، على نحو ما حذَّرنا منه أستاذ الأساتذة شكري عياد عام ١٩٥٧م! وانظر مثالًا آخر:

(10) Che Guevara was once regarded as the type of the militant cross-border revolutionary.

(١٠) كان تشي جيفارا يُعتبر في يومٍ من الأيام مثالًا/رمزًا/نموذجًا للمناضل الثوري الذي لا يتوقَّف عند حدود بلاده.

وانظر ما نفعل بالكلمة المركبة cross-border والتي قد يترجمها البعض بتعبير «عابر الحدود»؛ أي إننا أحلناها إلى جملةٍ كاملة تتكوَّن من اسمٍ موصول وجملة صلة بعد أن كانت صفةً مركَّبة، ولنذكر عَرضًا هنا بعض المركَّبات المشابهة، سواء منها ما يُكتب بشرطةٍ قصيرة أو ما أصبح كلمةً واحدة؛ فنحن نقول إن الصواريخ العابرة للقارات هي: intercontinental missiles/rockets، ولكننا نترجم الصفة بتعبيرٍ آخر إذا وردت في سياقٍ آخر؛ فقد يكون معناها فيما بين القارات، كما يُشير إلى ذلك المتحدِّثون عن التجارة الدولية، الذين يُخصِّصون فروعًا لهذا المستوى.

(11) The economic boom in South and South East Asia has led to a new type of intercontinental trade with the one-way flow of goods being gradually replaced by a real two-way exchange.

(١١) أدَّى الانتعاش الاقتصادي في منطقة جنوب آسيا وجنوب شرقي آسيا إلى استحداث لون جديد من التجارة بين القارات؛ إذ إن التبادل الحقيقي للسلع الذي يسير في اتجاهَين يحل تدريجيًّا محل التدفُّق القديم للبضائع في اتجاهٍ واحد.

(12) Cross-border trade faces tariff and non-tariff barriers which the World Trade Organization is intent on pulling down.

(١٢) التجارة (فيما بين البلدان) (المتجاورة) الدولية تواجه حواجز جمركيةً وحواجز غير جمركية، ومنظمة التجارة العالمية عازمة على إزالة هذه الحواجز.

أمَّا الكلمة الموضوعة بين الأقواس فتُشير إلى المعاني التي قد تخطر على بال المترجم لأول وهلة، والعبارة الأولى صحيحة، أمَّا «المتجاورة» فخطأ؛ لأن عبور الحدود ليس مقصورًا على الطرق البرية، وإذا سأل سائل: «لِمَ يلجأ الكاتب بالإنجليزية إلى هذه الصيغ بدلًا من كلمة international؟» كان جوابنا هو أن الكاتب أحيانًا ما يكون قد شغل نفسه بالتجارة الداخلية domestic (المحلية)، ثم انتقل إلى هذا المعنى تمييزًا لنوعٍ من التجارة عن نوع، وأحيانًا ما يفعل ذلك من باب رشاقة التنويع elegant variation، والواقع أن تعبير cross-border له سياقاته المحدودة مثل:

(13) Any cross-border movements of refugees can result in human disasters, and are treated as a refugee situation by the UNHCR.

(١٣) إن أي خروج للاجئين من ديارهم وعبورهم حدود دولةٍ أخرى يمكن أن يؤدِّي إلى كوارثَ إنسانية، والمفوَّضية السامية لشئون اللاجئين بالأمم المتحدة تعتبره حالةً من حالات اللجوء.

وهنا يلجأ المترجم أيضًا إلى الشرح بعبارةٍ كاملة بدلًا من الصفة المركَّبة الإنجليزية.

(٢٢–٣) ومكمن صعوبة typical إذن في أنك لا تستطيع أن تشتق منها صفةً فتقول مثالي (من مثال)، وإلا اختلط المعنى بكلمة ideal، ولا نموذجي وإلا اختلط المعنى بكلمة model (التي تستخدم اسمًا وصفة)، ولا رمزي وإلا اختلط المعنى بكلمة symbolic أو بكلمة token التي قد تعني «رمزيًّا» بمعنى «أقل القليل الذي يرمز إلى الكثير ولا يغني عنه».

(14) They offered only token assistance: the emergency was too vast and complex to be handled only by a signal organization.

(١٤) لم تقدِّم المنظمة إلا مساعدةً رمزية؛ إذ إن حالة الطوارئ كانت من الضخامة والتعقيد بحيث لم يكن في طوق منظمة واحدة أن تتصدَّى لها.

أو «بحيث لم تستطِع أيُّ منظمة أن تتصدَّى لها وحدها»، وهذا مثالٌ آخر:

(15) It was a token gesture, for the minister's visit meant the government cared and certain measures could be taken to relieve the congestion in the hospital.

(١٥) كانت زيارة الوزير للمستشفى ذات دلالة رمزية فحسب؛ إذ كانت تعني أن الحكومة مهتمة بالموضوع، وأنها قد تتخذ التدابير اللازمة لتخفيف التكدُّس في المستشفى.

ولاحظ هنا حذف كلمة gesture التي توازي «حركة» بالعامية المصرية، ولا يوجد لها مقابل بالفصحى، وقد نقول «خطوة» إذا أردنا، أو ندمج المعنى في الاسم الرئيسي فنقول «قام الوزير بزيارةٍ رمزية»، ولكنني أُفضِّل الصورة الحالية للترجمة.

ومن العسير إذن أن نستخدم أيًّا من الصفات المذكورة في ترجمة typical.

(16) The typical approach of the government, if a plan is to be rejected, is to form a committee, entrust it with a fresh consideration of the plan, then refer the outcome to a task force to undertake a field research, and finally prepare a feasibility study to be submitted to parliament for a debate at an unspecified date.

(١٦) أسلوب الحكومة المعهود في رفض خطَّةٍ لا تريدها هو تشكيل لجنة للنظر في الخطة من جديد، وإحالة نتيجة «النظر» إلى فريق عمل للقيام ببحثٍ ميداني، والقيام أخيرًا بدراسة جدوى تُرفع إلى البرلمان لمناقشتها في موعدٍ غير محدَّد.

والأسلوب المعهود هو دأب الحكومة، ولاحظ أننا ترجمنا كلمة approach بأسلوب، وكان يمكن أن نترجمها بمنهجٍ أو بمدخل، ولكن السياق لا يسمح بأيهما، وتخيَّل معي من يترجمها بمقاربة! (مقاربة الحكومة؟) (انظر الملحق الثاني)، ونود الإشارة إلى حذف entrust it with؛ أي تكليفها بمهمَّة، وللمترجم أن يضيفها إذا أراد، وإلى ترجمة consideration بالنظر، والمترجمون دائمًا ما يترجمونها بكلمة بحث (research?)، وسوف نقف قليلًا عند task force وسبب ترجمتها بفريق عمل (working group) بدلًا من فريق مهمَّات! الواقع أن مترجم الأمم المتحدة أسير أعراف طال عليها الأمد، ولا يكاد يملك لنفسه فكاكًا منها، ومنها كما ذكرنا تخصيص كلمة عربية لكل كلمةٍ إنجليزية، وقد شرحنا أن ذلك أيسر على المحترف، ونضيف هنا أن الهدف ليس توصيل معنًى واضح إلى القارئ العربي، بل إحالة القارئ إلى الكلمة الإنجليزية المقابلة، انطلاقًا من أن معظم

من يقرءون وثائق الأمم المتحدة يعرفون اللغة الإنجليزية، ولا بد لهم أن يعرفوا «الأصل» الذي يُشير إليه النص العربي! ولقد تفنَّن المترجمون في هذا المسعى العجيب، دون أن يتفقوا جميعًا على كل شيء، بطبيعة الحال، فقال بعضهم دعونا نُخصِّص كلمة فريق لكلمة group وكل ما عداها يصبح فرقةً، ثم اصطدموا بالجمع، فالفِرَق جمع الكلمتَين، فجاء بعضهم بجمعٍ آخر وهو «أفرقة»، ثم تفاوتت المنظَّمات في تعريف معنى task force لأنها قطعًا ليست قوةً مُكلَّفةً بمهمة، ووجدوا تعبيرًا آخر يزاحمها هو trouble shooter(s) فزاد الخلط، ولم تَسلم كلمة العمل working فأصبحت اسم الفاعل في الفريق العامل working group، والمصدر المؤول في لغة العمل working language وهم يتصوَّرون أنهم اهتدَوا إلى الحل الأمثل حين جعلوا typical تقابِلُ «نموذجي» في جميع الحالات، فأصبح كل شيء نموذجيًّا من اللصوص وقُطَّاع الطرق إلى الأراضي البور والحلول السلمية! ونحن لا نهاجم هذا المنهج لأنه فاسد نظريًّا فحسب، على نحو ما أوضحنا في المقدِّمة، بل لأنه فاسدٌ عمليًّا أيضًا؛ فهو يؤدِّي إلى أخطاءٍ لا يمكن اغتفارها في المعنى، وبدلًا من أن يجعل اللغة وسيلةَ فِكر، يجعلها وسيلة إحالة إلى لغةٍ أخرى!

الباب الثالث والعشرون:
underprivileged (disadvantaged)

هما كلمتان، ولكن معناهما واحد، وهما ينتميان إلى الكناية التي أتى بها مذهب اللباقة أو الكياسة الاجتماعية political correctness ومعناها (على نحو ما سبق أن ألمحنا إلى ذلك) هو أن تتجنَّب ذكر المعايب مباشرة، وأن تستعيض عنها بما تُكنى بها عنها، مثل إشارتك إلى الأطفال المعوَّقين handicapped بأنهم من ذوي الحاجات الخاصة with special needs، أو إشارتك إلى الأبله أو الأهبل بأنه مختلف idiot as different (وفكرة الهبل أي الفقدان تشير هنا إلى فقدان العقل)، وإلى الشيوخ الواهنين بأنهم كبار أو قدامى المواطنين senior citizens، وإلى الزنوج Negroes، والسود blacks في أمريكا بأنهم أفريقيون أمريكيون (أفرو أمريكيون Afro-Americans). وهذا اللون من الكناية ليس جديدًا على اللغة الإنجليزية؛ فالإنجليز يُطلقون صفة الغزَّالة spinster على العانس ولا يقولون old maid إلا فيما ندر، وهم نادرًا ما يُشيرون إلى السِّمنة باسمها (obesity)، ولا يقولون إن امرأةً سمينة، بل إن قوامها ممتلئ fuller figure (حرفيًّا أكثر امتلاءً من غيرها!). والواضح أن هذه الكنايات تستهدف إخفاء العيوب التي لا يَدَ للفرد في إحداثها، وقد شاع استخدام الكنايات حتى أصبحت تكاد تُنافس الكنايات المستخدمة للتعبير عمَّا يعتبره المجتمع من الكلمات المحظورة taboo words (tabu)؛ فيتبوَّل ليست urinate إلا عند الأطباء، وحلَّ محلَّها تعبير to pass water، ثم حلَّ في الاستخدام الاجتماعي المهذَّب كلمة عامية هي go to the loo أو the lavatory بالفصحى الشائعة؛ أي مكان الاغتسال، أو the ladies (أي المكان المخصَّص للسيدات). كما يُكنى عن المرحاض بغرفة (خلع) العباءة cloak room أو convenience(s)؛ أي مرافق الراحة (وبالأمريكية restroom الذي يقابل العامية المصرية بيت الراحة!) وتقول السيدة التي تريده إنها تودُّ وضع

البودرة على أنفها to powder my nose، والأنف هنا كناية عن الوجه، فيكون المعنى أُريد استعمال مساحيق التجميل، وكلنا يعرف أن «التسريحة» أي المنضدة ذات المرآة التي تتجمَّل أمامها المرأة اسمها toilet وقرينتها toilette تعني لبس الزينة، وكلٌّ منهما يُستخدم للإشارة إلى المرحاض!

ولكن كلمات اللباقة ليست بديلًا عن كلماتٍ محظورة اجتماعيًّا، بل هي ثمرة ما يزعمه الغربيون من تراحمٍ ومن إشفاقٍ على مصائب الآخرين؛ ولذلك يُفضِّل الكُتَّاب أن يُشيروا إلى الفئات الفقيرة التي تعيش على هامش المجتمع (على نحو ما سبق إيضاحه)، لا بالفئات الهامشية marginal، بل بالفئات المهمَّشة marginalized؛ أي التي أدَّى النظام الاجتماعي إلى وضعها في الهامش، بحيث يكون اسم المفعول دليلًا على أن ثَمَّ فاعلًا لذلك، وهو ما يعني توافر الفرصة لتصحيح الأوضاع ما دمنا أقررنا بوجود فاعل نعرفه، لا بأن هذه الحال قدرية لا مفر منها ولا سبيل لتداركها.

(١–٢٣) وهكذا نجد أن الكلمتَين اللتَين نناقشهما هنا من أسماء المفعول التي تُستخدم صفات، وأمَّا تعريف المعجم الأمريكي الحديث (١٩٩٤م) للأولى فهو:

disadvantaged: deprived of a decent standard of living, education … etc. by poverty and a lack of opportunity–underprivileged.

المحرومون من «التمتُّع» بمستوًى معيشي لائق، أو مستوًى تعليمي لائق … إلخ بسبب الفقر وعدم توافر الفرص، من يتمتَّعون بمزايا أقل من غيرهم.

فالكلمة الأساسية هنا هي الحرمان، ولكن الصيغة الصرفية تجعل كلمة by التي تتلوها كلمات تمثِّل الفاعل في الحقيقة، ذات أهمية لا تقل عن أهمية الكلمة الأساسية؛ فالفقر وانعدام الفرص عاملان داخلان في صلب المعنى، وهما المسئولان عن الحرمان. ولكن ما شأن المعنى الاشتقاقي للكلمة؟ إنه يعني حرفيًّا «المحرومون من المزايا» وحسب.

والمعنى إذن ينصب على تصوُّر أن المجتمع يمنح بعض المزايا لأشخاصٍ أو لفئاتٍ ويحرم غيرهم أو غيرها من هذه المزايا، وهو معنًى فيه تكلُّفٌ كثير، وفيه إرهاقٌ للذهن! هل نكتفي بلفظ الحرمان؟

(٢–٢٣) أمَّا الكلمة الثانية فيُعرِّفها المعجم الأمريكي نفسه (فالكلمة الأولى غير واردة في المعاجم البريطانية) على النحو التالي:

underprivileged: deprived of fundamental social rights and security through poverty, discrimination … etc.

أي: محرومٌ من الحقوق الاجتماعية الأساسية والضمان الاجتماعي الأساسي بسبب الفقر أو التمييز وما إلى ذلك بسبيل.

وهكذا نجد أن المعنى الحرفي (مَن يتمتَّعون بمزايا أقل) لا يتفق مع المعنى الاصطلاحي؛ لأن المعنى الحرفي يستند إلى اللباقة الاجتماعية؛ فهو ينسب إلى المحرومين صفة التمتُّع ببعض المزايا، مهما قلنا إنها قليلة، والواقع أن المعنى الحرفي يتناقض تناقُضًا صارخًا مع شرح المعجم الإنجليزي (الأمريكي)، وأمَّا المعجم البريطاني فيورد الشرح التالي:

underprivileged: not having had the educational and social advantages enjoyed by more fortunate people, social classes, nations … etc.

أي: كل من لم يتمتَّع بالمزايا التعليمية والاجتماعية التي أُتيحت لغيره من الذين أسعدهم الحظ، من الأفراد أو الطبقات الاجتماعية أو الدول أو غير ذلك.

وهذا لا شك تعريفٌ يتفق مع المعنى الأصلي للكلمة، ونطاقه أوسع من نطاق التعريف الأمريكي الذي يتجلَّى فيه انشغال واضعي المعجم بقضية «التمييز» مثلًا، وقضية الضمان الاجتماعي social security، وهو التعبير الذي يقتضي وقفةً قصيرة.

(١–٢–٢٣) من المعاني الأصيلة لكلمة secure (الصفة) معنى الحصين أو المأمون، ومنها جاء معنى الأمن الشائع، ونحن نقول إن السجن ذا الحراسة المشدَّدة هو maximum security prison، وإن العامل قد ضمن لنفسه دخلًا كافيًا:

He has secured an adequate income for himself.

ومعنى الأمن مستقًى من المعنى الأصلي وهو «التحرُّر من الخوف أو القلق أو الهم أو الشك أو الكدر»، فأن يكون الإنسان بريئًا من ذلك كله معناه أنه قد أصبح حصينًا آمنًا، ومن هذا الضمان جاءت فكرة الضمان الجماعي أو الاجتماعي؛ أي أن يتعاون أفراد المجتمع على تأمين الفرد ضد هذه الأشياء، ومن ثم فهو يصبح آمنًا في المجتمع، وترجمة التعبير الإنجليزي على هذا النحو ترجمة بالغة التوفيق، وكلمة insecure إذا اقترنت بالصفة social أصبحت تعني أن الشخص معرَّضٌ لهذه الهزات إمَّا بسبب الحرمان (المادي) أو بسبب عوامل نفسية أخرى. وقد نترجمها بالقلق أو ما يجري مجراه من الأسماء، وإن كان العُرف قد جرى على ترجمتها بعدم الأمان (انظر واحات الغربة للمؤلِّف)، وأفراد المجتمع يُساهمون بجانبٍ من دخولهم المادية في تأمين أنفسهم وتأمين الآخرين على شكل أقساطٍ شهرية أو أسبوعية تُسمَّى «أقساط أو مدفوعات التأمين

الاجتماعي social insurance، وهي تذهب إلى صناديق خاصة funds؛ أي حسابات في البنوك، بحيث تُصبح رءوسَ أموال تُستثمر ويُنفق من عائداتها على علاج المرضى ودفع معونةٍ للعاطلين وما إلى ذلك.

(٢-٢-٢٣) وأمَّا التمييز discrimination فهو التفرقة في المعاملة بين الأفراد أو الفئات استنادًا إلى أسبابٍ لا تقبلها المُثل العليا للإنسان (مثل التفرقة على أساس الجنس sex، أو الأصل العرقي ethnic origin، أو اللغة language، أو اللون colour، أو الدين religion)، وقد يصل التمييز إلى حد الفصل بين بعض الفئات الاجتماعية segregation، إمَّا على أساسٍ عنصري racial، أو على أي أساسٍ آخر، على نحو ما كان نظام الفصل العنصري apartheid يمارسه في جنوب أفريقيا. وأمَّا المعاني الأخرى للتمييز فهي واردة في كتاب المصطلحات الأدبية الحديثة للمؤلِّف.

(٣-٢-٢٣) ويتضمَّن التعريف البريطاني كلمة nation التي جرى العُرف على ترجمتها بالأمم، وأُترجمها هنا بالدول؛ وسبب ذلك أننا أحيانًا ما نستخدم أمةً بمعنًى غامض تتداخل فيه المعاني القديمة أو التراثية مع المعاني الحديثة؛ فقد تعني الأمة في التراث من يدينون بدينٍ واحد: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، أو يتكلَّمون لغةً واحدة (الأمة العربية)، أو يُمثِّلون قُطرًا واحدًا أو دولةً واحدة، مثل مُنظَّمة أمم جنوب شرقي آسيا Association of South-East Asian Nations التي نُشير إليها بالمختصر آسيان ASEAN فهي تضم دولًا، بل ومثل الأمم المتحدة نفسها وهي منظَّمة للدول لا للأمم! (لاحظ ترجمة كلمة association بمنظمة، وارجع إلى الباب الخاص بها)، وهكذا فإن على المترجم أن يتحاشى مزج القديم بالحديث وإلا اختلط المعنى؛ فالمقصود قطعًا هو الدول التي قد لا تتمتَّع بما يتمتَّع به غيرها من مزايا بسبب الاستعمار وما إلى ذلك.

(٣-٢٣) فإذا حاولنا ترجمة كلٍّ من الكلمتَين لم نجد كلمةً عربية واحدة تجمع جميع عناصر المعنى المنصوص عليه في المعاجم، وقد يُفضِّل المترجم تعبير «الحرمان» على إطلاقه، أو يحاول شرح كل كلمةٍ بما يراه ملائمًا للسياق، والأمثلة كفيلة بتوضيح ذلك.

(1) Many disadvantaged people have been left behind in the current governmental programmes for the rehabilitation of war victims: an often-cited reason is the lack of funds needed to provide the artificial links required.

(١) لا يستفيد كثيرون من المعوَّقين من البرامج التي تنهض بها الحكومة حاليًّا لتأهيل ضحايا الحرب، ومن الأسباب التي تتردَّد كثيرًا (لتبرير ذلك) عدم توافر الأموال اللازمة لشراء الأطراف الصناعية التي يحتاجون إليها.

(2) Some of the underprivileged seem doomed to their lowly station because of their ignorance of their fundamental rights: a sensitization campaign is therefore a necessity.

(٢) يبدو أن بعض المحرومين من حقوقهم الأساسية قد كُتب عليهم أن يعانوا من الحرمان بسبب جهلهم بهذه الحقوق، ولا بد لعلاج ذلك إذن من القيام بحملة لتوعيتهم.

والتوعية sensitization من الكلمات المستحدَثة في لغة الأخبار والصحف، والتونسيون يترجمونها بكلمة «تحسيس»، ولها معنًى مختلف لدينا في مصر، وهي لم تُصبح بعدُ شائعةً إلى الحد الذي يدعونا لمناقشتها.

(3) The claim that a disadvantaged person is entitled to all civil rights, including the vote, is still a burning issue.

(٣) لا يزال الزعم القائل بأن لكل شخصٍ جار عليه الزمان أن يمارس جميع الحقوق المدنية، ومنها حق التصويت، يُمثِّل قضيةً ساخنة.

(4) To regard the chronically ill as irreparably underprivileged is to deny a seminal human and social ideal – solidarity.

(٤) إن اعتبار من يعانون من الأمراض المزمنة فئةً لا يمكن رفع البؤس عنها، معناه التنكُّر لأحد المُثل العليا الإنسانية، بل والاجتماعية؛ ألَا وهو التضامن.

(5) Drop-outs have always been disadvantages: employers are unwilling to accept that their poor academic attainment may be due to social factors rather than to mental retardation.

(٥) يتعرَّض المنقطعون عن التعليم دائمًا إلى الحرمان من فرص العمل؛ إذ لا يعترف أصحاب العمل بأن ضَعف مستواهم العلمي قد يرجع إلى عواملَ اجتماعية لا إلى التخلُّف العقلي.

والمصطلح المعتاد لكلمة attainment هو مستوى التحصيل؛ أي مستوى التعليم، ويفرِّق المتخصِّصون في التربية بين هذا المصطلح والكلمة الأخرى المستخدمة في ترجمة

التحصيل وهي performance، ولكن ذلك لا يهمُّنا هنا. ولاحظ تغيير التعبير «يعزفون عن قَبول» إلى «لا يعترف»، وأعتقد أن هذه الامثلة تكفي لبيان إمكانيات «التصرُّف» بحيث يقتصر المترجم على المعنى الموحى به في السياق دون غيره من المعاني التي ينصُّ عليها التعريف الإنجليزي، بريطانيًّا كان أم أمريكيًّا!

الباب الرابع والعشرون:
vulnerable/vulnerability

هذه كلمة من الكلمات التي ترفض بإصرار معادلتها بكلمةٍ واحدة، فأمَّا المعنى الأصيل في الصفة فهو أن يكون الشيء أو الشخص مُعرَّضًا للضرر أو الإصابة بسبب ضعفٍ فيه، وهو — كما ترى — معنًى مُركَّب؛ فكلمة vulnerable مشتقة من الفعل اللاتيني vulnerare الذي يعني «يجرح»، والاسم هو vulnus، والمضاف إليه vulneris، وأمَّا الصفة اللاتينية vulnerabilis فهي تتضمَّن معنيَين أحدهما إيجابي والآخر سلبي؛ أمَّا الإيجابي فهو الذي يستطيع أن يجرح، وأمَّا السلبي فهو الذي يمكن أن يُجرح (بضم الياء) (معجم أكسفورد للغة اللاتينية)، وأنا لا أورد المعنى اللاتيني إثباتًا للجذر فقط؛ فالواقع أن الكلمة الإنجليزية المعاصرة vulnerary لا تزال تحمل المعنى الأصلي وحده، وهي صفة تعني «يُستخدم في التئام الجروح»، وقد تُعتبر اسمًا فتُجمع للدلالة على العقاقير أو النباتات التي تُستخدم في العلاج.

(١–٢٤) ويقتصر معنى الكلمة الإنجليزية الحديثة على المعنى السلبي، وأول مستوياته هو المستوى المادي أو الجسدي، وهي تُطلق على الضعيف أو المستضعف الذي يتعرَّض للأذى بسبب ضعفه، والمثال عليه أن يكون الفرد شيخًا فانيًا أو مريضًا واهيًا فيُصبح عُرضةً للإيذاء بسبب ذلك.

(1) In the climate of lawlessness following the invasion, the marauders went for hospitals and hospices where the vulnerable offered no resistance, and made away with everything of value.

(١) في جوِّ الفوضى وغياب القانون، الذي أعقب الغزو، انقضَّ اللصوص على المستشفيات ودُور إيواء العَجَزة، حيث لا طاقة لنزلائها المستضعفين بالمقاومة، ونهبوا كل ما له قيمة.

(2) The vulnerable sections of the population were the prime target of the attack: women and children suffered most.

(٢) كان الهدف الأول للعدوان هو قطاعات السُّكَّان المستضعفة، وكان أشدهم معاناةً من النساء والأطفال.

(3) Bandits in that area did not confine themselves to robbing the vulnerable: even heavily armed caravans were stopped, searched and plundered.

(٣) لم يقتصر قُطَّاع الطرق في تلك المنطقة على سرقة الضعفاء أو العُزَّل، بل كانوا يُوقِفون القوافل المدجَّجة بالسلاح ويُفتِّشونها وينهبونها.

وهكذا قد يكون الضعف راجعًا إلى المرض أو العجز الجسدي بسبب التقدُّم في السن، كما في المثال الأول، وقد يكون راجعًا إلى انتماء الشخص إلى قِطاعٍ مستضعف كما في المثال الثاني، كالنساء والأطفال، وقد يكون راجعًا إلى عدم القدرة على الدفاع عن النفس لعدم وجود السلاح. ويشترك معنى الكلمة هنا مع معنى كلمة helpless؛ أي الذي لا حيلة له، أو لا حَول له ولا طَول (لاحظ الصلة بين حيلة وحول)، وهي كلمة ذات دلالة مظلية تضم في ثناياها العَجَزة disabled والمسنين (the old) والمرضى (the sick)، وتختلف معها في أنها تضم الضعفاء (the weak) الذين يُشار إليهم عادةً بأنهم أقل قدرةً على المقاومة less capable of resistance، مثل الأطفال والنساء والعُزَّل. وهذه كلها معانٍ جسدية أو مادية.

(٢-٢٤) أمَّا المعنى الثاني للكلمة وهو الذي شاع في الدراسات الاجتماعية والاقتصادية فينصرف إلى المستضعفين اجتماعيًّا واقتصاديًّا، وعادةً ما يُشير إلى الفقراء والمحرومين من السلطة؛ أي الذين لا يشغلون مناصبَ ذات نفوذ، وعادةً ما يُشار إلى هؤلاء باسم الجماعات أو الفئات الهامشية marginal groups، ويُحب العرب أن يستخدموا الكلمة الجديدة المشتقَّة من الهامش، وهي المُهمَّشة marginalized للإيحاء بأن للتهميش فاعلًا، وإلى أنه كان من الممكن أن ينتموا إلى التيَّار الرئيسي للمجتمع mainstream، لولا وجود خلل في النظام يؤدِّي إلى تهميشهم، ولا بد أن نتوقَّف لحظةً عند الكلمة الأخيرة.

(١-٢-٢٤) يُقصد بالتيار الرئيسي هو الحياة المعتادة في المجتمع (وفي الاقتصاد)، وقد تحوَّلت الكلمة إلى فعلٍ متعدٍّ يعني تأهيل (أي rehabilitation) العجزة حتى يعودوا

للحياة الطبيعية، فيلتحقوا بالمدارس والأعمال التي يُزاولها الأسوياء، وجاء منها الاسم mainstreaming الذي شاع وذاع في سياق تحرير المرأة، فأصبحنا نقرأ عن:

(4) The object of the planned amendment is to open up society for the eventual mainstreaming of women.

(٤) إن الهدف من التعديل المعتزم (في القانون) هو الانفتاح الاجتماعي الذي من شأنه أن يُتيح للمرأة أن تشارك في التيار الرئيسي للحياة في المجتمع في نهاية المطاف.

(5) Mainstreaming requires women's involvement in productive activities at an early age, and education is one of the certain means of doing that.

(٥) لن تتسنَّى مشاركة المرأة في التيار الرئيسي للحياة في المجتمع إلا إذا شاركت منذ نعومة أظفارها في الأنشطة الإنتاجية، والتعليم من الوسائل الكفيلة دون شك بتحقيق ذلك.

(٢٤–٢–٢) وترتبط بهذه الكلمة كلمة حديثة أخرى شاعت في سياق تحرير المرأة أيضًا وهي كلمة empowerment، ولم تُدرجها أكبر المعاجم الإنجليزية حتى الآن، وإن كان مُلحق معجم أكسفورد الكبير (١٩٩٨م) قد أدرجها، وهو يُعرِّفها على النحو التالي: «الأصل فيها هو منح المرأة الحق في تكوين أسرة (أي إنجاب أطفال)، أو الامتناع عن ذلك، ثم امتدَّ الاسم ليعني، في الولايات المتحدة بصفةٍ أساسية، نقل السلطات إلى أفراد الشعب دون تحديدٍ لمعنى السلطة ولا لأساليب النقل.» والمعاجم القديمة (حتى عام ١٩٩٤م) تتوقَّف عند الفعل أي to empower؛ ولا تُدرج الاسم إمَّا لأنه لم يَشِع، في نظر واضعي هذه المعاجم، بما يكفي لتبرير إدراجه، وإمَّا لصعوبة جمع الأمثلة الحية من الصحب بما يكفي لتحديد معنى الكلمة. والكلمة عسيرة الترجمة وإن كان زملاؤنا في الأمم المتحدة يُترجمونها بكلمة «التمكين»، وهي كلمةٌ فُصحى ومعناها يُماثل المعنى الاشتقاقي للكلمة الإنجليزية إلى حد التطابق، ولو أن الكلمة العربية إذا كانت فعلًا تتطلَّب حرف جر «اللام»، فيُقال مكَّنت لفلان في الأمر؛ أي جعلت له عليه سلطانًا. أمَّا المعنى الاصطلاحي فيختلف بعض الشيء، على نحو ما ورد في القرآن وفي النصوص الحديثة؛ ففي القرآن: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ (يوسف: ٥٦)، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا، إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا، فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ (الكهف: ٨٣–٨٥). وقد أوردتُ هاتَين الآيتَين الكريمتَين لأن المعجم

الوسيط يستشهد بالآية الأخيرة في تبيان معنى «منح السلطان»، ولا يورد باقي الآيات التي تتضمَّن الفعل يُمكِّن، والذي يعني حسبما يقول معجم ألفاظ القرآن الكريم (مجمع اللغة العربية) يُثبِّت ويُوطِّد، واللفظة واردة في آياتٍ أخرى كثيرة (١٠: الأعراف، و٢٦: الأحقاف، و٦: الأنعام، و٤١: الحج، و٦ و٥٧: القصص، و٥٥: النور) بهذا المعنى المحدَّد، والذي يتضمَّن ولا شك قدرًا من السلطان، ولكنه يختلف؛ فمعنى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ (الأعراف: ١٠)، و﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ (النور: ٥٥) لا يوحي بالسلطة قدر ما يوحي بالتثبيت والتوطيد، وسوف أورد هنا ترجماتِ أهم مترجمي معاني القرآن للآيتَين الكريمتَين من سورة يوسف والكهف؛ لأبيِّن مدى الاختلاف والاتفاق بين المعنيَين.

(A) (1) And even thus We established Yusuf in the land, to take his location (there) where he decides. (Yusuf, 56).

(A) (2) And they ask you concerning Thulqarnayn. Say, “I will soon recite to you a mention of him.” Surely We established him in the earth, and We brought him means to (accomplish) everything. So he followed up (to another) means. (The Cave, 83–85).

محمد محمود غالي.

(B) (1) Thus did We establish Joseph in the land, and he dwelt there as he pleased.

(B) (2) They will ask you about Dhul-Qarnayn. Say “I will give you an account of him.”

“We made him mighty in the land and we gave him means to achieve all things. He journeyed …”

داود.

(C) (1) Thus did We establish Joseph in the land that he might house himself there at pleasure.

(C) (2) They will ask thee of Dhoul-Karnain (the two-horned). Say: “I will recite to you an account of him.”

We established his power upon the earth, and made for him a way to everything. And a route he followed.

رودويل.

(D) (1) So We established Joseph in the land, to make his dwelling there wherever he would.

(D) (2) They will question thee concerning Dhool Karnain. Say: "I will recite to you a mention of him."

We established him in the land and We gave him a way to everything; and he followed a way …

آربري.

(E) (1) Thus gave We power to Joseph in the land. He was the owner of it where he pleased.

(E) (2) They will ask thee of Dhu'l– Qarneyn. Say: I shall recite unto you a remembrance of him.

Lo! We made him strong in the land and gave him unto everything a road. And he followed a road.

بيكتول.

(F) (1) Thus did We give established power to Joseph in the land, to take possession therein as, when, or where he pleased.

(F) (2) They ask thee concerning Zul– quarnin. Say: "I will rehearse to you something of his story."

Verily we established his power on earth, and We gave him the ways and the means to all ends. One (such) way he followed.

يوسف علي.

ولقد أوردت هذه للتدليل على تداخل معنى السلطة مع معنى التثبيت والتوطيد حتى في أذهان أقدر المترجمين، ولا شك أن نص الدكتور غالي هو أفضل النصوص؛ فالبعض يُفرِّق بين معنى التمكين في سياق يوسف عليه السلام وبين التمكين الخاص بذي القرنَين، فيجعل الأولى تثبيتًا وتوطيدًا، والثانية جبروتًا وسلطانًا، مثلما يفعل داود (أي establish وmighty)، والبعض لا يُفرِّق بينهما فيجعل كلًّا منهما إمَّا تثبيتًا (establish) مثل آربري وغالي، أو سلطانًا وقوةً مثل بيكتول (power ثم strong)، والبعض يقصر التوطيد

والتثبيت على المعنى في سورة يوسف، ثم يوحي بأنه يجمع بينهما في إخراج معنى الآية في سورة الكهف مثل رودويل establish) ثم establish his power)، والبعض يحاول الإيحاء بهذا الجمع في الآيتَين جميعًا مثل يوسف علي، وإن كان يجعل الأولى established power؛ أي سلطانًا وطيدًا، والثانية جملةً كاملة We establish his power؛ أي وطَّدنا له سلطانه.

والمعنى الحديث فرعٌ من المعنى القديم؛ فتمكين المستأجر من العين المؤجَّرة، معناه تخويله السلطة عليها إمَّا بالإقامة فيها أو باستغلالها، وتمكَّن عند الناس تعني علت مكانته، وتمكَّن من الشيء قدر عليه أو ظفر به، وتمكَّن بالمكان (أو تمكَّن فلانٌ المكان — إذا استعملنا الفعل متعديًّا) استقرَّ فيه. واستمكن تعني تمكَّن، ولكن معنى مكين لا يزال غير شائع، واللفظة نفسها غير شائعة، وهي تعني إمَّا (أ) ثابتٌ لا يتزحزح عن موضعه: ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ (المؤمنون: ١٣، واللفظ في المرسلات، الآية ٢١)، وإمَّا (ب) عظيم القدر والمنزلة «﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (يوسف: ٥٤)، واللفظ في التكوير، الآية ٢٠»، ونقول الآن إنه متمكِّنٌ من موضوع بحثه؛ أي إن معرفته به وطيدة.

ويجب أن نُفرِّق إذن بين معنى تمكين المرأة من حقوقها مثلًا، وبين معنى تمكينها بأحد المعاني التراثية؛ أي نقل السلطة إليها (في بعض الأمور على الأقل) أو توطيد منزلتها؛ فكلمة تمكين متشعِّبة الدلالات، وقد تعني في أحد شِعابها إحقاق حقوق المرأة وإنصافها، وقد تعني في شعبةٍ أخرى تثبيت سُلطتها بعد أن اهتزَّت، سواء كان ذلك في نطاق الأسرة أو المجتمع كله، ولكن تعبير مكانة المرأة status of woman لا علاقة له بالتمكين؛ فالميم في مكانةٍ زائدة؛ لأن الكلمة مشتقةٌ من فعل كون (كان يكون)، والتمكين هو أحد وسائل النهوض بالمكانة والمنزلة؛ ولذلك فيجب ألَّا نخلط بينهما.

وإذا قال قائلٌ إنه ما دامت الكلمة الإنجليزية حديثةً ودلالاتها غير مستقرَّة، فلماذا لا نوازي بينها وبين هذه الكلمة العربية الجميلة، قلنا له لا بأس على شرط أن يكون السياق واضحًا حتى لا يحار القارئ العربي حيرةً تفوق حيرة القارئ الإنجليزي، والواقع هو أنني، بما جُبلت عليه من ولعٍ بالوضوح، أعاف الكلمتَين جميعًا، وأُفضِّل كلماتٍ محدَّدةً لا تؤدِّي إلى اللبس والغموض، وأحمد الله على أن كلمة empowerment قد انحسر استعمالها وأصبح مقصورًا على الكتابات التي يعمد فيها الكاتب إلى الغموض عمدًا، وليتها تختفي من حياتنا قبل أن تجد طريقها إلى المعاجم الإنجليزية.

(٢٤–٣) ومن استعمالات vulnerable المحيِّرة في الترجمة استعمالها مع الحرف to للدلالة على التعرُّض للتأثُّر بشيءٍ أو بعاملٍ من العوامل، وهذا معنًى لا يُقابل الضعف مقابلةً صريحة، بل يُلْمح إليه إلماحًا. مثال:

(6) His argument seems impregnable, but it is vulnerable to criticism in terms of racial bias.

(٦) حجته قوية فيما يبدو (حتى لتستعصي على النقض) لكننا نستطيع أن ننتقدها من حيث انحيازها العرقي.

أي إن vulnerable هنا تعني open to.

(7) Don't attack the central thesis: seek the vulnerable spots and bombard them with academic ammunition.

(٧) لا تهاجم القضية الأساسية، بل ابحث عن نقط الضعف فيها واقصفها بذخيرتك الأكاديمية.

والمقصود بالأكاديمية هنا هو «النظرية»؛ أي غير ذات الجذور الواقعية، ومن ثَم فهي تقترب من معنى الألفاظ الرنَّانة الجوفاء، وهو المعنى القائم في أحد استعمالات كلمة rhetoric (وعلم البلاغة هو rhetorics) وهاك مثالًا آخر:

(8) Shanty town folks are most vulnerable to epidemics, especially as they share water supplies and food sources.

(٨) أشد الناس عُرضةً للإصابة بالأوبئة هم سُكَّان مدن الصفيح (العشش)، خصوصًا لأن مواردهم المائية ومصادرهم الغذائية مشتركة.

والمقصود أنهم يستخدمون المياه نفسها ويحصلون على الأغذية من مصادرَ واحدة، ونلاحظ هنا أن supplies تُترجم عادةً بكلمة إمدادات أو تموين، ونحن نُفرِّق بين الموارد resources والمصادر sources على صعوبة التفريق في الواقع بين المورد والمصدر، ولكن أهل الاقتصاد يعنون بالموارد كل ثروة مستغَلَّة أو غير مستغَلَّة، وأمَّا المصدر فهو أصل الحصول على الموارد أو المنبع الذي تستقي منه، ونحن نقول بالعربية منابع النهر (sources)، ونقول إن النهر من موارد المياه؛ أي إنه من مصادر الحصول على الماء الذي هو من الموارد الاقتصادية! فإذا كُنَّا نُترجم نصًّا علميًّا فعلينا الالتزام بهذه المصطلحات مهما يكن من تداخلها في المعنى.

(٢٤–٤) والاسم من هذه الصفة؛ أي vulnerability قد يحمل أيًّا من هذه الدلالات، فإذا قصرنا ترجمته على الضَّعف فربما كان السياق يقتضي كلمةً أخرى، وإذا قلنا إنه

يعني التعرُّض للتأثير أو للتأثُّر فقد يكون المعنى مختلفًا بعض الشيء؛ ولذلك فنحن نلجأ إلى التحويل، على نحو ما شرحنا، بدلًا من استخدام الكلمة التي يأتي بها حسن الكرمي في المغني الكبير وهي «الإعوار»، وهو يقول: «إعوار = عجز عن رد العدوان (أو) كون الشيء فيه عورة (أو) موضع يُخشى منه العدوان (أو) العطب (أو) المرض، سرعة التأثُّر.» وقد أوردتُ كلماتِه كاملةً لأُبيِّن ضرورة التحويل.

الباب الخامس والعشرون: well-being

إنْ كان لكلمةٍ أن تحوز قصب السبق في مضمار الغموض، فازت هذه الكلمة وتفوَّقت على جميع المنافسين! ومصدر الغموض هو المعنى العام الذي يظل دائمًا في بطن الشاعر، كما يقولون، مهما يكن السياق مُحدَّدًا؛ لأن وجودها نفسه يُناقض التحديد! ماذا تقول المعاجم؟ هذا ما يقوله معجم أكسفورد الكبير:

The state of being or doing well in life; happy, healthy or prosperous condition; welfare.

ويرصد المعجم تاريخ دخول الكلمة إلى الإنجليزية في القرن السابع عشر باعتبارها ترجمةً مباشرة للتعبير الفرنسي bien-être المشتق من اللاتينية الحديثة *bene este* (الذي لا تزال صورته الإيطالية الحديثة حيَّةً في العربية العامية «إستا بينا»)، ولا يخرج معجم من المعاجم الإنجليزية كلها، أمريكيةً كانت أو بريطانية، عن هذا التعريف الذي نُترجمه هنا على النحو التالي — وهي ترجمةٌ مُؤقَّتة لأسبابٍ سوف نُبيِّنها فيما بعد:

> حالة النجاح في الحياة أو الإحساس بذلك، حالة السعادة أو الصحة أو الرخاء، الازدهار.

والتعبير العامي يقابل تعبيرًا عاميًّا آخر هو «تمام» أو «تمام التمام» أو «عال العال»! وكلها كما ترى صُور غير مُحدَّدة الدلالة لحالةٍ من الهناء الجسدي أو النفسي تتفاوت من موقفٍ إلى موقف ومن سياقٍ إلى سياق، وسوف نُناقش التعريف أولًا قبل ضرب الأمثلة التوضيحية.

(١–٢٥) معنى being well هو أن يكون الإنسان في صحةٍ جيدة، وهو التعبير الذي شاع في المحادثة اليومية، والتي تتضمَّن ما يُسمَّى بالحوار الطقسي ritual؛ أي الذي نُردِّده من باب الطقوس الاجتماعية دون أن نقصد به معاني مُحدَّدة؛ فقد يبدأ الحوار بين اثنَين هكذا:

(a) How are you?

(b) Very well, thank you.

وما يقابله بالعامية:

(أ) ازيك؟ (كيفك؟ إيش لونك؟)

(ب) الحمد لله! تمام!

أو بالفصحى:

(أ) كيف حالك؟

(ب) في أحسن حال!

وهذا هو ما دعا حسن الكرمي إلى وضع «حسن الحال» ترجمةً لتعبير well-being.

(٢–٢٥) ومعنى doing well هو النجاح أو الفلاح. وهذه بعض الأمثلة:

(1) When he came to the city, his rural background seemed to interfere with his business transactions which required more flexibility (and compromises) than he was willing to accept, but he did well in the end.

(١) عندما جاء إلى المدينة كانت خلفيته الريفية تعرقل، فيما يبدو، معاملاته التجارية التي كانت تتطلَّب منه أن يتحلَّى بالمرونة (ويقبل الحلول الوسط)، بل وأن يذهب في ذلك إلى مدًى بعيد لم يكن يتقبَّله، ولكن نجح آخر الأمر.

ونقول بالمناسبة إن كلمة «خلفية» من الكلمات التي وضعها مجمع اللغة العربية، ولاقت نجاحًا كبيرًا (It has fared well) منذ الخمسينيات، وأحيانًا نُترجمها إذا وردت في التقارير الرسمية أو الموضوعات البحثية (التي نسمِّيها research papers) بتعبير معلومات أساسية؛ وذلك لأن الفصل الأول في معظم هذه التقارير والموضوعات يتضمَّن حقائق ومعلومات أساسيةً background information، وجريًا على عادة الإنجليز (والأمريكيين) في الاقتصاد في التعبير، حُذفت الكلمة الأخيرة وأصبحت background وحدها قائمة، وإن كان المعنى لم يتغيَّر، وكان الدكتور عبد الحميد يونس قد اقترح كلمةً أخرى هي «المِهاد» لترجمة التعبير historical background؛ أي المهاد التاريخي، ولكن

الترجمة لم تشِع شيوع «الخلفية»، ونحن نستخدمها في اللغة العربية المعاصرة حتى خارج الترجمة. وهاك مثالًا آخر:

(2) His poverty seemed chronic, and he badly needed a break; so he went to Canada and soon made good. But he had to change his career as he never did well as a teacher.

(٢) كان فقره فيما يبدو مزمنًا، وكان في مسيس الحاجة إلى فرصةٍ جديدة، فرحل إلى كندا وسرعان ما حقَّق مسعاه، ولكنه اضطُر إلى تغيير عمله لأنه لم يكن مُوفَّقًا في عمله بالتدريس.

وقد أتيت بهذا المثال حتى أُبيِّن الفرق بين make good والتعبير الذي نُناقشه هنا؛ فالأول يعني إنجاز أو تحقيق الغاية المنشودة، كما لا يفوتنا الإشارة إلى تعبير break وهي كلمة عامية، تعني فرصة بداية جديدة أو تصحيح خطأ ما، وهي في بريطانيا تقتصر على هذا المعنى، فإذا قلت لأحد رؤساء العمل «اديله فرصة» (امنحه الفرصة لإثبات مقدرته)؛ أي give him a break كنتَ تعني ذلك فحسب، أمَّا في أمريكا فالتعبير give me a break أصبح شبه مرادف للتعبير العامي «لا مؤاخذة! أرجوك افهمني!» أو «وبعدين معاك!» وأضرابهما. وفي الإنجليزية البريطانية يُستعمل التعبير a lucky break بمعنى «ضربة حظ!» المصرية!

والتعبير الشائع !well done معناه بالعامية المصرية «برافو عليك!» أو «أحسنت صنعًا!» بالفصحى، وإن كانت عبارة «أحسنت صُنعًا» تُحيل القارئ إلى اللغة التراثية، ومن ورائها وبين يديها الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف: ١٠٤)، وسوف أورد الترجمات المختلفة لهذه الآية لأبيِّن الفارق بين المعنى المعاصر والمعنى الموحَى به من التراث.

(a) Those whose efforts have been wasted in this life, while they thought that they were acquiring good by their works.

يوسف علي.

(b) Those whose effort goeth astray in the life of the world, and yet they reckon that they do good work.

بيكتول.

(c) Those whose striving goes astray in the present life, while they think that they are working good deeds.

آربري.

(d) Those whose endeavours in this world are misguided and who yet think that what they do is right.

داود.

(e) (Those) whose aim in the present life health been mistaken, and who deem that what they do is right.

رودويل.

(f) The ones whose endeavour errs away in the present life, and they reckon that they are doing fair work.

غالي.

لم يقل واحدٌ منهم، ولا بوسع أحد أن يقول إنهم have done well بمعنى إحسان الصنيع؛ ولذلك فإن الصيغة الفصحى تظل غير مطابقة للصيغة العامية، وسوف نعود إلى كلمة حَسن والحُسن عند التعرُّض لترجمة حسن الكرمي.

(٣–٢٥) أمَّا معنى happy التي اتُّفق على ترجمتها بالصفة سعيد والاسم منها السعادة، وهو اتفاق بالغ التوفيق (على نحو ما سنشرح)؛ فهو معنًى عسير التصوُّر، والكلمة لا ترد في القرآن إلا مرَّتَين: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (هود: ١٠٨)، ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (هود: ١٠٥)، والمعجم يُفسِّر السعادة تفسيرًا اشتقاقيًّا قائلًا إنه «معاونة الله للإنسان على نيل الخير»؛ أي إنه يربط المصدر «السعادة» بالفعل «ساعد» (أسعده الله: وفَّقه)، ولا يقول عن معناه إلا أنه ضد الشقاوة، والمعاجم كلها تتفق على هذا دون تحديدٍ لعناصر المعنى أو حتى لدلالته العامة اعتمادًا على أنه «معروف»، ولكن السعادة بالمعنى الاصطلاحي تعني أكثر من التوفيق (وهو معنًى أساسي في happy)، فتتضمَّن الهناء والسرور، وأمَّا الهناء بالعربية فأصله إساغة الطعام وتقبُّله، تقول هنئ له الطعام إذا ساغ ولذَّ، وجاء منه هنئ بالشيء فرح به، وقد يكون ابن فارس مخطئًا في رصد ما يعتبره المعنى الأصلي بسبب شيوع الهناء في سياقاتٍ أخرى مثل: «ليهنئك هذا الأمر؛ أي ليكن مبعث فرح وسرور لك»، ولكن القرآن لا يستخدم هنيئًا إلا في سياق الطعام: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ (النساء: ٤)، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ (الطور: ١٩، الحاقة: ٢٤، المرسلات: ٤٣). وعلى أي حالٍ فإن المعنى الأصلي وفروعه يتضمَّن السرور، وهو معنًى لا يوجد في الدلالة

الاشتقاقية للسعادة، ولنا إذن أن نقول إن المعنى الاصطلاحي للسعادة يتفق مع معنى happy الاصطلاحي في العناصر التالية: (١) التوفيق (من الله) إلى. (٢) الخير بما يجلب. (٣) الهناء؛ أي السرور والغِبطة والفرح.

وأصل الكلمة happy هو الفعل الإنجليزي القديم hap، بمعنى يحدث أو حادثة، وكان قدماء الإنجليز ينسبون الحوادث إلى الحظ (ربَّة الحظ؛ أي fortuna التي ورثوا مفهومها من اليونان أيام الوثنية)، ومنها جاءت الكلمة الإنجليزية الحديثة happen وكلمة mishap (سوء الحظ)، فكان المعنى الأصلي هو التوفيق، مثل معنى الكلمة العربية، أو «مساعدة» الحظ للإنسان في بلوغ الخير. ولا يزال معنى التوفيق والتوافق قائمًا في معنى happy في القول المأثور عن الدكتور جونسون، وهو أن جمال الأسلوب يرجع إلى التراكيب المتوافقة للألفاظ happy combinations of words.

أو في المثال التالي:

(3) His suggestion that the vice-deans be invited to the party, apart from the dean himself, was a happy one.

(٣) كان اقتراحه بدعوة وكلاء الكلية إلى الحفلة، إلى جانب العميد، اقتراحًا موفَّقًا.

(4) No happier thought could have been found! The occasion called for renaming the street after the Nobel Prize Laureate, and everybody welcomed it.

(٤) لم تُطرح فكرةٌ أكثر توفيقًا منها؛ إذ كانت المناسبة تتطلَّب إطلاق اسم الفائز بجائزة نوبل على الشارع، وقد رحَّب الجميع بتلك الفكرة.

(5) The sentiment was genuine, but the word he used was a little unhappy and the proposal was rejected.

(٥) كانت مشاعره صادقة، ولكن الكلمة التي استخدمها كانت غير مناسبةٍ إلى حدٍّ ما، ممَّا أدَّى إلى رفض الاقتراح.

والتوفيق يؤدِّي، كما يقول تراثنا، إلى «الخير»، والخير كلمة عسيرة لأنها ذات مفهوم يتفاوت من مجتمعٍ إلى مجتمع، فما فيه الخير لك قد يكون خِلوًا من الخير لشخصٍ واحد، والتراث يقول إن الخير يتمثَّل في كل ما يُضيف إلى الحياة (وهو الذي نُشير إليه بلفظ «العطاء» حاليًّا)؛ فالمال يُعتبر خيرًا لأنه يُيسِّر سُبل الحياة فيأتي بالمطعم والملبس والمسكن، و«يساعد» في العلاج وتحقيق الشفاء ... إلخ، والجمهور على أنه خير، وهو على

أي حال من زينة الحياة الدنيا؛ ولذلك فإن كلمة fortune تعني الحظ الحسن، مثلما تعني الثروة! والصفة fortunate لا تعني إلا حسن الحظ، والاسم في التعبير fame and fortune لا يعني إلا الثروة! (ونُترجمها عادةً بالشهرة والمال). وانصراف السعد إذن إلى معنى الثراء ليس غريبًا، وإن كان لا يمس المعنى الأصلي للتوفيق:

(٦) إن جاءك السعد قُم يا صاحِ وامشِ على
ماء البحور وكن أقسى من الحجر
واصنع من الثلج نارًا والصعيدِ غذًا
وانسج ثيابًا من الأغصان والشجر

(6) If fortune smiles, arise, my friend! and walk
On the face of the sea, and be harder than rock,
From dust make food, from ice make fire,
From tree twigs weave your best attire!

وقد أضيفت best إلى الترجمة للمحافظة على الوزن، ولكن ابتسام الحظ هو السعد، وأمَّا السرور الموحى به فهو معنًى موحًى به وحسب؛ لأن التوفيق للخير يجلب السرور قطعًا، والاستثناءات في هذا الباب ممَّا يؤكِّد القاعدة ولا ينفيها، ولا غرو إذن أن يكون أول معنًى في المعجم الإنجليزي لكلمة happy هو:

fortunate, lucky; feeling or expressing pleasure, contentment, satisfaction, etc …

والإحساس باللذة والرضا والسرور إذن جزءٌ من معنى السعادة في اللفظة العربية والإنجليزية.

(٤–٢٥) أمَّا معنى healthy فهو أقل تعقيدًا من معنى السعادة؛ لأن الصحة بالعربية أصبحت تقابل اللفظة الإنجليزية health اصطلاحًا مقابلةً تكاد تكون تامة، ولا تفترق اللفظتان إلا في بعض الاستعمالات الجديدة مثل المرافق الصحية sanitation (أو sanitary facilities)، والصحة العامة (أو النظافة) hygiene وما إليها، ومن ثم فالصحة المقصودة هي صحة البدن والنفس جميعًا (physical and moral health)، والملاحَظ أن الصحيح نقيضه العليل؛ أي الناقص (ولا علاقة لهذا بالعَلَل أي الشرب الثاني

في قولك شرب عَللًا بعد نهل)، والمعنى يتفق اصطلاحًا واشتقاقًا مع الكلمة الإنجليزية؛ فالأصل يرجع إلى كلمة hale أي صحيح بمعنى كامل whole، وهي الكلمة المشتقة من hool التي شاعت في الإنجليزية الوسطى بالمعنى نفسه، ومنها أيضًا اشتُقَّت كلمة heal أي يلتئم؛ فمعنى الالتئام هو العودة إلى الاكتمال أي إلى الواحد الصحيح! وإذن فلا خلاف بين اللغتَين، فيما يبدو، إزاء المفهوم الأساسي للصحة؛ فكل ما عداها كسر أو علة أو نقصان.

(٢٥–٥) وتأتي بعد ذلك كلمة prosperous، وهي الكلمة التي تختلف دلالتها الاشتقاقية عن دلالتها الاصطلاحية بالإنجليزية، وإن كانت تتفق مع الدلالة العربية، وهذه من الحالات النادرة؛ إذ إن الأصل هو ما يبعث على الأمل (pro + sper)، والازدهار في العربية هو ما يبعث على أمل الثمار؛ فالزهرة هي بشير الثمرة! ولكن المعنى الاصطلاحي يختلف؛ فهو النجاح المادي، ومعنى الازدهار كثرة الثمار في المصطلح، ومن ثم فهي تعني الرخاء، أو الاستمتاع ببحبوحةٍ من العيش.

(٢٥–٦) كيف يتسنَّى لنا إذن أن نجمع كل هذه العناصر في كلمةٍ أو كلمتَين بالعربية؟ هل «حسن الحال» تكفي؟ وما هو الحَسَن؟ الحَسَن في اللغة هو كل ما ترضى عنه النفس أو يرضى عنه العقل؛ أي إن الحُسْن صفةٌ ذاتية لا موضوعية؛ لأنها ترتبط بتقبُّل الإنسان ورضاه، ولا تعتمد على خصائص كائنة (أو كامنة) في الشيء الحسن، ومعنى ذلك أن الكلمة تنتمي إلى فئة الدلالات النسبية، وتعتمد اعتمادًا كاملًا على السياق، بل إننا حتى لو حاولنا الدقة في تحديد معاني الحُسْن فلن نخرج إلا بما يلي: الجمال وهو (تعريفًا) صفة نسبية، ويقول بعض العلماء إن للكلمة علاقةً بكلمة جمل («عماد حياة العرب وتاج صحرائهم وعلمها المعروف» د. زعيمة، ظاهرة التعريب، ١٩٨٧م، صفحة ٥٢) أو جودة الصنع، وأمَّا المشتقَّات فمعظمها واردٌ في التراث وله معانٍ معظمها دينيٌّ ثابت الدلالة (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم: إذا كانت أفعالكم تتفق مع الدين) (الاستحسان: ترك القياس والأخذ بما هو أرفق للناس) (والحَسَن في مصطلح الحديث النبوي هو ما عُرف مُخْرِجُه واشتُهر رجاله) (الحُسنى مؤنَّث الحسن، وتعني العاقبة الحسنة) (الحسنات جمع الحسنة وهي الأفعال الخيِّرة) (والإحسان وهو فعل الخير وخصوصًا التصدُّق). وإذن فنحن نواجه معنًى متغيِّرًا وله مقابلاته الكثيرة في الإنجليزية، ولا داعي للخوض فيها وإلا صرفتنا عن تعريف كلمة well-being وترجمتها.

(٧–٢٥) فلنضرب أمثلةً حية إذن لنرى كيف نترجم الكلمة في كل سياق:

(7) The minister said that the project was socio-economic, with the accent on the "socio" bit, that is, aimed at the achievement of well-being even for the poorest of the poor.

(٧) قال الوزير إن المشروع اجتماعي واقتصادي معًا، وهو يركِّز على الجانب الاجتماعي، بمعنى أنه يهدف إلى تحقيق السعادة للجميع، حتى لأفقر الفقراء.

هل لنا أن نُحل «تحسين أحوال» الناس محل «تحقيق السعادة»؟ وما رأيك في التعبير الشائع «التخفيف عن»؟ أو التعبير الآخر «الأخذ بيد» الناس؟ وربما يكون المقصود «رفع مستوى» الجميع، ولكن تركيز الوزير على الجانب الاجتماعي لا الاقتصادي هو الذي يوحي بالتخفيف أو الإسعاد!

(8) When he heared the news, he was overcome by a sense of well-being, rarely experienced since he joined the firm.

(٨) عندما سمع النبأ غلبه إحساس بالنشوة ندر أن خامره منذ أن الْتحق بالشركة.

وwell-being هنا تُقابل المصطلح الثابت euphoria، وهو مصطلح يتضمَّن الإحساس بالسرور والبهجة الغامرة.

(9) The well-being of the population is wrongly related to the rise of the welfare state, but some of the recipients of state services have been thoroughly miserable, especially those on the dole.

(٩) يخطئ من يعزو هناء الشعب إلى نشأة الرعاية الاجتماعية من جانب الدولة؛ فإن بعض المستفيدين من الخدمات العامة من أشقى الأشقياء، خصوصًا من يتلقَّون إعانة البطالة.

ونتوقَّف هنا عند كلمة welfare والتي تتفق في معناها العام مع well-being من حيث الأحوال المادية، وتختلف في خلوها من أي مشاعر ممَّا سبق لنا إيراده، وتعريف المعجم لها هو:

(1) condition of having good health, comfortable living and working conditions, etc.

(2) welfare work: organized efforts to improve the welfare of those who need help.

والمعنى الثاني هو المقصود في معظم استعمالات الكلمة، حتى دون ذكر كلمة work، ممَّا يفسِّر إطلاق الترجمة العربية الذائعة «الرعاية» على الكلمة، والرعاية الاجتماعية تعني في الواقع الرعاية الاجتماعية والاقتصادية؛ لأن الصفة تشير إلى رعاية المجتمع للذين يحتاجون إلى المعونة ماديًّا أولًا ونفسيًّا وعقليًّا ثانيًا. وقد أصبح نطاق المعنى الذي تشترك فيه الكلمة مع كلمة well-being محدودًا بسبب تحوُّل welfare إلى مصطلح، وكثيرًا ما يعمد رجال السياسة في خُطبهم الجماهيرية إلى تفضيل well-being للإيحاء بأنهم أشد حدبًا على «الرعاية المتكاملة» integrated welfare من نشدانهم الرعاية المادية! وكثيرًا ما تردُ well-being بمعنى «الخير» العام دون أن تنصرف إلى أي معنًى محدَّد ممَّا سبق، ولن يخطئ المترجم إذا فهم the nation's well-being على أنها تعني «ما فيه خير الأمة»!

(٨–٢٥) ولكن مترجمي الأمم المتحدة، سامحهم الله، قد استحدثوا ترجمةً لا أدري مصدرها هي «الرفاه»، ولم أعثر عليها إلا في محيط المحيط للبستاني دون غيره باعتبارها اسمًا (مصدرًا) من رفه يرفه، وأمَّا القاموس المحيط فهذا ما جاء فيه:

> «الرفاهة»: والرفاهيَة مُخفَّفة، والرفهنية كبلهنية رغد الخصب ولين العيش، رفُه عيشُه ككرُم فهو رفيه ورافه ورفهان ومترف مستريح متنعِّم، وأرفههم الله تعالى ورفَّههم ترفيهًا، ورفه الرجل كمنع رفها ويكسر ورفوها لانَ عيشه والإبل وردت الماء متى شاءت وإبل روافه، وأرفهتها ورفَّهتها وأرفهوا رفهت ماشيتهم، والمال أقام قريبًا من الماء، والرجل ادَّهن كل يوم وداوم على أكل النعيم، وعندنا استراح، كاسترفه، والرُّفه كصُرد التبن، وبالكسر صغار النخل، والرفهة محرَّكة الرحمة والرأفة، وهو رافِه به راحم له، وبيننا ليلة رافهة، وليالٍ روافه لينة السير ورفه عني ترفيهًا نفَّس.

والمعجم الوسيط ينظم هذه الكلمات وفقًا لمعانيها، ولا يورد الرفاه، وكذلك لا يوردها الصِّحَاح ولا لسان العرب، ولا بد أن البستاني عثر عليها في استعمالٍ نادر؛ لأنه لا يورد أي شواهد تدل على وجود الكلمة في العربية، وحتى لو وُجدت في نصٍ من النصوص اللاحقة لجميع تلك المعاجم (ومنها تاج العروس ومقاييس اللغة)، فإن اختيارها غير موفَّق لسببَين؛ أولهما ارتباطها بحزب الرفاه الإسلامي في تركيا، والكلمة، كما يقول لنا المتخصِّصون، مُبتدعة من الرفاء وهو الاتفاق والانسجام، والأصل فيها التزاوج، ومصدر

الخلط هو أن الشرح في المعاجم يقول رافاه مرافاةً ورفاءً أي وافقه، ورافاه تعني داراه وتعني حاباه، وصيغة التكثير المستخدمة (فاعَل يُفاعل) مشتقَّة من الفعل رفا أو رفأ (ولا يوجد في المعجم رفو) لا من رفه، وهكذا فمن المحتمل أن يكون المترجم قد تصوَّر وجود الرفاه من رافاه! أمَّا الفعل رفا أو رفأ فيعني تزوَّج أو أصلح الثوب بضم بعضه إلى بعض، (يُقال رفا الخرق) ورفا فلانٌ فلانًا أي أزال فزعه وسكَّنه من الرعب، وهذه كلها معانٍ بعيدة عمَّا يقصد إليه المترجم، دون سندٍ سوى معجم حديث لا يورد أي شواهد ويختلف عن تراث العربية كله.

وأمَّا السبب الثاني فهو أن الرفاهية والترف من المعاني التي يصعب تصوُّرها في well-being أو حتى في welfare، على نحو ما أوضحنا، ولله درُّ الأستاذ سمير عفيفي كبير مراجعي الأمم المتحدة الذي حاول تنبيه المترجمين إلى هذا الخلط، ولكن الكلمة جذَّابة لطرافتها؛ ولأنها كما سبق أن ألمحت، تُحيل القارئ إلى الكلمة الإنجليزية التي يتصوَّر المترجم أنه يعرفها، وهذا مذهبٌ بالغ الخطورة في الترجمة إلى العربية.

(٩–٢٥) وهاك أخيرًا بعض الأمثلة التي توضِّح الفروق المشار إليها:

(10) In the 1960s Galbraith's *Affluent Society* spearheaded a whole movement of appraisals and re-appraisals of what had been thought a unique achievement by the West, namely the creation of a society that really cared—the so-called welfare state.

(١٠) كان كتاب مجتمع الرفاهية الذي أصدره جالبريث في الستينيات بمثابة رأس حربة لحركة ترمي إلى تقييم وإعادة تقييم ما كان الناس يعتقدون أنه من المنجزات الفريدة للغرب؛ أي بناء مجتمع يهتم بأفراده اهتمامًا حقيقيًّا، أو دولة الرعاية المزعومة.

كلمة affluent في ذاتها لا تعني أكثر من الثروة بمعنى الوفرة abundance، ولكن مصطلح affluent society أصبح يعني المجتمع الذي يتمتَّع بالرخاء prosperity، وينصَبُّ اهتمام أفراده على تحسين المستوى المادي للعيش، وشيوع ترجمة مجتمع الرفاهية لعنوان ذلك الكتاب معناه ارتباط فكرة الوفرة (وكان يمكن أن تكون عنوانًا للكتاب) بفكرة الترف luxury وبضائع الترف luxury goods ممَّا نُترجمه بكلمة الكماليات المعاصرة، في مقابل الضروريات necessities أو السلع التي يقتصر نفعها على ما يُلبي حاجات الإنسان الأساسية، فنحن نفرِّق مثلًا بين الأثاث الذي تقتصر مهمَّته على وظيفته في المنزل أو في المكتب utility furniture، والأثاث الفاخر (المترف) الذي يزخر

بما لا لزوم له، وجالبريث يقول إن اهتمام الغرب بالوفرة أدَّى إلى الترف الذي لا يؤدِّي بالضرورة إلى إنشاء/إيجاد the creation of مجتمع التراحم compassionate society. ولنلاحظ أن كلمة creation لا تُترجم في السياقات الاجتماعية بالمعنى المعجمي لها وهو الخلق، وقد ترجمناها في النص بكلمة بناء؛ فبناء المنزل هو إنشاؤه، والهندسة الإنشائية هي هندسة البناء construction. وسوف يلاحظ القارئ أنني ترجمت so-called بتعبير «المزعوم»، وهي الترجمة التي شاعت في النصوص السياسية، ومعناها الحرفي هو «ما يُسمَّى بكذا» أو ما يُطلق عليه أو ما يُدَّعى كذا، وكلمة المزعوم لا تعني في اللغة أكثر من ذلك، ولكنها تعني في لغة السياسة أن ما تشير إليه موضع شكٍّ وريبة، والواضح من المثال أن welfare ليست الرفاهية إطلاقًا.

(11) The growing interest in the acquisition of luxury consumer goods, sometimes unrelated to a person's well-being but regarded as status symbols, reflects a growing class-consciousness defined in nineteenth-century terms – with class being increasingly conceived in terms of material possessions.

(١١) يزداد اهتمام الناس بالحصول على البضائع الاستهلاكية الفاخرة، التي أحيانًا لا تتعلَّق بتحقيق السعادة، بل تُعتبر رموزًا للمنزلة الاجتماعية، ويتجلَّى في ذلك ازدياد الوعي الطبقي في إطار تعريف القرن التاسع عشر له؛ إذ يزداد النظر إلى الطبقة باعتبارها قائمةً على الممتلكات المادية.

والكلمة الأولى التي علينا أن نتوقَّف عندها هي كلمة reflect؛ إذ أشاع المترجمون كلمة «يعكس» ترجمةً لها، بل أصبح الكُتَّاب العرب يستخدمون الكلمة العربية نفسها وفي أذهانهم الكلمة الإنجليزية، وهي ليست ترجمةً مُوفَّقة؛ لأنها تؤدِّي إلى الخلط مع معنًى يعكس بمعناها الأصيل في العربية، ويرجع أصل الخلط إلى قولك إن الضوء الساقط على المرآة is reflected؛ أي ينعكس اتجاهه بمعنى أنه يرجع من المرآة ولا يخترقها، أو إلى قولك إن المرآة تعكس الصورة أي تقلبها reverses the image؛ أي إنك ترى فيها الصورة معكوسةً ممَّا يُسمَّى بصورة المرآة mirror image، ولكن المقصود بالفعل reflects هو أن شيئًا ما تتجلَّى فيه صورة شيء آخر، مثلما تتجلَّى صورة الحقول في مرآةٍ محدَّبة convex mirror، أو تتضخَّم ملامح الشخص في مرآةٍ مقعَّرة concave mirror (وينعكس تأثير التحدُّب والتقعُّر في العدسات؛ أي إن العدسة المحدَّبة تُكبِّر الصورة،

والعدسة المقعَّرة تصغِّرها؛ إي إن كلًّا منها تُحدِث عكسَ أي نقيض تأثير المرآة)؛ ولذلك فيجب أن نتحاشى ذلك الخلط، خصوصًا حين ترد الكلمتان في سياقٍ واحد؛ أي الكلمة التي تعني «يعكس» حقًّا، مع الكلمة التي تعني يُظهر أو يُبيِّن أو يتجلَّى فيه أو يُعزى إليه:

(12) Reflecting the steady depletion of the oil resources in the North sea, oil prices rose again, and, realising that the trend may be reversed if adequate pressure is put on OPEC members, Britian is offering "most-favoured-nation" treatment to some of them, thus substituting enticement for pressure.

(١٢) عادت أسعار البترول إلى الارتفاع، وهو ما يُعزى [إلى حدٍّ ما] إلى نفاد الموارد البترولية بصورةٍ مُطَّردة من حقول بحر الشمال البريطانية، وقد تبيَّن لبريطانيا أنها تستطيع أن تعكس هذا الاتجاه [إلى الارتفاع] [أن تُعيد الأسعار إلى سابق عهدها] إذا مارست قدرًا كافيًا من الضغوط على الدول الأعضاء في منظمة الأوبك [لزيادة إنتاجها]، ولكنها تعرض على بعضها أن تعاملها تجاريًّا على أساس الدولة الأَوْلى بالرعاية، وبذلك فهي تستبدل الإغراء بالضغط.

الكلمات التي أضفتها بين أقواسٍ مربَّعة تتضمَّن المعاني المقصودة وإن لم يُفصح عنها النص، وتعبير to reverse the trend أصبح مصطلحًا يُفيد إعادة التيار إلى السير في الاتجاه العكسي، وهو تعبيرٌ من التعبيرات الملتوية التي شاعت، والكلمات الموضوعة بين القوسَين تقدِّم المعنى بوضوحٍ وجلاء، أمَّا معنى reflecting هنا فهو يفيد النسبية، وهو معنًى شائع للكلمة الحديثة، وهناك معانٍ أخرى للكلمة لا تُهمُّنا؛ فالفعل to reflect قد يعني يتأمَّل أو يفكِّر، وreflections قد تعني التأمُّلات لا الانعكاسات، وقبل أن ننتقل إلى مثالٍ آخر يجب أن نشير إلى أن كلمة substitute تعني يستبدل بمعناها «الصحيح» القديم؛ أي إن ما يتلوها هو الذي سيحل محل الكلمة المسبوقة بحرف الجر (الباء)، ولمَّا كان المعنى الشائع هو عكس هذا المعنى «الصحيح»، فقد تفتق ذهن مترجمي الأمم المتحدة عن حلٍّ يُعفيهم من الوقوع في الخلط، وذلك بتجنُّب استعمال الكلمة تمامًا، والاستعاضة عنها بكلمة «يستعيض بكذا عن كذا» (وهكذا فإن بريطانيا تستعيض بالإغراء عن ممارسة الضغط)، ولكن كلمة أبدل لا خلاف على معناها، وهي تقابل replace، ولنا أن نقول

«إن بريطانيا أبدلت الضغط بالإغراء» أو «لجأت إلى الإغراء بدلًا من الضغط»، ولسنا ملزمين بالاستعاضة إلا حين نُترجم نصوص الأمم المتحدة النمطية المقولبة.

(13) Noting the present constraints on the trade in hides, reflecting the growing militancy of the environmentalists and wild life advocates, the minister observed that an imitation tiger fur should be as good as a genuine one, and that the well–being of the ladies would not be much diminished by wearing synthetic material.

(١٣) أشار الوزير إلى الضغوط التي تتعرَّض لها تجارة الجلود الكبيرة حاليًّا، والتي تُعزى إلى اشتداد حدة المعارضة من جانب دُعاة الحفاظ على البيئة وأنصار الحياة البرية، ثم قال إن الفراء الصناعي الذي يشبه فراء النمر لا يقل جاذبيةً عن الفراء الأصلي، وإن سعادة الهوانم لن يُنتقص منها كثيرًا إذا ارتدين الأقمشة الصناعية.

كلمة observe ليست مشكلة؛ فالمعجم يقول إنها تعني هنا «يقول مُعلِّقًا» say by way of comment، ولا معنى إذن للإصرار على ترجمتها بالملاحظة، كما يفعل زملاؤنا في الأمم المتحدة، وأمَّا reflecting فقد سبق شرحها، وأمَّا استخدام imitation وهي الاسم في موقع الصفة فهو شائع (محاكاة/تقليد)، ومترجم النص يتصرَّف لإخراج المعنى المقصود، وwell–being لا يمكن أن تعني «حسن الحال» أو «الرفاهية»؛ فالمقصود هنا أنهن لن يغضبن ولن يعانين من الكآبة أو يبتئسن، وترجمة the ladies بالهوانم تحمل السخرية التي قصد إليها الوزير، وكلمة synthetic تترجمها الأمم المتحدة ترجمةً علمية هي «التخليقية»؛ حتى تحتفظ لكلمة الصناعي بمقابلتها industrial، وmaterial هي القماش أو الأنسجة textiles على اختلافها، أمَّا الكلمة التي سنتوقَّف عندها فهي constraints؛ إذ يظنها الكثيرون تعني القيود أي restrictions، ولكنها تعني في الواقع نوعًا محدَّدًا من القيود النفسية النابعة من الضمير، وهي قيودٌ داخلية أو أثقال ترين على النفس، ومن ثم فهي ضغوطٌ نفسية وقيود من الضمير، وإذا لجأ الكاتب الإنجليزي إلى التوسُّع في معناها فجعلها مرادفةً للقيود بصفةٍ عامة، فلا ضيرَ من محاكاته بالعربية؛ لأننا نحاول أن ننقل المعنى وحسب.

الملحق الأول:
كلماتٌ متخصِّصة شاع استعمالها

لا يكاد القارئ يرى كلمة global ومشتقاتها اليوم حتى ترد إلى ذهنه المعاني الجديدة المرتبطة بما يُسمَّى بالعولمة globalization/globalism (وسوف نناقشها بالتفصيل)، أو بما يُسمِّيه الدكتور أحمد شوقي بالكوكبية نسبةً إلى كوكب الأرض planet earth، وقد أدَّى ذلك إلى طمس المعنى الراسخ في الاقتصاد للصفة global؛ أي الشامل أو الكامل، ولاسم المفعول المستخدم صفة globalized، وهو المعنى الأصلي في المصطلح الشهير globalized system of preferences؛ أي نظام الأفضليات المُعمم، ومعناه عدم استثناء سلعة من سلع إحدى الدول من التمتُّع بالأفضلية التي تتمتَّع بها سلعها الأخرى في التجارة مع دولةٍ مُعيَّنة؛ أي إن التعميم هنا ينطبق على أشياءَ لا على دول، ويُعرِّفه المعجم على النحو التالي:

(1) complete or comprehensive.

(2) embracing the whole of a group of items, etc.

ومعنى العالمية مستقًى من globe التي تعني الكرة (من اللاتينية globus بالمعنى نفسه)، والكلمة تُطلق على الكرة الأرضية أو على نموذج الكرة الأرضية المعروف، كما عرَّبها المصريون بكلمة «كلوب»، ويعنون بها المصباح الذي يتخذ شكلًا كرويًّا، ومن هنا جاء معنى العالمية، ومنه جاء معنى الاكتمال أو الشمول؛ ولذلك فنحن نلتمس للمترجم العذر إن اختلطت الدلالة الأصلية بالدلالة الاصطلاحية. وكان من بين الدلالات الاصطلاحية الأولى الدلالة القائمة في علم المالية finance، ويُحدِّدها معجم المالية بأنها قدرة المستثمر في إحدى أسوق الأوراق المالية stock market على شراء أسهم shares أو سندات bonds

في سوقٍ مالية أجنبية مباشرة؛ أي دون وُسطاء intermediaries أو سماسرة brokers نتيجة التقدُّم التكنولوجي، وخصوصًا استعمال الكمبيوتر (الحاسب الآلي/الحاسوب). وهي بهذا المعنى توازي دلالة كلمةٍ أخرى مُهمَّة هي disintermediation؛ أي التعامل دون وُسطاء، وهو من ثمار إلغاء الضوابط التي كانت الحكومات تفرضها على هذه المعاملات فيما يُسمَّى بتحرير التعامل (في البورصة) deregulation.

أمَّا المعنى الجديد الذي يُترجم بالعولمة فقد بدأ إدراجه في المعاجم بعد عام ١٩٩٤م، وعلى استحياء، بسبب غموض دلالته؛ إذ يقول ملحق معجم أكسفورد الكبير ١٩٩٩م إن globalization تعني تدعيم الروابط التجارية عن طريق إزالة الحواجز الجمركية وغيرها tariff and non-tariff barriers، نتيجة عقد اتفاقية الجات ١٩٩٤م وإنشاء منظَّمة التجارة العالمية (WTO)، ممَّا يستتبع معاملة جميع الدول باعتبارها دولًا أَولى بالرعاية most-favoured-nation (MFN)، ومعاملة الأجانب نفس المعاملة التي يلقاها أبناء البلد. وهكذا فالكلمة تعني الترابط التجاري العالمي (في هذا السياق)، ولكننا أضفينا عليها في العربية معاني لم تخطر ببال واضعيها فجعلناها تعني «الترابط العالمي» على إطلاقه، استنادًا إلى الكلمة الأمريكية الخاصة، التي لم تجد بعدُ طريقها إلى المعاجم البريطانية، وهي globalism؛ حيث تُفيد اللاحقة ism- معنى المذهب، ومعجم وبستر لعام ١٩٩٧م يُعرِّفها بأنها:

a policy or outlook … etc, that is worldwide in scope.

أي السياسة أو النظرة ذات النطاق العالمي.

وكان من نتيجة خلط الكلمتَين بمعنَيهما المتميزَين أن نشأت لدينا كلمة «العولمة»، التي تعني للكثيرين توحيد العالم أو «التوحُّد»، وهو قياسٌ فاسد؛ فالواو أصلية في «واحد» (أحد – وحد)، وزائدة في عولم؛ فالاشتقاق من علم يجعل الصيغة الصرفية هي «فوعل»، وهي غير موجودة في العربية، ولكن الاشتقاق هنا هو من عالم، والقياس هو على «قالب»، الكلمة التي اشتُقَّت منها «قولب، يقولب»، ومن ثم فقد قَبِلتها الأذن العربية وشاعت الكلمة وإن كان المعنى لا يزال غامضًا. فإن كانت العولمة صيغةً تُحاكي «الفوعلة» (على غرار القولبة)، كان معناها تحويل الشيء إلى عالم، وهذا غير مقصود قطعًا؛ لأنك إذا صرَّفت الكلمة قلت يُعَولم يتعَوْلم، وهي كلمات مشكوكٌ في دلالتها، فإذا قلت إن الاتفاقية تعولم التجارة؛ أي تجعلها عالمية، لم تُضِف شيئًا إلى ما هو قائم فعلًا؛ فتجارة العالم عالمية — تعريفًا — ولا معنى لأن تتعولم بسبب الاتفاقية، أمَّا إذا قلت إن الاتفاقية تهدف

إلى عولمة تجارة المبيدات الحشرية insecticides كنت تعني أن التجارة في هذه المبيدات ليست عالمية، بل مقصورة على مناطق بعينها دون سواها، وإذا قلت إن الكمبيوتر قد تعولم؛ أي أصبح شائعًا وذائعًا في كل مكانٍ بالعالم، فما أيسر أن تقول بدلًا من ذلك إن استعمال الكمبيوتر أصبح عالميًّا، ولكن ذلك كلَّه ليس من المعاني المضمرة في الكلمة الجديدة.

أمَّا المعنى الأساسي لدى قُرَّاء العربية فهو أن العالم قد اشتدَّ ترابطه بسبب ثورة الاتصالات والمعلومات communication and information revolution، فأصبح الناس في كل مكانٍ يُدركون ما يحدث في العالم، وقد نقول إنهم أصبحوا يتفاعلون معه إيجابيًّا أو سلبيًّا؛ أي positively or negatively؛ أي بالقَبول أو بالرفض. وقد يرى القارئ العربي في تعبير العولمة معنًى آخر، وهو بروز ثقافة عالمية world culture تفرضها إحدى الدول القوية على سائر دول العالم، مثلما تفرض الولايات المتحدة ضروبًا من ثقافتها على الدول الصغيرة التي تدور في فلكها the U. S. satellites، وأمَّا المعنى الآخر والأهم فهو وجود مظاهر عالمية universal aspects لحياة الإنسان المعاصر؛ أي مظاهر لا تقتصر على بلدٍ دون بلد، مثل التعصُّب والتزمُّت وضيق الأفق رغم كل ما يُقال عن عكس ذلك، والانحلال الخلقي السافر أو المستتر، وانتشار العنف violence الذي قد يتخذ صورة الإرهاب terrorism أو صورة البطش بالخصوم؛ أي cracking down on opponents أو القمع والكبت suppression repression، وإن كانت لذلك كله صورٌ متفاوتة، فقد ينفلت عيار شخص ما he may go berserk في أمريكا فينطلق في سَورة حنق طائشة he may go on the rampage فيطلق الرصاص على الأبرياء to shoot the innocent، وقد يجيش غضب جماعة فتقتل وتجرح من تراهم أعداءً لها to kill and woung their perceived enemies على نحو ما حدث في أرمينيا يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٩٩م. وقد يختطف الغاضب طائرة he may hijack a plane أو يحتجز الرهائن he may hold hostages، إلى آخر ذلك ممَّا أصبح لا يقتصر على بلدٍ دون بلد، ولا على ثقافةٍ دون ثقافة.

ويرى دعاة العالمية — وهي كلمة أقرب للفهم من العولمة — أن الإنسان قد تغيَّر نتيجة الثورة الصناعية والتقدُّم المادي وغلبة نظام الحياة المدنية؛ أي نظام الحياة في المدن بدلًا من الريف urban systems (as opposed to rural)، فأصبحت العلاقات بينه وبين أفراد المجتمع واهية، وبات يُعاني من العُزلة isolation، خصوصًا بعد أن حلَّت

وسائل الاتصال الجماهيرية mass communication media محل التواصل الشخصي as opposed to personal contact، ممَّا جرَّ عليه ألوانًا من الضيق والبرم إذا كبتها أدَّت إلى الاكتئاب depression، وإذا أفصح عنها أدَّت إلى النزق والطيش aberration, deviation, recklessness، فإذا كانت هذه ظواهرُ عالمية universal phenomena فقد ننتهي من ذلك إلى أن ثمة عوامل مشتركة تؤدِّي إليها، وقد يكون مرجعها آخر الأمر in the final analysis هو الحياة المادية التي تغيَّرت تغيُّرًا هائلًا في ربع القرن المنصرم.

وأمَّا مناهضي العالمية anti-globalists فهم يرَون أن ذلك كله مقصورٌ على ثقافة الغرب المادية، ولا يمكن تعميمه بمعنى تصوُّر انتشاره إلى الحد الذي يُبرِّر افتراض وجوده في كل مكان، وهكذا نرى أن كلمة global لا تزال تحمل في طَيَّاتها معنى الشمول، والكلمة أو الصفة universal لا تُشير إلى الكون كله، باعتبار أنها مشتقةٌ من كلمة universe (الاسم)، بل تشير إلى العالم الأرضي فقط، ومع ذلك فقد شهدنا من ترجم globalism بالكونية، ومن دافع عن هذا المفهوم باستماتة desperately، مع أن هذه الكلمة وتلك تشيران إلى العالم the world؛ أي إلى الدنيا، وهو معنًى يجتمع فيه مفهوم حياة الإنسان ابن الفناء في هذا الزمن مع مفهوم الأرض نفسها؛ ولذلك فنحن إذا شئنا المعنى الأول استخدمنا صيغة الصفة worldly (وأحيانًا ما يكون «الدنيوي» مقابلًا للمادي أو للدنس profane)، وإذا أردنا المعنى الثاني استخدمنا الاسم صفة world trade؛ أي تجارة العالم/تجارة الأرض كلها، وworld resources = موارد العالم/موارد الأرض، وقِس على ذلك ثروات العالم أو ثروات الأرض، ومستقبل العالم أو مستقبل الأرض! ونحن نستخدم النسبة «عالمي» و«عالمية» بدلًا من الإضافة، دون إيحاءٍ بالترابط والتجميع، على عكس كلمة universal، وينبغي أن نذكر أن كلمة الجامعة university تحمل هذا المعنى بوضوحٍ وجلاء.

(1) Most to be feared in the call for globalism is hegemony: for who should determine the norms to prevail? Who, unless they are possessed of adequate power, could make it prevail?

(١) إن أخشى ما نخشاه في الدعوة إلى وحدة العالم هو الهيمنة، إذ من ذا الذي سيحدِّد لنا المعايير التي ستسود؟ أو قل من ذا الذي يملك أن يحقِّق لها السيادة ما لم يتمتَّع بالسلطة اللازمة لفرضها؟

وتعبير «وحدة العالم» هو المقصود هنا لا العولمة، وهو ممَّا يؤكِّده المثال التالي:

(2) To call for globalization is to advocate uniformity, but uniformity has never been an ideal; amazingly the globalization proponents have only made us conscious of the need to maintain diversity.

(٢) إن دعوة العالمية معناها الدعوة إلى النمطية، وهي لم تكن من مُثلنا العليا في يومٍ من الأيام، والعجيب أن دعاة العالمية قد جعلونا نُدرك أهمية عكس ذلك، ألَا وهو الحفاظ على التنوُّع.

ولنا أن نقف وقفةً قصيرة عند كلمة «النمطية» هنا، وقد سبقت لنا مناقشة الكلمة في باب typical، ولكنها هنا تعني توحيد كل شيء بحيث تسود نفس الأنماط في حياة الإنسان، وكلمة uniform تعني موحَّد؛ ولذلك تُستخدم في وصف الزي الرسمي (لأنه موحِّد) لطائفةٍ من أرباب العمل الواحد، وهي تختلف عن المعايير العرفية أو الشخصية أو الاجتماعية norms، أو المعايير القياسية standards، أو المقاييس المعيارية parameters، في أن طابع التوحيد الراسخ فيها لا يسمح بالاختلاف، وأنها لا تشير إلى قيمٍ أو أرقام، بل إلى أشياءَ كما يتضح من الأمثلة التالية:

(3) By examining the current social norms, the scholar hoped to establish parameters for identifying individual variations based solely on psychological traits, primarily conceived in genetic terms: uniformity was precluded.

(٣) كان الباحث يرجو من فحص الأعراف السائدة في المجتمع أن يتوصَّل إلى مقاييسَ معيارية لتحديد وجوه الخروج عنها بين الأفراد، على أساسٍ أوحد وهو الصفات النفسية، والتي كان يحدِّدها أساسًا على ضوء الصفات الوراثية، ولم يكن من ثم أي مجال للنمطية.

إن norms التي تُرجمت بما يوازي conventions هنا لا تزيد عن كونها طرائق التفكير والإحساس والسلوك المتعارف عليها في مجتمعٍ ما، ومن ثم فهي معايير اجتماعية للأعراف، أو هي ما تعارف عليه المجتمع من معايير؛ ولذلك فليس من الشطط مساواتها بالأعراف، وأمَّا المقاييس المعيارية فهي القيم الحسابية أو غيرها التي يقاس بها مدى الالتزام بالأعراف أو الخروج عنها، ومن ثم فلا يوجد مجال للنمطية؛ أي اشتراك أفراد المجتمع كلهم في نمطٍ واحد.

(4) The elimination of certain factors from the sample group, such as sex, age and education, secured a minimum of variation in their response to the proposal; their standard reaction was rejection, but the reasons given were far from uniform.

(٤) أدَّى استبعاد بعض العوامل من العينة (التي أُجريت عليها التجرِبة) بمعنى اختيار مجموعة تشترك في الجنس والعمر والتعليم، إلى ضمان تقليل الاختلافات الفردية إلى أدنى حدٍّ ممكن فيما يتعلَّق باستجابتهم للاقتراح المطروح؛ إذ اتفق الجميع على رفضه، وإن تفاوتت الأسباب التي أبدَوها تفاوتًا كبيرًا.

معنى الاستبعاد هو توحيد هذه العوامل بحيث تتيح للباحث استبعاد تأثيرها في نتيجة التجرِبة، والكلمة الحالية هي الكلمة العلمية وهي تقابل في الإنجليزية الشائعة كلمة exclusion، وكلمة العيِّنة لا خلاف عليها، وهي تُستخدم هنا صفةً للمجموعة، وإن كانت الترجمة تفصل بينهما وصولًا إلى الوضوح، وسوف يلاحظ القارئ إضافة بعض الكلمات وصولًا إلى الوضوح، وأن كلمة reaction (رد فعل) التي توازي استجابة response قد حُذفت، وأن معنى standard يختلف عن معنى uniform.

ولا بد من التعرُّض لكلمتَي «إيجابي» و«سلبي» اللتَين تُحيِّران المترجم العربي في كل موقع. ومصدر الخلط هو كلمة respond إلى جانب الفرق بين كلمة negative وكلمة passive، وكل منهما يُترجم بكلمة سلبي. أمَّا كلمة respond فقد تعني: (١) يستجيب أو (٢) يُجيب، ومعنى هذا أن الاستجابة تفيد القَبول، وأن الإجابة تكون بالقَبول أو بالرفض، ويتضح ذلك من الأمثلة التالية:

(5) The patient is responding to the treatment.

(٥) المريض يستجيب للعلاج.

(6) My appeal to her pity met with no response.

(٦) حاولت أن أستثير شفقتها، ولكنها لم تستجب للمحاولة.

(7) Having waited in vain for a positive response to his application for the last three months, he now gave up all hope.

(٧) ظل ينتظر عبثًا أن يأتيه ردٌّ إيجابي على الطلب الذي قدَّمه منذ ثلاثة أشهر، ثم فقد الأمل تمامًا.

(8) In response to your inquiry, we would like to inform you that the case has been closed.

(٨) ردًّا على استفساركم، نفيدكم بأن القضية قد حُفظت.

أمَّا كلمة سلبي فقد تعني عكس الإيجاب أي النفي، وتقابلها بالإنجليزية كلمة negative، بل إن الأمريكيين يستخدمون هذه الكلمة حاليًّا بدلًا من «لا»؛ أي no في الحوار، وقد تكون عكس المشاركة الإيجابية أي بالفعل، وفيما يلي الأمثلة التي تُوضِّح ذلك:

(9) The situation required him to take part in the discussion, but he was as passeive as ever and would not lift a finger.

(٩) كان الموقف يتطلَّب منه المشاركة في النقاش، ولكنه ظلَّ على سلبيته المعهودة فلم يحرِّك ساكنًا.

(10) A passive attitude will never do: you will have to go and speak to the manager.

(١٠) لن ينجح اتخاذ موقف سلبي أبدًا، بل عليك أن تذهب إلى المدير وتتحدَّث معه (في هذا الشأن).

(11) The company's offer was fair, even generous, but the response received was negative.

(١١) كان العرض الذي قدَّمته الشركة منصفًا بل وسخيًّا، ولكن الرد الذي تلقَّته كان سلبيًّا (ولكنها تلقَّت ردًّا بالرفض).

(12) While growth figures for the first quarter were encouraging, implying an upward trend, the figures for the second were unexpectedly negative; something ought to be done soon, the minister said, to avoid any further slump in economic activity.

(١٢) كانت معدَّلات النمو في الربع الأول من العام تبعث على التفاؤل؛ إذ كانت تُشير ضمنًا إلى استمرار الزيادة، ولكن الأرقام المسجَّلة في الربع الثاني كانت سلبيةً على غير المتوقَّع، وقال الوزير إن علينا أن نتخذ إجراءً ما حتى نتحاشى استمرار الهبوط في النشاط الاقتصادي.

ومعنى الأرقام السلبية هنا أنها كانت بالناقص؛ أي إن الانكماش حلَّ محل النمو، فإذا كان الرقم الموجب لمعدَّل النمو هو واحد في المائة، فإن الرقم السالب هو ناقص واحد، وهذا الأسلوب شائعٌ في التقارير الاقتصادية.

ويجب أن نتوقَّف في ختام هذا الباب عند كلمة situation التي تُرجمت بالموقف، وكلمة attitude التي تُرجمت بالموقف أيضًا! والأمم المتحدة تُترجم كلمة situation دائمًا بالحالة أو الحال، كأنما لتحتفظ للكلمة الأخرى بلفظ الموقف، ولكن السياق قد يقتضي ترجمتها بالوضع أو بالأوضاع أو حتى الموقف دون أن يختلط الأمر على القارئ. وكلمة الحال قد تقابلها كلمة condition بالمفرد أو الجمع، أو state أو status، ولا داعي للإفاضة في ذلك فالأمر واضحٌ جلي. وسوف يلاحظ القارئ أنني ترجمت encouraging بتعبير «يبعث على التفاؤل» وهو المعنى المقصود، وعلى المترجم إذن أن يُحرِّر ذهنه من كلمة التشجيع التي ارتبطت بهذه الكلمة، بل ومن الكلمة المضادة وهي discouraging التي تُترجم دائمًا بتعبير «المثبطة»، ومن الكلمات المرادفة تقريبًا وهي heartening وعكسها disheartening فليس في المسألة تشجيع، خصوصًا في بعض السياقات.

(13) It was disheartening to hear of the planned devaluation of the national currency, at a time when only another reduction in bank rates could have averted stagnation.

(١٣) اعترانا الأسى عندما سمعنا اعتزام الحكومة تخفيض سعر صرف العملة المحلية، في وقتٍ لا يمكن تحاشي الركود الاقتصادي فيه إلا بزيادة تخفيض سعر الفائدة على القروض المصرفية.

(14) In view of the recent changes in world markets, especially the upward adjustment in oil prices, it is recommended that more petrochemical industries be established in the Arab region, and Arab states are encouraged to seek new outlets for their products, preferably in the vibrant Asian economies.

(١٤) نوصي بإنشاء المزيد من الصناعات البتروكيميائية في المنطقة العربية، نظرًا للتغيُّرات التي شهدتها الأسواق العالمية في الآونة الأخيرة، وخصوصًا ارتفاع أسعار البترول، وحبذا لو سعت البلدان العربية إلى فتح منافذ بيع جديدة لمنتجاتها، ومن الأفضل أن يكون ذلك في البلدان الآسيوية التي انتعش اقتصادها.

ويمكن لَمن لا يحبُّ كلمة «حبذا» أن يقول ومن «المستحسن» أو من «المستحب»، أو أن يستخدم التعبير الفصيح «وليت البلدان العربية تسعى …» أمَّا التشجيع وخصوصًا الفعل المبني للمجهول «تُشجَّع» فهو أبعد ما يكون عن المعنى؛ فالكاتب لا يشجِّع بل

يحث، وهو حث أقرب إلى التوصية التي أوردها في صدر العبارة، والمعنى المضمر فيه هو ما أثبتناه هنا.

ونلاحظ أخيرًا تعبير upward adjustment ويقابله تعبير downward adjustment، كأنما كان رفع السعر أو تخفيضه بمثابة تعديل يقوم على الانصاف ولا يتضمَّن جورًا أو حيفًا، وهي من العبارات المستحدثة التي كثيرًا ما يخطئ فيها المبتدئ ولا تستعصي على الخبير، وهكذا فنحن نُطلق على برامج الإصلاح الاقتصادي تعبيرًا جميلًا هو التكليف الهيكلي! انظر إلى الأمثلة التالية:

(15) When we refers to economies in transition we usually have in mind those states which have initiated structural adjustments but have not as yet attained market economy status.

(١٥) عندما نشير إلى الدول التي يمر اقتصادها بالمرحلة الانتقالية، فنحن عادةً ما نعني الدول التي بدأت في تنفيذ برامج التكيف الهيكلي، ولكنها لم تصل بعدُ إلى مرحلة اقتصاد السوق.

قبل الحديث عن التكيُّف لا بد أن نقف عند كلمة status التي عادة ما تعني المنزلة أو المكانة، مثل: to enhance the status of women؛ أي الارتقاء بمكانة المرأة أو منزلتها، ولا يترجمها أحدٌ بتعبير وضع المرأة خوفًا من المعنى المضمر في الوضع أي الولادة giving birth/delivery (والأمم المتحدة تترجمها بتعبير «مركز المرأة» ممَّا يؤدِّي إلى الخلط مع center)، وقد ترجمناها هنا بمرحلة وهو خروج واضح عن معنى الكلمة المفردة، ولكنه إيضاح للمعنى المقصود، وإذا حاولت وضع كلمة «حالة» مثلًا أو أي من الكلمات الشائعة في ترجمتها فلن تكون الترجمة واضحةً بالصورة المطلوبة، بل قد نستطيع حذفها تمامًا (... لم تصل بعدُ إلى اقتصاد السوق)؛ فكلمة «حالة» بطبيعتها من كلمات الحشو التي تكثر في الإنجليزية ولا لزوم لها عند الترجمة.

(16) In his condition of abject poverty, he must desist from squandering money.

(١٦) من كان مثله في هذا الفقر المدقع لا بد أن يكفَّ عن إهدار المال.

أمَّا إذا وردت الكلمة في عنوان فلا بد من ترجمتها، وإن كانت الكلمة المختارة تقبل المناقشة.

(17) The report entitled “status of Implementation” examines the current obstacles, the difficulties encountered and the possible ways and means of completing the project.

(١٧) يفحص التقرير، وعنوانه «حالة التنفيذ»، العراقيل القائمة، والصعوبات التي واجهت المشروع، وجميع السبل والوسائل الممكنة للانتهاء من تنفيذه (لاستكماله).

ومعنى «حالة» هنا «المرحلة التي وصل إليها العمل»، وقد شاعت كلمة status في هذا السياق بدلًا من state، وكلاهما صحيح ومُستخدم، ولكننا نعرف أن المقصود ليس المكانة ولا المنزلة.

أمَّا «التكيُّف» فكلمةٌ مبتدعة للإيحاء بأن الاقتصاد لا يحتاج إلى التعديل؛ حتى يصبح ملائمًا للتطوُّر العالمي، والكلمة لا تعني أكثر من الإصلاح، سواء في السياقات العامة أو المتخصِّصة، فإذا قال لك قائلٌ adjust your set كان يعني أن الجهاز يحتاج إلى ضبط، والضبط إصلاح، وإذا قال لك: adjust your watch كان يعني «اضبط ساعتك!» أي صحِّح ما تشير إليه من وقت، والتصحيح إصلاح، والتكييف غير واردٍ هنا! وإذا وجدت أن الحُلة التي اشتريتها جاهزة ready-made لا تلائمك وتحتاج إلى adjustment، كان المعنى هو أنها تحتاج إلى إصلاحٍ لا إلى تكييف! ولذلك يلجأ بعض كبار المترجمين إلى موازاة تعبير التكييف الهيكلي بتعبير «الإصلاح الاقتصادي» (economic reform)، فإذا تساءلت وما بال كلمة هيكل structure وهي التي تُترجم في مجالاتٍ أخرى بالبناء، كانت الإجابة هي أن كلمة البناء تكاد تنصرف دائمًا إلى الأبنية المادية والمنشآت والتشييد، بحيث تختلط structure مع الكلمة الخاصة construction؛ ولذلك استقرَّ الرأي على تخصيص كلمة الهيكل بالمعنى الحديث لا بأي من المعاني القديمة، والصفة هيكلي بمعنى بنائي أو تركيبي، والمقصود كما هو معروف «تركيب» القطاعات الاقتصادية، أو توزيعها بين القطاع العام والقطاع الخاص public and private sectors؛ أي بين الدولة والأفراد، ومعنى التكيُّف الهيكلي في الواقع إذن هو الاتجاه إلى ملكية الأفراد وإدارتهم للأنشطة الاقتصادية؛ أي التحوُّل إلى القطاع الخاص أو ما أصبح يسمَّى اصطلاحًا بالخصخصة privatization.

وكلمة الخصخصة جديرة بوقفةٍ قصيرة. إنها مشتقةٌ بالتضعيف من خصَّ (خ ص ص)، والتضعيف الذي نعنيه هو تكرار فاء الكلمة؛ أي إدراجها مرةً ثانية قبل لامها فيكون الوزن هو (فعفل)، وهو وزنٌ صحيح وشائعٌ إلى درجةٍ قد لا يدركها معارضو الكلمة؛ فنحن نقول زلزل من زلَّ، وزعزع من زعَّ، ودغدغ من دغَّ، ورعرع من

رعَّ، وفضفض من فضَّ، والعامية تتوسَّع في هذا الوزن توسُّعًا مذهلًا، فنقول مصمص من مصَّ، وشمشم من شمَّ، وفتفت من فتَّ، وهلمَّ جرًّا. أمَّا الاشتقاق المغربي من خاص بتحويل الألف إلى واو فهو غير مألوف، بمعنى أنه غير وارد في تصاريف العربية؛ فهم يقولون خوصصة، وإذا قبلنا هذا الوزن فلا بد أن نقبل وزنًا مماثلًا من عام هو «العوممة»، كما قلنا العولمة، بدلًا من التعميم أو ما شابه ذلك! وتعبير التكيُّف الهيكلي إذن مصطلح يتوسَّل بالكناية لنقل المعنى المشار إليه، وقد سمعنا من يترجمها بالمواءمة الهيكلية.

(18) Current structural adjustment efforts are being undermind in certain emergent economies by those transnational corporations which seek nothing beyond material profit, and often resort to dumping.

(١٨) تتعرَّض الجهود المبذولة حاليًّا لتحقيق المواءمة الهيكلية للتخريب في بعض الدول ذات الاقتصاد الناهض، وذلك من جانب الشركات عبر الوطنية التي لا تسعى إلا لتحقيق الربح المادي، وكثيرًا ما تلجأ إلى الإغراق.

أمَّا الشركات عبر الوطنية فالمقصود بها الشركات المتعدِّدة الجنسيات، وهي multinational corporations، وأمَّا الإغراق فلا يعني إغراق السوق بالسلع كما يظن البعض، ولكنه يعني بيع السلع بسعر التكلفة أو حتى بالخسارة؛ ابتغاء ضمان مكان في الأسواق لهذه الشركات. والكلمة في ذاتها لا تحمل أي دلالة من دلالة الإغراق العربية، بل يعني «يلقي في الزبالة»، ويقابلها في العامية المصرية تعبير «يحرق» و«الحرق»!

وقد بدأ شيوع تعبير الهيكلة structuring وإعادة الهيكلة restructuring بعد شيوع الكلمة الروسية التي أشاعها جورباتشوف Gorbachev، وهي بيريسترويكا Perestroika التي تعني حرفيًّا إعادة البناء أو التنظيم (انظر كلمة reconstruction فيما سبق)، من الفعل الروسي perestroik الذي يفيد هذا المعنى لا غيره، وكان يمكن استخدام تعبير «الإصلاح» مثلًا أو «التعمير» أو حتى «إعادة البناء»، لولا أن المترجمين (من المتخصِّصين وغير المتخصِّصين) كانوا يريدون الإيحاء بما يُفيد تغيير أُسس البناء ونظمه لا البناء نفسه، وهو المعنى القائم ولا شك في الكلمة الروسية، فافترضوا وجود فعل في العربية هو هيْكلَ يُهيكِل؛ أي وضع هيكلًا أو خطة معمار خاصة، واشتقوا منه المصدر وهو الهيكلة، وأضافوا إليها «إعادة»، فأصبح التعبير يفيد وضع رسم جديد a new layout/plan للاقتصاد، لا إعادة بنائه على الرسم القديم، بحيث يكون الرسم

الجديد موائمًا compatible للتغيُّرات التي شهدها العالم؛ أي قادرًا على التجاوب معها؛ أي التكيُّف معها، وهذا سر ذيوع المصطلح.

(19) No cosmetic measures could do, Gorbachev said, for perestroika involves a reformulation of the economic philosophy of the Soviet Union, and the recent decision to open up the economy seeks to eliminate the root causes of our wounds rather than heal them.

(١٩) قال جورباتشوف إن معالجة الاقتصاد بجراحات التجميل لا يمكن أن تنجح؛ إذ إن إعادة الهيكلة تعني إعادة رسم (تشكيل) الفلسفة الاقتصادية للاتحاد السوفييتي، وأمَّا الهدف من القرار الذي صدر مؤخَّرًا والذي يقضي بالانفتاح الاقتصادي، فهو استئصال الأسباب الأولى التي تسبَّبت في هذه الجراح لا تضميدها.

ونلاحظ هنا أن الاسم root يُستخدم هنا صفةً لا تعني «الجذري» (radical)، بل تعني «العميق» أو «الأصلي»، وهو ما تُرجم «بالأَولى»، ونلاحظ أيضًا أن كلمة التدابير measures لم تظهر في الترجمة العربية بحروفها بل ظهرت بمعانيها، و«التدبير» كلمة عربية فُصحى توازي ما نعنيه هذه الأيام بكلمة management والفعل manage (وفي تونس يُترجمون الكلمة الإنجليزية بهذه الكلمة العربية)، ونحن نُترجمها في مصر بالإدارة؛ ممَّا أدَّى إلى اختلاط معناها مع administration فهي تعني الإدارة أيضًا، أمَّا الفرق فلا تُوضِّحه المعاجم الخاصة، بل تُوضِّحه المعاجم المتخصِّصة القائمة على استعمال كلٍّ منهما في السياقات الحية؛ فالأخيرة يكاد أن يقتصر معناها على الإدارة العامة، سواء في السياسة أو في الحكومة أو في التجارة، بل إنها أحيانًا ما تعني الحكومة نفسها مثل the U. S. Administration؛ فنحن نُترجمها إمَّا بالإدارة الأمريكية أو بالحكومة الأمريكية، وينطوي معناها على فكرة المذهب أو الفلسفة الخاصة بالتنظيم؛ فهي أقرب إلى المعنى المجرَّد، بل إننا حتى حين نستخدمها في الإشارة إلى هيئةٍ محدَّدة لا يغيب المعنى المجرَّد عن ذهننا.

(20) She has moved up the social ladder, no doubt partly because of her methodical approach and organizing capacity – though her present work in administration has deprived us of a creative announcer- producer.

(٢٠) لقد ارتقت في مدارج المجتمع، ولا شك أن ذلك يرجع إلى حدٍّ ما إلى تفكيرها المنهجي وطاقتها على التنظيم — ولو أن عملها حاليًّا في الإدارة قد حرمنا من مذيعةٍ ومخرجة مبدعة.

فالجهاز الإداري الذي تعمل فيه يتطلَّب كما هو واضح منهجًا علميًّا وقدرةً على التنظيم، ونلاحظ أن producer في الإذاعة تعني «المخرج»، في حين أن المخرج في المسرح هو director (ويقتصر معنى producer على «المنتج» في المسرح والسينما)، ونلاحظ أيضًا أن partly تعني «إلى حدٍّ ما» لا كما يُترجمها المبتدئون «جزئيًّا»، ولا بد من النصِّ هنا على الفرق بين partly وpartially، وهما الكلمتان اللتان يختلط معناهما حتى على أبناء الإنجليزية، فإذا كانت الأولى تعني «في جانبٍ من جوانب الموضوع»؛ فالثانية نسبةً إلى partial التي تعني «المنحاز إلى»، وعكسها impartial أي غير المنحاز أو الموضوعي objective، وpartiality تعني الانحياز أو المحاباة أو التفضيل، أمَّا مصدر الخلط فهو أن هذه الكلمة قد تعني (في حالة الصفة) نفس معنى الكلمة الأخرى؛ ولذلك فلا بد من تفصيل القول بالأمثلة:

(21) The army achieved a partial success by crossing the water barrier in the opposite direction, but it was a pyrrhic victory that caused too many casualities and immobilized their forces.

(٢١) حقَّق الجيش نجاحًا محدودًا بعبور الحاجز المائي في الاتجاه المضاد، ولكنه كان نصرًا أجوف؛ إذ تسبَّب في سقوط عددٍ لا يُحتمل من الضحايا (من القتلى والجرحى)، وأدَّى إلى شلل القوات.

وهذه هي المعاني الأخرى:

(22) Human nature is human nature, and there are examiners who are partial towards pretty women students.

(٢٢) لا بد أن نأخذ الطبيعة البشرية في حُسباننا؛ فبعض الممتحنين يُحابون الطالبات الجميلات.

(23) “I am no doubt partial to French cuisine”, said, “but you can’t beat fish and chips after a pint of bitter”.

(٢٣) قال: «إنني مغرمٌ ولا شك بالمأكولات (طرق الطهي) الفرنسية، ولكنني إذا شربت قدحًا من البيرة الإنجليزية، فلن أجد ألذ وأشهى من السمك والبطاطس.»

ونُلاحظ عَرَضًا أن كلمة pint التي تنطق «باينت» هي مكيال إنجليزي أكبر قليلًا من نصف اللتر، وهي المكيال الذي يُستخدم في أقداح الجعة الإنجليزية. كما نُلاحظ تعبير you can’t beat، وهو اصطلاحٌ عامي يعني «لا يعلو عليه شيء»، والترجمة هنا تُقدِّم معناه وحسب.

ولكن الاسم partiality لا يعني إلا التحيُّز أو التفضيل، وقد يُستخدم باعتباره صفحةً مجرَّدة لا تُجمع، فيقابل bias؛ أي الانحياز أو التحيُّز أو باعتباره صفةً تُجمع ويتلوها حرف الجر for بمعنى التفضيل؛ ولذلك فالأفضل لمن يترجِم إلى الإنجليزية أن يُحدِّد لنفسه المعنى الذي يريده حتى لا يقع في مثل هذا الخلط. ونقول عرَضًا إن التعبير الذي شاع في لغة السياسة عن عدم الانحياز non-alignment، يعني أصلًا عدم الوقوف إلى جانب أو في صف معسكر دون معسكر؛ فالفعل align يعني «يصُفُّ» أو «يصطف»، ومن هنا جاء معنى الانحياز.

وأمَّا كلمة management فتختلف في طابعها التنفيذي؛ أي إن الكلمة هنا أقرب إلى الإدارة التنفيذية، وكلمة manager تقابل، كما قلنا، «المدبِّر» بالباء الموحَّدة؛ فهو المدير الذي يتولَّى تنفيذ قرارات وسياسات مجلس الإدارة Board of Directors، وهو في الشركات عادةً من أعضاء ذلك المجلس الذي يتكوَّن من أصحاب رءوس الأموال المستثمرة فيها؛ ولذلك فأحيانًا ما يُسمَّى في مصر «عضو مجلس الإدارة المنتدب»؛ أي المنتدب لإدارة العمل، على المستوى التنفيذي، للشركة، وسرعان ما أدَّى هذا المعنى إلى توليد كلمة جديدة؛ أي تحويلها من صفةٍ إلى اسم، وهي executive أي التنفيذي، وكان أصلها executive director (مدير تنفيذي = manager)، ثم أصبحت تعني من يعمل بالإدارة التنفيذية، ثم أصبحت تعني أحد المديرين التنفيذيين، ومن ثم أصبحت تعني المدير فحسب! وتعبير at the executive level معناه اليوم «على مستوى الإدارة (التنفيذية)» أو «على المستوى الإداري» فحسب! ودخلت اللغةَ الإنجليزية كلماتٌ كثيرة من هذا الباب مثل «سكرتيرة المدير» an executive secretary، ومثل executive life-style؛ أي أسلوب حياة المديرين (التنفيذيين)، وأصبحنا نرى في مقدمة بعض التقارير أو الدراسات المرفوعة إلى مجالس الإدارة مُلخَّصًا مُوجَّهًا إلى المديرين التنفيذيين يُسمَّى executive summary، وهو «مُلخَّص» لأن المدير التنفيذي لا يتمتَّع بالوقت المتاح لراسمي السياسات أو واضعيها policy-maker (في قراءة البحوث وتحليلها)؛ فهو منكبٌّ على التنفيذ، ويريد «ما قل ودل»؛ أي فحوى الدراسة — the substance of من توصياتٍ وقرارات حتى يعمل على تنفيذها — ولذلك فهو مُلخَّص للمديرين وليس مُلخَّصًا تنفيذيًّا، وإن كان المعنى الأخير مُضمرًا في الأول! ولنضرب مثالًا لذلك:

(24) As Executive Secretary of the commission, he had power to overturn any decision taken by his manager or to intitiate any desperate mea-

sures in a given emergency, provided they tallied with the policies laid down by the Secretary General whom he represented.

(٢٤) باعتباره الأمين التنفيذي للجنة، كان من سلطته إلغاء أي قرارٍ يتخذه المديرون التابعون له، أو اتخاذ أي تدابيرَ استثنائية في حالةٍ من حالات الطوارئ، بشرط أن تكون متسقةً مع السياسات العامة التي وضعها الأمين العام؛ فهو بمثابة ممثِّلٍ للأمين العام.

فالأمين التنفيذي هنا هو المدير التنفيذي الأول the chief executive، وهو يرأس مديرين تنفيذيين managers لكثيرٍ من الأقسام والفروع والشعب، وهو يستطيع إلغاء التدابير أي الخطوات التنفيذية فقط؛ أي العملية، لا السياسات العامة، ونحن نُترجم كلمة policy المفردة بالسياسات (الجمع) تمييزًا لها عن السياسة politics الخاصة بنظام الحكم وتدابيره، أمَّا كلمة desperate التي تُرجمت هنا بكلمة استثنائي فهي تعني في الحقيقة كل ما تقتضيه الضرورة القصوى؛ أي كل ما يلجأ إليه الإنسان في حالة انسداد جميع الطرق المعتادة في وجهه، وهي لا توازي اليأس مطلقًا، والمعروف أننا نُترجم الصفة desperate(ly) بالاستماتة، فتقول:

(25) They desperately defended the city, using all means available, legitimate or otherwise, and finally repulsed the onslaught.

(٢٥) استماتوا في الدفاع عن المدينة، وتوسَّلوا في ذلك بجميع الوسائل المتاحة، المشروعة منها وغير المشروعة، حتى تمكَّنوا في النهاية من صد العدوان.

(26) She was desperate, for the failure of her defence would have meant the chair and her counsel advised invoking a rarely-used section of the 19th Amendment in questioning the competence of the court: She was denied the vote, which constituted a violation of the section and the relevant clauses, and the appointment of the court was, as far as she was concerned, unconstitutional.

(٢٦) استحكمت الضائقة التي انتهت إليها القضية؛ إذ إن فشل دفاعها كان معناه إعدامها (بالكرسي الكهربائي)، فاقترح محاميها الاستناد إلى نصٍّ يندر الاستناد إليه من نصوص التعديل التاسع عشر للدستور الأمريكي في الدفع بعدم اختصاص المحكمة بنظر القضية، فقال إنها حُرمت من حق التصويت، ممَّا يُمثِّل خرقًا لذلك النص وما يتصل به من نصوص، ومن ثم فإن تشكيل المحكمة يُعتبر غير دستوري في حالتها.

وإذن فإن معنى desperate هنا يختلف عن desperation أي اليأس، ويتبيَّن هذا بوضوحٍ من المثال التالي:

desperate times call for desperate measures.

أي إنه إذا استحكمت الأزمة فلك أن تتخذ خطواتٍ انتحارية! أو إنه إذا سُدت جميع المنافذ والسبل، فقد يلجأ المرء إلى ما قد يُهلكه طلبًا للنجاة! والكلمة تحمل ظلًّا من ظلال معنى الاستحالة، وهو من ظلال اليأس دون أن يكون يأسًا.

(27) Desperate for revenge, the group stormed the building and mowed down the council members.

(٢٧) نفد صبر المجموعة انتظارًا للحظة الثأر، فاقتحمت المبنى وحصدت أرواح أعضاء المجلس!

(28) He was desperate to talk to any official, and, so soon as the minister emerged from the car he rushed towards him, only to be shot and killed.

(٢٨) فاض به الكيل بعد عجزه عن محادثة أي مسئول حكومي، وهكذا فما إن شاهد الوزير يخرج من سيارته حتى اندفع نحوه، فأطلق الحُراس النار عليه وأردَوه قتيلًا.

ولنا أن نتوقَّف عند كلمة relevant الواردة في المثال (٢٦)، والتي ترجمناها بتعبير «ما يتصل به من نصوص»، والأمم المتحدة تفضِّل ترجمة العبارة بالتعبير التالي «النصوص ذات الصلة»، بل لقد أصبحت هذه العبارة من سمات أسلوب مترجمي الأمم المتحدة، وقد يكون الدافع عليها هو الاقتصاد في الألفاظ، وهو ليس من المُثُل العليا للغة العربية المعاصرة، على عكس إيجاز اللغة التراثية، وانظر بعض الأمثلة على ذلك:

(26) Most of your digressions are relevant and should be included in the body of the report: only comments by the local press should be kept in the footnotes.

(٢٩) معظم استطراداتك ترتبط بالموضوع وينبغي إدماجها في متن التقرير، ويجب أن تقتصر الهوامش على التعليقات الواردة في الصحف المحلية.

والعكس هو «لا علاقة له بالموضوع» أو irrelevant.

(30) The comments he made were irrelevant and certain words and phrases had to be expunged.

(٣٠) كانت التعليقات التي أبداها لا تتعلَّق بالموضوع، كما كان لا بد من حذف بعض الكلمات والعبارات.

(31) It is irrelevant whether you approve or not: the report has been accepted as agenuine expression of the will of the assembly.

(٣١) إن موافقتك على التقرير أو رفضه أمرٌ لا أهمية له؛ إذ اتفق أعضاء المجلس على أن التقرير يُعبِّر تعبيرًا صادقًا عن إرادتهم.

ولاحِظ أن فكرة الأهمية أو عدم الأهمية أصيلة في الكلمة، كما يتضح من المثال التالي:

(32) The organization has to show, and prove, its relevance to today's world: every man and woman must realize that the defence of human rights is not a luxury.

(٣٢) يجب على المنظمة أن تُبيِّن بل وتُثبت أهميتها لعالم اليوم؛ إذ ينبغي أن يدرك الجميع رجالًا ونساءً أن الدفاع عن حقوق الإنسان ليس من قبيل الترف.

الملحق الثاني:
كلماتٌ متخصِّصة خلافية

ونبدأ بكلمة خلافية controversial التي تعني أنها مَثار خلاف في الترجمة لا في المعنى، ثم بكلمة literature التي لا خلاف على دلالتها عند المتخصِّصين؛ فلها معنيان الأول هو كل ما يُكتب، والثاني هو الأدب بمعناه الحديث وأنواعه المعروفة genres، من شعرٍ ونثر ورواية وقصة قصيرة ودراما. أمَّا المعنى الأول فقد أصبح مُتخصِّصًا بسبب شيوعه في الأبحاث العلمية، بمعنى ما كُتب في الموضوع من دراساتٍ وبحوث؛ ولذلك فقد يُذيِّل الباحث بحثه بقائمةٍ بهذه الدراسات تحت عنوان literature، ونحن نُترجمها في الجامعة بتعبير الدراسات السابقة. وأمَّا مصدر الخلاف فهو مَيل بعض غير المتخصِّصين الذين اختلط عليهم المعنيان إلى إطلاق كلمة «أدبيات» على هذه الدراسات العلمية، وهذا مثالٌ على ذلك:

(1) The use of nitrogen compounds in enhancing soil fertility has been adequately handled by the scientists and can hardly constitute an original contribution; you should have consulted the literature before proposing this topic.

(١) إن استعمال مُركَّبات النيتروجين لزيادة خصب (خصوبة) التربة، من الموضوعات التي درسها العلماء فأوفَوها حقَّها، ولا يمكن اعتباره إضافةً أصيلة (إلى المعرفة الإنسانية)، وكان ينبغي عليك الرجوع إلى الدراسات السابقة قبل اقتراح (دراسة) هذا الموضوع.

لاحِظ ترجمة adequately وترجمة consulted، والأخيرة شائعة بمعنى الاطلاع على المراجع و«الاستئناس بآراء» السابقين «لا استشارة الكتب!»

(2) There is nothing in the literature to support your view that “social” may be equated with “societal”: in fact a recent study has shown them to be vastly different.

(٢) لا يوجد في الدراسات السابقة ما يؤيِّد ما تذهب إليه من أن كلمة «اجتماعي» تُوازي كلمة «مجتمعي»، بل لقد بيَّنَت إحدى الدراسات الحديثة وجود اختلافات شاسعة بينهما.

ويمكن تعديد الأمثلة المستقاة من شتَّى المباحث العلمية disciplines، التي لا تترك أي مجال للظن بأن فكرة الأدب قائمة في هذه الدراسات. ولننظر إلى الكلمة التي أضفناها بين أقواسٍ وهي المعرفة knowledge. إنها ليست خلافيةً في هذا السياق، ولكن الخلاف يبدأ عندما يختلط معناها بكلمة cognition؛ أي عملية اكتساب المعرفة، وكلمة epistemology؛ أي نظرية المعرفة وهي مبحثٌ فلسفي راسخ؛ ولذلك ذهب المتخصِّصون إلى قَصر استخدام المعرفة على cognition، والصفة منها cognitive معرفي، والاحتفاظ بنظرية المعرفة للكلمة الأخيرة، ثم ترجمة knowledge بالمعارف تمييزًا لها عن أيٍّ منهما.

(3) The theatre is often regarded as a cognitive activity not because it adds to human knowledge but because it represents a different approach to learning about man.

(٣) كثيرًا ما يُعتبر المسرح نشاطًا معرفيًّا، ليس لأنه يزيد من معارف الإنسان؛ بل لأنه يمثِّل منهجًا مختلفًا لمعرفة الإنسان.

ونأتي إلى كلمة approach التي أصبحت خلافيةً بسبب مَيل بعض المتخصِّصين إلى ترجمة الكلمة ترجمةً حرفية، قائلين إنها تعني «المقاربة»، وهي كلمة تُفيد في العربية الاقتراب بحذر، ولهؤلاء العذر في تقديم المعنى الحرفي، فهو المعنى الأصلي للكلمة، ولكن استخدامها في البحث العلمي هو في الحقيقة اختصار لتعبير method of approach الذي يعني منهج التناول أو منهج المعالجة، وكلمة method بمعنى منهج لا خلاف عليها، ولكن approach تعني أيضًا path/way في جميع المعاجم؛ أي الطريق أو النهج الذي يُؤدِّي إلى غاية، ولا بأس إذن من اعتبارها موازيةً للمنهج، إمَّا بصفة اقترانها بكلمة method أو وحدها.

(4) Your approach is all wrong: you begin with conclusions instead of ending with them, though some may seem self-evident or even axiomatic.

(٤) إن المدخل الذي اتبعته خاطئ؛ فأنت تبدأ بالنتائج بدلًا من الانتهاء إليها، وإن كان بعضها، فيما يبدو، لا يحتاج إلى إثباتٍ أو قُل من البديهيات.

«المدخل» لا شك أقرب إلى معنى approach في ذاتها، ولكن المدخل هو السبيل الذي يسلكه الداخل إلى البحث؛ ولذلك فهو منهجٌ أيضًا، وما دام لدينا عدة سُبل لولوج مبحث من المباحث العلمية، أو عدة طرائق؛ أي many possible approaches، فلا ضير علينا إذا نحن ترجمنا هذه الكلمة بالمدخل أو بالسبيل أو بالمنهج، وترجمنا method of approach إمَّا بمنهج التناول/المعالجة، أو أسلوب التناول/المعالجة. ولاحظ أننا نُترجم الكلمة بكلمةٍ عربية أخرى حين تقع في سياقٍ مختلف.

(5) If all else fails, you should approach the minister himself: he is surely sympathetic towards the project.

(٥) عليك إذا سُدَّت جميع السبل في وجهك أن تُخاطب الوزير شخصيًّا فهو ولا شك متعاطفٌ مع المشروع.

والفعل approach بهذا المعنى شائع.

(6) Shall I approach the authorities then rather than my dears friends?

(٦) هل ألجأ إذن إلى السلطات (المختصَّة) بدلًا من أصدقائي المقرَّبين؟

والمختصَّة كما سبق أن أوضحنا هي competent، وقد تكون هنا بمعنى المعنية concerned، وهي موحًى بها في النص الإنجليزي، ويمكن للمترجم أن يحذفها أو يُضيفها، ومعنى اللجوء هو المخاطبة أو المكاتبة، وهو من المداخل المتاحة للمتحدِّث، أو من سُبل العمل المطروحة (لا المقاربات)، وانظر المثال التالي:

(7) Your approach is flawed by resorting to too many secondary sources, when primary sources are available and quite reliable.

(٧) يعيب منهجك الاستناد إلى المراجع إلى حدٍّ غير مقبول، وأمامك المصادر اللازمة والموثوق بها.

«المرجع» a reference book هو كل ما يتضمَّن التعليقات والتفسيرات الخاصة بالموضوع، وهو يختلف عن المصدر الذي يتضمَّن المعلومات الأساسية والبيانات المستقاة من التحليلات والإحصاءات عن الموضوع، والكلمات الإنجليزية تُفيد هذا؛ فمَن يبحث في سطح الأرض أو قشرتها crust، وهو ما يُسمَّى بعلم المورفولوجيا، سيجد مصادره فيما أنجزه العلماء من تحليلاتٍ علمية بالأجهزة ووسائل القياس المباشرة، وسيجد مَراجعه في الكتب التي تتناول هذه التحليلات بالتفسير والشرح، فالأُولى مصادر (أولية)، والثانية

مراجع (أو مصادر ثانوية)، وقِس على ذلك من يدرس شعر شاعر، فمصادره هي شعر الشاعر نفسه، وما كتبه نثرًا من مقالاتٍ أو خطابات (أي مراسلات correspondence)، ومراجعه هي آراء النقَّاد فيه وما كتبه غيره عن حياته وما إلى ذلك. وقد يحتاج الباحث إلى مراجعَ في مبحثٍ آخر لمساعدته في بحثه، فإذا ظلَّت هذه المراجع «مراجع» وحسب، لم يخرج الباحث عن نطاق مبحثه، أمَّا إذا كانت من المصادر فإن بحثه يُعتبر بحثًا مشتركًا بين اثنَين من التخصُّصات، ويُسمَّى في هذه الحالة مبحثًا بينيًّا؛ أي interdisciplinary، وانظر هذا المثال:

(8) For an interdisciplinary study like yours, you should make use of the data provided by the historians; you will never be able to deal with a word like “fief” unless you have obtained adequate information on the feudal system which alone could establish the nexus between “fee” and “fief”.

(٨) عليك أن تستفيد بالبيانات التي يوفِّرها لنا المؤرِّخون في هذا البحث البيني الذي تقوم به؛ إذ لن تستطيع تأصيل كلمةٍ مثل fief؛ أي المقاطعة التي تدفع الجزية، إلا إذا جمعت المعلومات اللازمة عن النظام الإقطاعي، ولن تستطيع دون هذه المعلومات أن تُثبت الصِّلة بين كلمة fee؛ أي المصاريف والأتعاب، وبين أصل الجزية الإقطاعية.

كلمة تأصيل تعني حرفيًّا رصد الجذور to trace the roots، والمعنى موحًى به هنا فحسب، وحبذا لو أخرجه المترجم مباشرةً بدلًا من ترجمة العبارة الإنجليزية ترجمةً حرفية لا مناص من ركاكتها (أي لن تستطيع معالجة/تناول/أن تتعامل؟ مع)، أمَّا الكلمة المهمَّة فهي use، والتعبير to make use of يعني الاستفادة من، ولاحظ أن كلمة use تختلف أصلًا عن utilize في أن الأُولى تعني استعمال الشيء فيما جُعل له، والثانية تعني استعماله فيما لم يُجعل له.

(9) I have utilized the biographical data available in interpreting the frequency of references to death and graves in his verse, having learnt that his father was an undertaker.

(٩) انتفعت بالمعلومات البيوغرافية المتاحة في تفسير سر تواتر الإشارات إلى الموت والقبور في شعره، بعد أن علمت أن أباه كان حانوتيًّا.

والمعروف أن كلمة حانوتي ليست نسبةً إلى الحانوت، بل هي تحريف لكلمة «الحنوطي»؛ أي الذي يتولَّى إعداد «الحنوط» للمتوفَّى، وهي كلمةٌ مُحدَثة أصلها الحناط،

وهو كل ما يُخلط من الطِّيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة من مسكٍ وكافور وصندل وعنبر وغير ذلك، وأظن أنها أصل كلمة التحنيط الذي اشتُهر به قُدَماء المصريين.

ونقف عند كلمة تواتر frequency؛ فهي من الكلمات الشائعة في مصطلح الحديث النبوي؛ أي إن بعض الأحاديث توصف بأنها متواترة إذا كثر ورودها وتعدَّد رُواتها، وعكسها infrequent أي النادر، وليتنا نُقلع عن عادة ترجمة الكلمات التي تسبقها بوادئ النفي negative prefixes بإضافة «عدم» إلى الكلمة؛ فنحن إذا أضفنا عدم إلى تكرار هنا خرج لنا معنًى مخالف للنُّدرة؛ أي إذا قلنا إن الحديث لم يتكرَّر (يتسم بعدم تكراره)، كنا ننفي عنه وروده ثانيةً في أي سياق، أمَّا إذا وصفناه بالنُّدرة فنحن نقول إنه غير متواتر وحسب، وكلمة «قليل» تُفيد معنى النُّدرة في سياقاتٍ أخرى، ولن أكف عن ترديد هذا التحذير، فكلمة dislike لا تعني عدم الحب، بل النفور، وكلمة disease لا تعني dis + ease؛ أي عدم الراحة واليسر، بل المرض! ولننظر المثال التالي:

(10) Unlike human rights, gender issues have received a great deal of attention in literary studies, culminating in the rise of feminism as a new critical approach.

(١٠) تختلف قضايا المرأة عن قضايا حقوق الإنسان في أنها حظيت باهتمامٍ كبير في الدراسات الأدبية بلغ أَوجه بنشأة الدراسات النسوية باعتبارها من المناهج النقدية الحديثة.

فالكلمة الأولى في العبارة لا تعني «لا يشبه» بل تعني «يختلف»، وقد يترجمها من يريد بكلمة «خلافًا» لكذا، والمهم لدينا هنا هو هذه الكلمة الجديدة التي غزت صفحات الكتب، فأصبحنا مُضطرين إلى ترجمتها، وهي gender التي تعني في النحو أصلًا «نوع» الشيء — مذكر أو مؤنث أو جماد — ولا تزال كلمة «النوع» العربية تُطبع في البطاقات الرسمية ترجمةً لكلمة sex التي عادةً ما نُترجمها بكلمة «الجنس»، خصوصًا عند الحديث عن التمييز على أساس الجنس؛ أي التمييز بين الرجل والمرأة، وقد سبق لي الحديث عن هاتَين الكلمتَين في كتاب المصطلحات الأدبية الحديثة (لونجمان ١٩٩٦م)، وأنا أعود إليها بسبب ظهور ترجمات جديدة تستدعي مناقشتها، وبسبب ما ترجمته من آلاف الصفحات الخاصة بالموضوع، والتي تتساوى فيها كلمة gender مع كلمة المرأة.

يختلف تعبير gender issues في ظاهره عن تعبير women's issuesفي أنه يُحدِّد اختلاف المرأة عن الرجل، لا على أساس الجنس، بل على أساس المكانة التي تشغلها في

الثقافة والمجتمع، أو ما يُسمَّى بالدور الثقافي للمرأة؛ أي إن الكاتب الذي يُناقش قضايا الـ gender أو قضايا النوع لا يناقش قضايا المرأة من حيث هي أنثى، بل من حيث المفهوم الاجتماعي والثقافي لمنزلتها، وهو ما يضرب بجذوره في تاريخ البشرية كلها، خصوصًا بسبب نظرة الرجل المُهيمِنة التي ربطت المرأة في الأدب واللغة بالجنس؛ أي باعتبارها أنثى يطلبها الرجل ويسعى إليها ويرغب فيها لغايةٍ واحدة، وهذا المفهوم الجديد قد فُرض فرضًا على الكلمة؛ أي إنه ليس أصيلًا فيها، ومن ثَم أصبحت الكلمة من المصطلحات المتخصِّصة، التي قد تستدعي مصطلحًا يقابلها بالعربية، ممَّا دعا الدكتورة فريال غزول إلى محاولة ترجمتها مرةً بالجندرة (أي تعريب الكلمة)، ومرةً بالجنوسة وهي كلمة مشتقةٌ من الجنس، وينطقها البعض بضم الجيم والنون، والبعض بفتح الجيم وتسكين النون وفتح الواو، وكان من أسباب استعمالها اشتراك الكلمة العربية جنس مع الكلمة الإنجليزية genus، والكلمة اليونانية gyne التي تعني المرأة، في الحرفَين الأساسيَّين (الجيم والنون)؛ فجمع genus هو genera التي أتى منها لفظ genre أي النوع، ولكن المجتمع العربي لم يقبل الكلمة الجديدة بعد، وهي ما نفترض أن تحمل المفهوم الجديد الخاص الذي أُلصق بكلمة gender.

وارتبط بهذه الكلمة تعبيرٌ آخر هو gender-sensitive الذي تُترجمه الأمم المتحدة بتعبير «بحسب النوع» أو «بحسب الجنس»، وإن كان معناه هو «كل ما يُراعي أحوال المرأة ولا يُغفلها»، ولقد خرجتُ من قراءاتي وترجماتي لآلاف الصفحات على مدى السنوات العشر الأخيرة في هذا الموضوع أن الكُتَّاب — باستثناء أصحاب مدرسة النقد النسوية — لا يكادون يوحون بالمعنى الثقافي المفترض في الكلمة؛ إذ تتساوى كلمة gender لديهم مع كلمة «الجنسَين» أو «الرجل والمرأة»، وأحيانًا ما لا يُقصد بها إلا المرأة وحدها، وفيما يلي مقتطفاتٌ من أهم الوثائق التي تُعالج الموضوع:

(11) UN relief workers in the Rwanda disaster area have been made acutely conscious of gender issues, as rape and premature birth still topped the list of social problems.

(١١) ازداد وعي موظَّفي الإغاثة التابعين للأمم المتحدة والعاملين في منطقة الكوارث في رواندا بقضايا المرأة زيادةً حادة؛ إذ كانت مشكلة الاغتصاب والأطفال المبتسرين لا تزال تتصدَّر قائمة المشكلات الاجتماعية.

وانظر المثال التالي:

(12) Gender-inequality is still paramount in the thinking of most social reformers, and equal pay for equal work seems to be too modest a demand to make in this direction.

(١٢) لا تزال قضية عدم المساواة بين الجنسَين تشغل مكانًا بارزًا في تفكير المصلحين الاجتماعيين، ولا تعدو المطالبة بالمساواة في الأجر بين من يقومون بنفس العمل أن تكون خطوةً متواضعة في سبيل تحقيق هذا الهدف.

والمثال التالي:

(13) Any future documents on human rights should be gender-sensitive, as women are likely to be more vulnerable to certain violations not usually regarded as serious.

(١٣) يجب أن يُراعى عند وضع أي وثائقَ خاصةٍ بحقوق الإنسان في المستقبل أن تُراعى الفروق بين الرجل والمرأة؛ فالمرأة مُعرَّضة للأذى بسبب بعض الانتهاكات التي عادةً ما لا نعتبرها خطيرة.

والمثال التالي:

(14) Gender bias can hardly require proof: though no great honour, the reference to the enemy as "he" is evidence of the tendency to ascribe action to the male.

(١٤) لا نكاد نحتاج إلى ما يُثبت الانحياز ضد المرأة؛ فاستخدام ضمير المذكَّر في الإشارة إلى العدو، وإن لم تكن الإشارة بضمير المؤنث تكريمًا عظيمًا للمرأة، دليل على الاتجاه (في اللغة) إلى نسبة الأفعال إلى الرجل.

ولنلاحظ هنا الفرق بين proof أي الإثبات وevidence أي البيِّنة أو القرائن التي تُساعد في الإثبات أو ما نُسمِّيه بالدليل، ولا أعتقد أن الجنوسة سوف تُفيدنا في ترجمة الكلمة قيدِ البحث هنا.

وانظر المثال التالي:

(15) Though the ideal is a gender-free language, which legalese has attained in some measure by repeating the noun every time a pronoun is usually used, it is sometimes useful to know whether the person charged with "killing the said person's offspring" is a man accused of the murder

of his son or daughter of a woman indicted for the same offence: gender equality may be carried a little too far.

(١٥) على الرغم من أن المثل الأعلى هو استخدام لغةٍ لا تُميِّز بين الجنسَين، وهو ما نجحت لغة القانون في تحقيقه إلى حدٍّ ما عن طريق تكرار الاسم بدلًا من الاستعمال المعتاد للضمائر؛ فقد يكون من المفيد لنا أن نعرف إذا ما كان «الشخص المتهم بقتل بعض ذرية الشخص المذكور» رجلًا وُجِّهت إليه تُهمة قتل ابنه أو ابنته، أو امرأةً وُجهت إليها تلك التهمة؛ أي إن المساواة بين الجنسَين (لُغويًّا) قد تزيد عن الحد بعض الشيء.

وهاك مثالًا من صحيفةٍ حديثة (أكتوبر ١٩٩٩م):

(16) As relief officers, the UN team members have found little difficulty in dealing with the Rwandan population, even in circumstances where gender-roles are clearly specified.

(١٦) لم يجد أعضاء فريق الإغاثة التابع للأمم المتحدة صعوبةً تُذكر في التعامل مع أفراد الشعب الرواندي، حتى في الظروف التي يُحدِّد المجتمع لكلٍّ من الجنسَين أدواره المنوطة به.

وأتصوَّر أن الذين يريدون كلمةً عربية واحدة تقابل الإنجليزية لم يصطدموا بهذه السياقات التي تتفاوت فيها معانيها خصوصًا عندما تشتبك مع ألفاظٍ أخرى، على نحو ما رأينا آنفًا (gender-free – gender-sensitive – gender-roles) أو تصف كلماتٍ بعينها gender-bias/issues، ولم أعثر على الكلمة مفردةً إلا في عناوين كتب أو مقالات، وفي كل حالةٍ نجد أن للمترجم الحق في استنباط المعنى من مضمون الكتاب أو المقال؛ فهناك كتابٌ في النحو يُسمَّى gender يعالج المؤنث والمذكر والجماد، وكتابٌ في علم الاجتماع (١٩٩٨م) يُناقش أحوال المرأة في باكستان ويحمل العنوان نفسه، ومقالٌ في الأدب الحديث (أو في النقد الأدبي) يُعالج شيوع استخدام ضمير المتكلِّم في الشعر الجديد، باعتبار ذلك ظاهرةً أو مُؤشِّرًا يُفصح عن مَيل المحدثين إلى تخطِّي التمييز بين الأنثى والذكر — ويحمل العنوان نفسه — فهل على المترجم أن يحتفظ بالعنوان نفسه لكلٍّ من هذه الأعمال؟

القضية — كما ترى — لها جانبٌ نظري يتصل بحق المترجم في تغيير العنوان؛ فالكاتب الإنجليزي عادةً ما يضع لكتابه عنوانًا عامًّا جذَّابًا، وغالبًا ما يتعمَّد الغموض فيه حتى يُثير شهية القارئ لاستطلاع ما يقصد، ثم يضع له عنوانًا فرعيًّا sub-title

يوضِّح موضوعه أو يحدِّده بدقةٍ أكبر، وإذن فإن العنوان «رسالة» (message) موجهة من الكاتب إلى القارئ وهي — بتعبير علم العلامات أو السيميوطيقا — تخضع للشفرة الاجتماعية the social code المشتركة بين الكاتب والقارئ في زمنٍ مُعيَّن ومكانٍ مُعيَّن؛ أي إنها رسالةٌ مُشفَّرة coded، والتشفير encoding جهد مشترك بين الكاتب والقارئ؛ أي إن العوامل التي تتحكَّم في التشفير لا تقتصر على الكاتب وحده، بل تتضمَّن أيضًا توقُّعاته بالنسبة للقارئ؛ أي اعتماده على قُدرة القارئ على فَك رموز الشفرة decoding، ولو لم يكن جيمس جويس James Joyce واثقًا في قدرة القارئ الإنجليزي على إدراك مغزى اسم البطل الذي اختاره عنوانًا لروايته الطويلة Ulysses ما أطلق عليها هذا الاسم، ولو لم يكن الدكتور جونسون واثقًا في معرفة قارئه ابن القرن الثامن عشر بقصة أيرين Irene (وينطق الاسم في أمريكا أيريني — وهي كلمةٌ يونانية تعني «السلام») التي وردت في كتاب تاريخ الترك الذي ألَّفه ريتشارد نولز Knolles، ونشره في مطلع القرن السابع عشر، ما أطلق على مسرحيته ذلك العنوان، ومعظم الكتب الحديثة حتى غير الأدبية منها تعمد إلى التورية pun في العناوين من باب الحذق والمهارة، مثل الكتاب الأخير الذي صدر في بريطانيا بعنوان *The Major Change*، الذي يتناول فترة حكم جون ماجور رئيس الوزراء الأسبق لحكومة المحافظين، ويوحي بأنها كانت من فترات التغيير «الرئيسية»؛ ولذلك فعندما تَرجَمتُ رواية «عيد ميلاد جديد» للكاتب أليكس هيلي، وجدتُ أن العنوان الأصلي وهو *A Different Kind of Christmas* يتميَّز بالنبرة العامية الموجَّهة إلى القارئ الأجنبي؛ أي إن شفرته تتوسَّل بنبرةٍ أجنبية مثل حروفه، ووجدت لِزامًا عليَّ أن أُترجِم النبرة مثلما أُترجِم الحروف؛ فهي جزءٌ لا يتجزَّأ من المعنى، حتى في الترجمة الوثائقية (نعود لذلك فيما بعد)، وأحسست وأنا أقترب من نهاية الرواية، والبطلان قد نجحا في الفرار من الولاية الأمريكية الجنوبية التي يتعرَّض فيها الزنوج للاضطهاد، وبعد أن قضيا الليل في سُرًى دائب، تهديهما نجوم ليلة عيد الميلاد، ووصلا إلى مشارف مدينة فيلادلفيا (وهي تعني حب الإخوة)، فأشرقت أضواء فجر عيد الميلاد عليهما، أحسست أن ذلك عيد ميلاد جديد للزنجي ولصديقه الأبيض، أو قل كأنه ميلادٌ جديد! ولذلك نفرت من أي ترجمةٍ حرفية مهما تكن للعنوان، وأسميتها العنوان الذي تحمله الآن.

وعندما ذكرت في منتصف الفقرة السابقة تعبير «غير الأدبية» كنت أعني تمامًا ما أقول؛ فالشفرات اللغوية غير مقصورة على الكتب الأدبية، بل هي تُستخدم في جميع مناحي العلوم الإنسانية ومباحثها، والعنوان هو أشد الشفرات حساسية، فإذا كان غامضًا

أو عويصًا فربما صرف القارئ عن الكتاب أو المقال، والمترجم المأجور a hack translator لن يكترث لذلك، فسوف يترجم ما يراه أمامه وفقًا لِمَا درج عليه، أو ما اتفق الناس حوله عليه، وأخطر ما أتت به ترجمة المأجورين الذين لا تظهر أسماؤهم على الوثائق، وقد نُسمِّيهم بالمجهولين anonymous، هو عدم الوعي بأنهم يُخاطبون قارئًا ما، وفي بعض هيئات الترجمة قد يكون القارئ الوحيد للترجمة هو المراجع (المأجور أيضًا)، ثم يُلقي بالنص المترجم في غياهب النسيان، وأمَّا إذا كان النص من النصوص التي سوف يُستشهد بها ويُرجع إليها من حينٍ لآخر، فإن الهيئة تُوليه عنايةً خاصة وتجتهد حتى يتوافر له الوضوح على الأقل، وقد يتولَّاه مُحرِّر editor يُزيل ما به من رَكاكة، وإن كُنا — نحن المترجمين العرب — ما زلنا لا نعترف بدَور المحرِّر، ونَكِل كل شيء إلى المراجع، ومن ثم فعادةً ما يجمع المراجع reviser بين وظيفة المراجعة ومعناها الدقيق هو التحقُّق من صحة المعنى checking the translation for accuracy، والتنقيح revision بمعنى ضبط الصياغة العربية، وتصويب أخطائها، وهذه المهمَّة الأخيرة هي التي يتولَّاها المحرِّر عادةً في النصوص الأجنبية.

والمحرِّر هو الذي يحتفظ بحق تغيير العنوان، وتغيير كل ما يراه في حاجةٍ إلى تغيير في النص، ولكننا، كما قلت، لا نفصل في الترجمة العربية بين هذه الوظائف المتميِّزة، والواقع أن المترجم الضليع ينهض بها جميعًا، وقد يفعل ذلك على مراحل؛ أي في خطواتٍ منفصلة، كأن يترجم النص أولًا مهتديًا بحدسه وحسب (intuition)، ثم يعود إليه للتحقُّق من صحته، خصوصًا ما قد يُفلت منه بسبب السهو أو الخطأ error and omission، وربما قرأه من جديدٍ للتحقُّق من تماسكه وسلاسته، وقد يضطلع في هذه المرحلة بدور المحرِّر فيحذف أو يضيف أو يُغيِّر كل ما يراه مضطربًا أو قلقًا. وإذا كان لي أن أتحدَّث عن خبرتي الشخصية في هذا المجال، فأنا أُفضِّل أن يقوم بهذه المهام عدة أفراد لا فرد واحد؛ فالمترجم عادةً ما يكون منغمسًا في النص الذي يُترجمه إلى الحد الذي يمنعه من إدراك غموض ما فيه أو غرابة ما قد يشوبه من لكنةٍ أجنبية؛ ولذلك لم أُقدِم يومًا على نشر نص ترجمته إلا عرضته على غيري، مُترجمًا كان أم مراجعًا أم كاتبًا أم قارئًا غير متخصِّص، وأنا مدينٌ للجميع بما أفادوني به (ولا يزالون) في ترجماتي العربية والإنجليزية.

ترجمة العنوان إذن لها مقاييس تختلف عن مقاييس الترجمة الوثائقية؛ لأنها تأخذ القارئ في اعتبارها وفق النظرية الحديثة التي يُسمُّونها نظرية الترجمة الوظيفية Skopostheorie، وهو المصطلح الألماني الذي دخل إلى اللغة الإنجليزية في أواخر

التسعينيات (منذ ١٩٩٧م) على يدَي كريستيان نورد، التي نقلته عن كاترينا رايس وفيرمير (الألمانيين)، وفحوى هذه النظرية أن المترجم يُحاول أن يجعل النص المترجم يُؤدِّي لدى قارئه نفس الوظيفة التي يُؤدِّيها النص الأصلي لدى قارئه، بغض النظر عن اتفاق الكلمة أو الكلمات المترجمة مع العربية أو الكلمات الأصلية في المعنى المعجمي؛ أي التعريف الذي تورده المعاجم، وهذا يختلف بعض الشيء عن مذهب الترجمة الوثائقية الذي اتبعناه في هذا الكتاب؛ فهو يمنح مكانةً أكبر لاستجابة القارئ، حيث يجد المترجم الوظيفي أن عينه تُركِّز على قارئ النص المترجَم أكثر من تركيزها على كلمات النص الأصلي في معانيها المعجمية، والواقع أننا نفعل ذلك حتى دون أن ندري في الترجمة الوثائقية أحيانًا؛ فنحن نُترجم tropical forests بالغابات الاستوائية لا بغابات المناطق المدارية (the tropics)؛ أي التي تقع بين خط الاستواء The Equator ومدار الجدي The Tropic of Capricorn جنوبًا ومدار السرطان The Tropic of Cancer شمالًا، ونُترجم Tropical diseases بأمراض المناطق الحارة، لا أمراض المناطق المدارية، ولكننا نُترجم «الاستوائية» وحدها بكلمة equatorial، وإذا صادفتنا عبارة الغابات الاستوائية فربما ترجمها بعضهم بتعبير the rainforest دون أن نجور على أيٍّ من هذه المصطلحات، ولكن أكبر مجال لممارسة الترجمة الوظيفية هو اللغة الحية، ولغة الحوار والحديث بصفةٍ خاصة، وليس هذا مجال مناقشتها؛ فكل ما أردت أن أنتهي إليه هو أن التعنُّت الاشتقاقي في إيجاد لفظ عربي واحد، بحيث يتساوى في تعريفه المعجمي مع اللفظ الأجنبي، مهما يكن طريفًا، لن تكون له إلا فائدة معجمية، وأمَّا السياق الحي فيقتضي المرونة وحرية الحركة في العلاقة الثلاثية التي تجمع بين المترجم (باعتباره كاتب النص) وبين النص المترجم (باعتباره الرسالة) وبين القارئ (باعتباره متلقي الرسالة).

وهكذا نعود أدراجنا إلى المثال (١٦)، وما تلاه من مناقشةٍ لموضوع ترجمة gender باعتبارها عنوانًا لثلاثة أعمالٍ متباينة، فإذا أصررنا على توحيد العنوان في الكتب الثلاثة، مهما كانت الكلمة المختارة، فسوف نفقد الصلة مع القارئ. والواقع أن بعض دُعاة نصرة المرأة feminism (أو الحركة النسوية أو النسائية الجديدة) يعمدون إلى كسر هذه الصلة عمدًا؛ بُغية الإثارة ولفت الأنظار، ولكننا عندما نتحدَّث حديث العقلاء عن مشكلة جمع المذكر وجمع المؤنث مثلًا، وكيف يكون الجمع في العربية طابعه التأنيث في الغالب الأعم (انظر «من بديع لغة التنزيل» للدكتور السامرائي)، فلن نختار لكتابنا عنوانًا هو «النوع» (أو الجنوسة أو الجنسَين ... إلخ)، بل سنقول «المذكر والمؤنث أو قواعد التذكير

والتأنيث في العربية أو الإنجليزية مثلًا»، ولننظر إذن إلى الكتاب الثاني وعنوانه: *Gender: The Pakistani Grindstone Turning*، وقد صدر في لندن في العام الماضي، وهو حافلٌ بالدراسات التي تُبيِّن معاناة المرأة في باكستان من وطأة التقاليد الهندية القديمة التي تُنسب اسميًّا إلى الإسلام.

ولقد ترجمت هذا العنوان في سياق تقرير أشار إليه على النحو التالي: «المرأة الباكستانية بين شِقَّي الرحى»، وأمَّا المقال الذي أشرت إليه آخرًا فقد ترجمته «ضمير المتكلِّم بين التأنيث والتذكير». وما دمنا بصدد المثال (١٦) فأرجو من القارئ أن يعود إليه ليرى كيف حذفتُ كلمة officers لأنها من باب الإطناب (الرطرطة) الذي يمجُّه الذوق السليم، وكيف أدمجت العبارة الافتتاحية في العبارة الرئيسية، فهو ما كان على الكاتب أن يفعله [The UN relief team members have ...]، وهو لم يفصل بين relief officers وبين team members إلا لتأكيد ما يرمي إليه من أن الفريق يتكون من «موظفي إغاثة»، وكلمة «موظفي» officers من الكلمات ذات الدلالة المظلية التي يجدر بنا أن نناقشها بإيجاز.

فما معنى officer؟

تتساوى كلمة officer مع كلمة holder of an office أي شاغل وظيفة، أو منصب post، وقد يوصف هذا وذاك بأنه رفيع high، أو وضيع low، ولقد بلغ من ارتباط كلمة officer بالكلمة العربية «ضابط» أن أصبح بعض المترجمين يُدهشون حين يقرءون تعبير army officer أو police officer، ويتصوَّرون أن الصفة لا يُقصد بها إلا التمييز بين هذَين النوعَين من «الضبَّاط»، ولكن الواقع هو أن الكلمة لم ترتبط بالجيش إلا ارتباطًا تاريخيًّا؛ فالجنود هم أقدم الموظَّفين الذين عرفهم نظام الدولة الحديثة (و«رواتب الجند» من القضايا التي تزخر بمعاركها كتب التاريخ في أوربا والوطن العربي!) بل إن الكلمة اللاتينية التي جاءت منها كلمة soldier الإنجليزية ونظائرها في الفرنسية والإيطالية تعني «المأجور»؛ أي من يتلقَّى أجرًا ثابتًا من الدولة (الحاكم). وأمَّا الاستعمال الحديث لكلمة officer فقد تحرَّر تمامًا من ذلك المعنى وأصبح ينصرف إلى «العمل» المتوقَّع من شاغل الوظيفة؛ ولذلك فإن Police officer معناها «الشرطي» وحسب، مهما تكن رتبته، وتعبير field officer قد يعني أي «موظَّف ميداني»، وقد يكون باحثًا في الميدان؛ أي «على الطبيعة» on site (وهو التعبير المقابل للبحث المكتبي)، وقد يكون من موظَّفي الرعاية welfare أو الإغاثة أو ما سوى ذلك. وسوف يلاحظ القارئ أن الارتباط

بين officer وضابط وثيق العُرى، وانظر كيف ترجمنا liaison officer (أي موظَّف الاتصال) فأصبحت ضابطًا، ويتجه الكُتَّاب في اللغة الشائعة اليوم إلى حذف officer اكتفاءً بالكلمة الأولى، التي أصبحت اسمًا يُجمع! كما استحدثوا تعبيرًا جديدًا هو focal point باعتباره تعبيرًا ذا مظلة دلالية؛ فهو يعني «نقطة اتصال» حرفيًّا؛ أي نقطة ارتكاز يمكن الرجوع إليها، ولكنه قد يعني شخصًا مفردًا أو مكتبًا بمعنى إدارة (office) أو لجنة أو هيئة! وقد يمر المترجم بتعبيراتٍ مستحدثة مبنية على هذا المفهوم، مثل تعبير officer in charge أي «النائب» — حرفيًّا «الموظَّف الذي يقوم بأعمال موظَّفٍ أعلى رتبةً أثناء غيابه» — وأحيانًا ما نختصرها إلى «القائم بالعمل»، وهي تتحوَّل عند الدبلوماسيين إلى «القائم بالأعمال» chargé d'affaires، وتُكتب بحروفها الفرنسية! ونحن نذكر في هذا الباب تعبير ex officio أي بحكم المنصب، والفعل officiate بمعنى يؤدِّي أو ينهض بعملٍ مُعيَّن! ومنه تأتي الصفة official ومعناها «رسمي»، فإذا استعملت اسمًا كان معناها هو المسئول (بالجمع في العادة (officials) أي المسئولون)؛ أي إنها تتحوَّل إلى اسم مستقل.

وقد اشتُقت من الاسم office صفةٌ أخرى قد يختلط معناها حتى على أبناء اللغة الإنجليزية أنفسهم وهي (officious)، وأذكر أنني سمعت حوارًا في أواخر أيام إقامتي في إنجلترا بين فتاةٍ إنجليزية ضاقت ذرعًا بتدخُّل رئيستها في كل صغيرةٍ وكبيرة في العمل، وكانت الرئيسة من أصلٍ ألماني تُدعى السيدة فايس Weiss، ثم تسمَّت بالاسم المقابل بالإنجليزية وهو white، وإن كان مبغضوها يحبُّون الإشارة إليها باسمها الأصلي الذي يوحي نطقه الألماني بالكلمة الإنجليزية التي تعني الرذيلة (Vice)، وعندما عبَّرت الفتاة عن ضيقها لزميلٍ لها حديث العهد بالعمل، وكان يقدِّر «خدمات» و«تدخُّلات» السيدة فايس، ظنَّ الشاب أن الفتاة تمتدح رئيستها:

Girl: You've noticed how officious Mrs Vice is, haven't you?

Boy: Oh, yes! And so nice too!

G.: Is she? She's got eyes in the back of her head, and has a finger in every pie!

B.: But she's so upbeat and helps with the streamlining of the office!

G.: Let her streamline you! You're welcome to have her!

B.: Oh, come, come! She's not such a monster! It's nice to have someone to play around here!

وسوف أُرجئ ترجمة هذا الحوار حتى أُناقش الكلمتَين اللتَين وردتا في حديث الشباب وهما upbeat وstreamlining؛ فالمعنى الأصلي للأولى هو نبرة الإيقاع المرتفعة التي تأتي في آخر «مازورة» موسيقية (bar)، وأشاع الأمريكيون استعمالها بمعنى التفاؤل والإشراق (وعكسها downbeat)، وهي تعني هنا أن الرئيسة تتميَّز بالنشاط والمرح، وقد دخلَت الكلمة بالمعنى الجديد إلى الاستعمال البريطاني في الآونة الأخيرة، وأمَّا الكلمة الثانية streamlining فالأصل فيها أن يكون شكل الشيء انسيابيًّا حتى لا يُواجه مقاومةً في الماء (القارب) أو الهواء (الطائرة)، ثم استُعيرت لتنظيم العمل حتى لا يُواجه أية عقبات في التنفيذ، فأصبحت تفيد السلاسة والانتظام. فإذا تأمَّلنا الحوار وجدنا أن كلمة officious تعني في حديث الفتاة أن السيدة فايس تدس أنفها في كل شيء، استنادًا إلى سُلطتها، ولكنها تعني مدَّ يد المساعدة (ولو لم تُطلب منها) في حديث الشاب! وللمترجم أن يختار المعنى الذي يفهمه هنا من السياق، وهاك الترجمة إلى العامية:

الفتاة: شايف الست فايس بتتدخل في الشغل إزاي؟

الشاب: آ .. ولطيفة قوي!

ف: لطيفة؟ دي بتشوف من قفاها وبتحشر نفسها في كل حاجة!

ش: بس هِلِهْلية وبترتب شغل المكتب وتنظمه!

ف: خليها تنظمك أنت! اشبع بيها!

ش: إيه الكلام ده بقى؟ انتي حتخليها بعبع والا إيه؟ أنا فرحان ان فيه واحدة بتراعينا وقلبها علينا!

وربما وجد بعض القُرَّاء صعوبةً في فهم الكلمة العامية هِلِهْلي (ومؤنثها في النص)، وهي كلمةٌ مصرية لا أدري مصدرها، وإن كنت أظن أن لها علاقةً بالتهلُّل والبِشر، وعادةً ما يوصف بها الشخص البسَّام الذي لا يحمل للدنيا همًّا، والمعنى قريبٌ من التعبير الإنجليزي happy-go-lucky، وأحيانًا ما نشير إلى هذا الشخص بأنه «فايق ورايق» (بنطق القاف همزة في الكلمتَين)، والدكتور بدوي لا يورد كلمة هلهلي في معجم اللغة العربية المصرية، مكتبة لبنان، ١٩٨٦م؛ ربما لأنه يعتبرها لهجةً محلية dialectal، وربما

كان الأصل هو كلمة هلا هلا (بتفخيم اللام) مثل ها الله ها الله! وهي التي نعرفها في الدارجة المسجوعة rhyming slang (ها الله ها الله يا عم عبد الله!) (انظر كتابي: *Lexical Approaches to Translation*, Cairo, 1999) والله أعلم.

ولقد حاولت في هذَين الملحقَين أن أتدارك بعض ما فاتني من كلمات لا تتميَّز بنفس القدر من الشيوع، مثل الكلمات الواردة في أبواب الكتاب الأخرى، سواء كانت مُتخصِّصةً أم خلافية، وكنت في منهجي أتبع طريقًا وسطًا يجمع بين الترجمة الوثائقية والترجمة الوظيفية، ولمَّا كنت أعلم أن المترجم المحترف professional؛ أي الذي يحترف مهنة الترجمة نادرًا ما يشغل باله بالنظريات، على عكس الباحث الأكاديمي في الترجمة a translation scholar الذي يدرس الترجمات، ويستخلص المبادئ وصولًا إلى رصد الأُسس النظرية والتفرقة بين مذاهب الترجمة، وعلى عكس العالِم الذي يلجأ إلى الترجمة في تخصُّصه وحسب (a specialist academician)، ومن ثم فهو مُمارس للترجمة دون احترافها (practitioner)، وعلى عكس المبتدئ a beginner الذي كنتُ وجَّهت إليه كتابي الأول «فن الترجمة» للشركة المصرية العالمية للنشر — لونجمان (١٩٩٣م) — فقد رأيت أن أُذيِّل هذا الكتاب بملحقٍ ثالث يضم أهم المصطلحات التي تهم هذه الفئات جميعًا، والذين يمكن أن يُطلق على كلٍّ منهم صفة المترجم. وقد سبق لي أن عرضت في ثنايا هذا الملحق لمعنى الترجمة الوظيفية، وأعتقد أنها نظرية المستقبل، وهي جديرة بكتابٍ مستقل، ولكنني سأكتفي بمعجمٍ موجز يتضمَّن أهم الاصطلاحات الإنجليزية المستخدمة في إطارها؛ فلقد تخَطَّينا التقسيمات القديمة إلى الترجمة التوصيلية communicative (التي تنقل المعنى فحسب)، والدلالية semantic (التي تنقل الشكل والمعنى جميعًا)، ونظرية النص المترجَم السلس fluent؛ أي الذي يتفق مع مصطلح اللغة المترجم إليها، ونقيض ذلك هو النص المترجم ذو الرطانة؛ أي الذي يفتقر إلى السلاسة، ومن ثم فكأنه يقاوم القارئ ولذلك يوصف بأنه resistent؛ وذلك لأنه لا يراعي مصطلح اللغة المترجم إليها، وينضح بلكنةٍ ترجع إلى النص الأصلي.

أقول إننا تخطَّينا ذلك كله وأصبحنا في عصر النحو الوظيفي واللغة الوظيفية والترجمة الوظيفية! ولقد طبَّقت هذه النظرية على تناولي للترجمة الوثائقية في كل ما عرضت له في هذا الكتاب؛ فالترجمة الوثائقية المحضة لا تصلح إلا للنصوص الجافة في سياق المعاملات السياسية والدبلوماسية، وهي أقرب ما تكون إلى الترجمة التوصيلية التي تتطلَّب دِقة التعبير وصلابته، وهي مجال جد محدود لا يهمُّنا فيه إلا المصطلح ومعناه

على نحو ما أوضحنا آنفًا، وأمَّا إذا تجاوزناه فسوف نُدرك مدى قصور الاقتصار على معنى اللفظ أو الألفاظ وإن أصبنا إدراكه! ولا بد أن أختتم هذا الملحق بمثالٍ على ذلك.

كلنا يعرف أغنية عبد الوهاب «قالت»، وهي مقطوعةٌ من شعر صفي الدين الحِلِّي (بكسر الحاء وكسر اللام وتشديدها)، ومطلعها:

(١٧) قالت كحلت الجفون بالوسن   قلت انتظارًا لطيفك الحسن

وعبد الوهاب يشدِّد الحاء في كحلت، وهو خطأ؛ لأن البيت من المنسرح ولا بد من فتح الحاء دون تشديدها، فإذا أردنا ترجمة البيت فلا بد أن نتساءل عمَّا يعني. الشرح يسير: قالت حبيبتي بعد أن هجرتني إنك لم تكترث لابتعادي عنك فنمت قرير العين، ولكنني أجبتها بأنني لم أنَم إلا ترقُّبًا أو أملًا في أن أرى طيفها في المنام حتى يُعوِّضني عن رؤيتها في اليقظة! فإذا ترجمنا هذا المعنى كُنَّا نمارس الترجمة التوصيلية، وإذا ضغطنا الألفاظ وأتينا بقافيةٍ ووزن كنا نُمارس الترجمة الدلالية، أمَّا إذا ترجمنا الألفاظ بمعانيها الدقيقة فسوف نكون ممارسين للترجمة الوثائقية، وأمَّا إذا تخَطَّينا ذلك كله إلى ما يريد الشاعر أن يفعله؛ أي باعتبار القول فعلًا في سياقٍ يُشارك فيه المستمع أو القارئ، ثم حاولنا محاكاة هذا الفعل بالإنجليزية إزاء قارئٍ إنجليزي لا عربي؛ فسوف نكون قد اقتربنا من الترجمة الوظيفية.

ماذا يفعل الشاعر هنا؟ هل تكحيل الجفون بالوسن يوازي النوم الهانئ؟ وهل فعل يكحل مقصورٌ على النوم؟ يقول شوقي:

(١٨) يا حبيبي كحَّل السُّهد جفوني   مُذ نَبا طيفك عن عيني وغاب

وإذن فإن تكحيل الجفون من مصطلح اللغة الاستعاري a figurative idiom، الذي لا يُمثِّل صورةً شعرية خاصة (to apply kohl to the eyelids)؛ لأن الكحل قد يكون النومَ وقد يكون السُّهاد، وإذا كان من المتصوَّر أن يتسبَّب السُّهاد في إضفاء الظِّلال والغضون على الوجه أو العين، كقولك: a face or an eye lined with anxiety أو shaded with worry أو darkened with insomnia، كما يقول الشاعر (شوقي):

(١٩) حيران القلب مُعذَّبه   مقروح الجفن مُسَّهده

والمقصود بالمقروح هو الملتهب sore أو حتى inflamed بسبب كثرة السُّهاد، فإنه من العسير إطلاق الوصف نفسه على الجَفن الذي ينعم بالنوم! ولا بد إذن أن يكون للكحل هنا معنًى جميل، فهل تُرى يوازي:

You have adorned your eyes with the kohl of sleep?

فإذا تخطَّينا هذه العقبة، وجدنا عقبة الطيف، وهي كلمةٌ ذات تاريخ طويل في الشعر العربي، فكان الشعراء يعنون به صورة الحبيبة التي تتراءى لعين الحبيب بعد الرحيل أو في المنام، وعلى هذا يمكن تفسير بيت شوقي الأول، وإن كان يمكن تفسير «مُذ نبا طيفك عن عيني وغاب» بأنه يعني «منذ أن افترقنا فلم أعد أراك». والطيف قد يكون خيالًا phantom أو ظلًّا shadow أو صورةً image أو وَهمًا phantasy، وقد يُدهش القارئ لإيرادي كلمة phantom التي شاعت اسمًا لطائرةٍ أمريكية، كما شاعت باعتبارها لفظةً موازية للشبح ghost (مع أن هذه الأخيرة أقرب إلى الروح أو النفس مثل الألمانية Geist)، ولكن الشعر الإنجليزي يعرف الكلمة بالمعنى العربي؛ إذ يقول وردزورث:

(20) She was a *phantom* of delight
When first she gleamed upon my sight
A lovely *apparition* sent
To be a moment's ornament
Her eyes as stars of twilight fair;
Like twilight's, too, her dusky hair
But all things else about her drawn
From May-time and the cheerful dawn,
A dancing *shape*, an *image* gay,
To haunt, to startle, and way-lay.

وقد رسمتُ بالحروف المائلة الكلمات التي تُقابل الطيف لدينا حتى لا يقنط المترجم من إيجاد مرادف لكلمتنا العربية، مهما تردَّد وحار في المفاضلة استنادًا إلى التفسير الخاص به، وأمَّا معنى البيت الأول فالإضافة فيه تُضيف الوصف، فهو ليس «طيف البهجة» بل الطيف البهيج، كقولك بالعربية رجل المروءة والكرم (ونحن نقول بالإنجليزية أيضًا a man of generostiy)، والمقصود هو الطيف الذي يبعث السرور والحبور، وكلمة

apparition توازيها في المعنى، فهي طيفٌ أيضًا، ولو أن المُحدثين يستعملون الكلمة في وصف «الشبح»؛ أي كل ما يتراءى للإنسان دون أن يعرف ماهيته. وقِس على ذلك كلمة shape التي تتميَّز بالمزيد من التحديد، ثم نصل إلى image ذات المعنى المحدَّد؛ أي إن الشاعر يسير بخطواتٍ محسوبة من الطيف المجرَّد إلى الصورة المحدَّدة، كأنما يزداد الطيف وضوحًا وتحديدًا كلما اقتربنا منه! وهاك ترجمةً «وظيفية» لأبيات وردزورث (قبل أن نعود إلى صفي الدين الحِلِّي):

(٢١) كان طيفًا طاف بالفرح عَلَيَّا
حين لاحَ برقُه في ناظريَّا
طيفُ حُسنٍ من وراء الغيب مرسل
رصَّع اللحظة بالدُّر جليًّا
مقلتاها في جمال نجمتَين
تسطعان في الأفق
شعرُها مثل الشفق
لونُه من الغسق
ما عدا ذاك لديها مستقًى من الربيع
وابتسامة السَّحَر
قُل خيالٌ راقصٌ حولك
صورةٌ ذات مراحٍ تسكنك
فِتنةٌ قد تتربَّص .. أو تفاجئك!

ولن أُناقش هنا ترجمة الشعر فقد أفردت لذلك كتابًا هو «الترجمة الأدبية» (الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٧م)، ولكنني هنا أحاول أن أُبيِّن وحسب أن الطيف والخيال والصورة كلماتٌ مألوفة في الآداب الغربية، والقارئ العربي الذي يسمع «قولي لطيفك ينثني عن مخدعي»، يتصوَّر أن ذلك مقصورٌ على آدابنا، وما هو كذلك، ولكن الصعوبة في قصيدة «قالت» تكاد تنحصر في فعل «القول» نفسه؛ فالإنجليزي لا يستخدم say ومشتقاته في كل موضعٍ كما نفعل بالعربية، بل هو يقول «سأل»، «أجاب»، «استفسر» ... إلخ. وكثيرًا ما يُحوَّل مقول القول إلى جملةٍ تحمل مفاد القول لا الكلمات ذاتها، ومن هنا فإن الترجمة المعتادة للحديث النبوي مثلًا عادةً ما تكون وثائقية بسبب

ضرورة نقل مقول القول حرفيًّا لا مفاده، ومفاده هو ما نقصده بتعبير «ما معناه كذا ...» وكذلك الأمر بالنسبة للنصوص الدينية وعلى رأسها كتاب الله العظيم، أمَّا في الشعر وفي الأدب، بل وفي النصوص غير الأدبية أيضًا، فللكاتب أن يتحرَّر من الالتزام بمقول القول، وله أن يُحوِّل الحديث المباشر direct speech إلى حديثٍ مرويٍّ أي غير مباشر، وهذا يُخرجنا من الترجمات الوثائقية إلى الترجمة الوظيفية وفقًا لتعريفها السابق، وهنا سنجد أن النص المترجم سوف تتعدَّد صوره بتعدُّد مفاهيم المترجمين عنه وعن القارئ المتوقَّع له، وباختلاف تفسيراتهم لجمالياته aesthetic features؛ أي خصائصه الشعرية poetics (ويُترجمها بعض المحدثين بالشعرية وحسب)، وهذا هو الواقع الذي نشهده فعليًّا في ترجمة معظم الأعمال الأدبية القديمة أو المعاصرة؛ ولذلك فأنا أومن بضرورة الجمع بين مذهب الترجمة الوثائقية (انظر الملحق الثالث) ومذهب الترجمة الوظيفية؛ حتى تُوفِّر الضوابط اللازمة لصدق محاكاة (imitation) النص المترجم للنص الأصلي وصدق تمثيله له (representation) في الحالات التي تتعذَّر فيها المحاكاة.

وهكذا نجد أن ترجمة بيت صفي الدين الحِلِّي يمكن أن تتخذ عدة صور وفقًا لكل مذهبٍ من المذاهب الثلاثة السابقة (أي الوظيفية، والوثائقية، والجامعة بينهما).

(1) “You’ve happily slept [in my absence]”, she said “Only”, I replied, “in the hope of dreaming of your beautiful face”.

(2) “You’ve adorned your eyelids with the kohl of sleep”, she said.

“Only in expectation”, I said, “of your beautiful phantom”.

(3) “You’ve been sleeping well in my absence”, she said; “true”, I replied, “but only in the hope of dreaming of your lovely image”.

وأعتقد أن ذلك يكفي لإيضاح المقصود، وسوف أورد أبيات صفي الدين الحِلِّي التي يُغنِّيها عبد الوهاب كاملةً مع أقل قدر (a modicum of) من التعليقات:

قالت كحلت الجفون بالوسن	قلت انتظارًا لطيفك الحسن
قالت تخلَّيت بعد فُرقتنا	قلت عن مسكني وعن سكني
قالت تشاغلت عن محبتنا	قلت نعم بالبكاء والحزن
قالت تخلَّيت قلت عن جَلَدي	قالت تغيَّرت قلت في بدني
قالت أذعت الأسرار قلتُ لها	صيَّر سري هواك كالعلن

قالت سررت الأعداء قلت لها　　　ذلك شيء لو شئت لم يكن
قالت فما ذا تروم قلت لها　　　ساعة سعد بالوصل تُسعدني

أي إن لفظ قالت وقلت يتكرَّر ١٦ مرةً في غضون سبعة أبيات، ولاحظ الإيجاز الشديد في بعض الأبيات؛ كأن يستخدم الشاعر فعلًا دون مفعول، وهذا ممَّا يصعب نقله إلى الإنجليزية إلا بتصرُّفٍ كبير؛ فالفعل «تخلَّيت» في البيت الثاني يمكن ترجمته "You've turned away" مثلًا، حتى نتجنَّب المفعول به، ولكن للمعنى بقية لا مناص من إيرادها، وهو «التخلي عن المسكن»، وهو لا يقصد هنا الانتقال إلى شقةٍ أخرى، بل يقصد التشريد (homelessness not moving house)؛ أي إنه أصبح بلا مأوًى؛ لأن الحب كان مأواه! و«التخلي عن السكن» بمعنى هدوء البال أو وراحة النفس (Peace of mind)، ومعنى ذلك الإصرار على إيجاد فعل يقبل الوقوف وحده، ويقبل أيضًا الدخول في عَلاقةٍ منطقية مع بقية العبارة، ولم أستطِع أن أعثر على ديوان صفي الدين الحِلِّي حتى أتحقَّق من صحة هذا الفعل، ولكن وجود الفعل نفسه في البيت الرابع يجعلني أظن أن عبد الوهاب قد استبدله هنا بالفعل الأصلي الذي قد يكون «تحوَّلت»، وإن كان ذلك لا يقلِّل من الصعوبة القائمة. وأمَّا «تشاغلت» فالمقصود بها وجدت ما يلهيك (found a diversion) لا وجدت ما يُعزِّيك أو ما يُسرِّي عنك (solace and comfort)، والجَلَد هو fortitude مثلًا إذا كان المقصود القدرة على تحمُّل معاناة البُعد عن المحبوب أو patience أو ما إلى ذلك، وسوف نُلاحظ أن التغيير «في البدن» يجب ألَّا يخرج بالإنجليزية على هذه الصورة (in body/physically … etc)، وإلا أوحى بتحوُّلات المسخ metamorphosis، والأفضل أن تكون الصيغة على النحو التالي مثلًا:

"You've changed", she said; "only by wasting away/pining for your love/wilting etc".

ولنلاحظ أن الأسرار قد تعني secrets وقد تعني confidence خصوصًا بين المحبِّين، والعلن ليس public (أو publicity التي تعني الدعاية)، بل هو common knowledge، كما أن «يسر» تعني هنا to gladden the heart of وليس please أو gratify، وأخيرًا فإن «تروم» ينبغي أن تفسَّر عدة تفسيرات ليس من بينها want! وسأتركها هي وموضوع السعد لخيال القارئ، كما سأترك فكرة الوصل، وإن كنت أقول إنها يمكن أن تعني consummation مثلما تعني reunion؛ أي اجتماع الشمل بعد الفراق!

الملحق الثالث:
مصطلحات نظرية الترجمة الوظيفية

نظرية الفعل action theory

(انظر **translation action**).

كفاءة/كفاية التوصيل adequacy

(بالألمانية: **adäquatheit**)

يُقصد بالمصطلح أن يكون النص المترجم كافيًا لتحقيق غرض التوصيل المحدَّد؛ أي الذي حدَّده المترجم لنفسه فيما يسمَّى بمهمة الترجمة brief؛ أي إن الكفاءة أو الكفاية تعتمد على المهمَّة وعلى الغاية من فعل الترجمة translation action. ومن الأمثلة على كفاءة أو كفاية التوصيل ترجمة عبارة مثل «رحم الله شوقي إذ قال ...» بالجملة الإنجليزية التالية:

"How right Shawqi was to say ..."

فهي تكفي لتوصيل معنى الجملة العربية دون التقيُّد بألفاظها المحدَّدة.

الإعلان advertising

(انظر **appellative function**).

المرمى aim

(انظر **goal**)

التضاد antonymy

(انظر **sens relations**)

«تحقيق» استجابة المتلقي appellative function

يُقصد بالمصطلح استخدام «علامات» لفظية أو غير لفظية لتحقيق الاستجابة المطلوبة من المتلقي أو ورد الفعل المطلوب منه. ويُشار إلى هذه المهمَّة باسم «وظيفة وسيلة الاتصال»، وقد يُطلق عليها تعبير *operative* بمعنى «العاملة»؛ أي مهمَّة إبلاغ السامع بعض المعلومات استنادًا إلى معرفة المتلقي لمعنى العلامة، اللفظية أو غير اللفظية، وقد يُطلق عليها phatic (كما يقول جاكوبسون) بمعنى الإبقاء على الاتصال قائمًا مع المتلقي؛ أي إبقاء قناة التواصل مفتوحةً مهما تكن العلامات المستخدمة في ذلك (انظر **phatic function** في هذا الملحق)، وتسمَّى بالألمانية *appellfunktion*. ومن الوظائف الفرعية المنبثقة عنها وظيفة الإيضاح بالأمثلة illustrative، أو الإقناع أو الاستمالة persuasive، أو الأمر imperative، أو التعليم pedagogical، أو الإعلان advertising وغيرها. وتعتمد هذه المهمَّة على حساسية المتلقي واستعداده وخبراته ومعارفه السابقة. وهذا مثالٌ عليه من العامية المصرية:

«حلفت لانت شارب! اتفضل. عشان خاطري! نقطة واحدة يا أخي!» التي تتضمَّن محاولة الإقناع مع تكرار الدعوة بعدة طُرقٍ فرعية متداخلة تستند إلى خبرة المتحدِّث بخلفية السامع، وقد تُقابل هنا:

Come on, have a drink! One for the road, you know! A drop of wine never did anybody any harm!

وتتداخل الوظائف الفرعية وتتنوَّع من موقفٍ إلى موقف.

التكليف assignment: يُقصد به عادةً تفاصيل مهمَّة الترجمة التي يُكلَّف بها المترجم، بما في ذلك الأجر المحدَّد والمدة المحدَّدة للترجمة، وتفاصيل مهمَّة النص المترجم.

ضدان، لفظان متضادان binary antonyms

(انظر **sense relations**)

المهمَّة، الغرض التوصيلي من الترجمة brief

والمهمَّة في الحالات المثالية تتضمَّن إيضاح الغرض من الترجمة لدى المتلقي، وتعريفًا لنوع المتلقي (المتوقَّع) وأسلوب النشر، والدافع على إخراج النص أصلًا.

cognitive synonymy

(انظر **sense relations**)

commissioner

(انظر **initiator**)

Communicative interaction

(انظر **documentary translation**)

Community interpreting

(انظر **interpreting**)

connotations

(انظر **sense relations**)

consecutive interpreting

(انظر **interpreting**)

construction

(انظر **structure**)

أعراف، مواضعات conventions

يُقصد بالأعراف هنا قواعد السلوك الضمنية وغير الملزمة، والتي تقوم على ما يعرفه الجميع، أو معظم الناس، وما يتوقَّعون منك أن تنتظره منهم في كل حالةٍ على حدة، مثل توقُّع ترجمة المسرح بالفصحى المعاصرة (لا العامية ولا الفصحى التراثية)، وتوقُّع ترجمة الشعر نثرًا (لقلة عدد ممارسي ترجمة الشعر شعرًا)، وتوقُّع رطانة «أسلوب الترجمة».

Converse pairs

(انظر **sense relations**)

عنصرٌ ثقافي، ملمح ثقافي cultureme

ظاهرةٌ اجتماعية تنتمي لثقافةٍ ما، ويراها أبناء هذه الثقافة أصيلةً ومهمَّة، فإذا قارنوها بظاهرةٍ اجتماعية مقابلة لها في ثقافةٍ أخرى وجدوها خاصةً بثقافتهم.

الخصوصية الثقافية culture specificity

ظاهرة الخصوصية الثقافية هي اقتصارها شكلًا أو وظيفةً على ثقافةٍ واحدة من الثقافتَين اللتَين تجري مضاهاتهما في الترجمة.

dethronement

(انظر **source text**)

Didactic

(انظر **referential function**)

directive

(انظر **referential function**)

distich

(انظر **macrostructure**)

الترجمة الوثائقية documentary translation

نوعٌ من الترجمة يهدف إلى إخراج صورة دقيقة (وثيقة) في اللغة المترجم إليها من عملية «التفاعل التوصيلي» أو ما يُسمَّى بمصطلح *communicative interaction*) أو بعض مظاهر هذا التفاعل؛ أي التواصل بين المرسِل والمستقبل، القائم بين كاتب النص الأصلي والجمهور الذي يتوجَّه إليه بالكلام من خلال الأعراف الثقافية في النص الأصلي. وفي إطار هذه الترجمة الوثائقية يستطيع الدارس أن يرصد أشكالًا شتَّى لها. الأول هو ترجمة كل سطر بسطرٍ واحد *interlinear translation*، وهي التي تُستخدم في الدراسات اللغوية لتبيان الفروق بين التراكيب اللغوية على مستوى الجملة أو السطر الواحد، وهو سبب تسميتها بـ *interlinear* التي كانت تعني طبع الكتاب المقدس بلغَتين في سطورٍ متناوبة بينهما، وهي لا تصلح لترجمة اللغة العربية، والمثال عليها من القرآن (أول سورة البقرة) هو:

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى﴾

(a guidance) (there in) (no doubt) (the book) (that)

﴿لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾

(in the unseen) (believe) (who) (for the god–fearing)

والثاني هو الترجمة الحرفية *literal translation* وهي التي يحوِّل فيها المترجم النص الأصلي إلى تراكيبَ نحوية واصطلاحية خاصة باللغة المنقول إليها وهو يترجم الكلمات نفسها، وقد يُطلق عليها أحيانًا تعبير *grammar translation*، وهي التي تُستخدم في نقل ألفاظ الساسة بحذافيرها خوفًا من استخدام لفظ لم يرِد أو لم يقصده السياسي، وأحيانًا ما تُستخدم في ترجمة بعض التراكيب الأدبية الخاصة بثقافة اللغة المنقول منها.

«كان اجتماعًا هادئًا سادته روح التفاهم والتعاون».

"Our meeting was quiet, dominated by a spirit of understanding and cooperation"

وهذا مثالٌ من المقتطفات الأدبية:

مَن يزرع الشوك لا يحصُد به العنبا.

He who plants a thorn cannot have grapes for a harvest.

والثالث هو الترجمة التي تهدف إلى تقريب نص قديم إلى أذهان القارئ المعاصر بإضافة شروح للكلمات الخاصة بتاريخ اللغة المنقول منها أو ثقافتها في الهوامش *marginalia* أو الحواشي *endnotes* أو في ثبت ألفاظ ملحق بالنص *glossary*؛ ولذلك تُسمَّى ترجمة فقد اللغة أو ترجمة العلماء *philological translation/learned translation*، والمثال عليها من المتنبي:

ما سَدِكت علةٌ بمورود	أكرم من تغلب بن داود
يأنف من ميتة الفراش وقد	حلَّ به أصدق المواعيد
ومثله أنكر الممات على	غير سروج السوابح القود

Never had sickness a sickman gripped
More gracious than Taghlib ibn dawood. (1)
Too proud to accept death in bed,
Now that the trust promise had been fulfilled. (2)
Like him was he who death disdained
Not mounted on the saddle of a galloping steed. (3)

فلن يجد المترجم هنا مناصًا من الإشارة في الهوامش أو الحواشي إلى أن تغلب بن داود كان ابن عم الشاعر في الهامش الأول مثلًا، وأنه يرثيه، وربما أضاف أن أصدق المواعيد يقصد به الموت في الهامش الثاني، وعليه أن يُشير إلى أن المقصود في البيت الثالث هو خالد بن الوليد (في هامشٍ ثالث)، الذي يحكي عنه أنه قال وهو يُحتضر: «ليس في جسدي موضع شبرٍ إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية، وها أنا ذا أموت حتف أنفي كما يموت البعير (وفي رواية أخرى «الحمير») فلا نامت أعين الجبناء.»

والرابع هو الترجمة التي تؤكِّد الغرابة أو التغريب؛ ولذلك تُسمَّى ترجمة الإغراب *foreignizing/exoticizing translation*، والمقصود بالمصطلح أن يحافظ المترجم على الخلفية الثقافية للنص الأصلي في هذا اللون من الترجمة الوثائقية، بحيث يشعر القارئ بغرابة ما يقرأ أو بغربته عنه، وقد شاع هذا الشكل الأخير في ترجمة الآداب الأوربية إلى العربية، حتى أصبح القارئ العربي يتوقَّع بل ويستسيغه، فكأنما يقوم المترجم هنا

بمهمَّة الدليل الذي يُطلع القارئ على ما لا يعرفه، ولا يؤدِّي مهمَّة المؤلِّف الذي يستند إلى علم القارئ بالخلفية الثقافية، ومثال ذلك أيضًا من المتنبي:

ما كنتُ أحسبني أحيا إلى زمن   يسيء لي فيه كلبٌ وهو محمود
ولا توهَّمتُ أن الناس قد فُقدوا   وأن مثل أبي البيضاء موجود
وأن ذا الأسود المثقوب مِشفره   تطيعه ذي العضاريط الرعاديد

I never thought that I would live to a time when
A cur could dare abuse me, while praising him,
Or ever imagined that all people were lost
That such as the father of the fair girl could exist
Or that a blackman who, camel-like, has a pierced snout
Would be obeyed by a cowardly, food-waged crowd!

ففي هذا اللون من الترجمة الوثائقية يؤدِّي التغريب إلى عدم إدراك القارئ الإنجليزي لمعنى «أبي البيضاء»؛ فالتعبير يتضمَّن سخريةً لا بد أن تضيع على مَن لا يعرف الثقافة العربية، ويقول أبو العلا المعري في شرحه للبيت: «لقَّبه بضد اسمه كما يقال للأعمى: البصير» (معجز أحمد ٤ / ١٧٣). أي من لا يعرف التلميح والتعريض في البلاغة العربية، كما أن الاحتفاظ بصورة المشفر المثقوب، ونسبته إلى الجمل يدهش القارئ الأجنبي بسبب غرابة الصورة. أضف إلى هذا المعنى المضمر في «الناس»؛ أي إنه لا يعتبره من الناس، ولا يجوز في الترجمة الوثائقية إضافة real إلى الاسم بالإنجليزية، وأمَّا المعنى الحقيقي لعبارة المتنبي فهو:

"... that there were no more people".

emotive

(انظر **expressive function**)

endnotes

(انظر **documentary translation**)

equifunctional translation

(انظر **instrumental translation**)

التعادل، المعادلة equivalence

معنى المصطلح هو تعادل القيمة التوصيلية أو «الوظيفة» بين نصٍّ أصلي ونص مترجم، أو، على المستويات الأدنى بين الكلمات أو العبارات أو الجمل أو التراكيب اللغوية في اللغتَين (على نحو ما هو معروف في علم اللغويات المقارنة).

مثال: كلمة «تفضَّل» وحدها بالعربية قد تعني:

- Will you be so kind as to …
- Be kind enough to …
- Will you please …

ولكن لها سياقات تخرج قيمًا توصيلية مختلفة مثل:

- تفضَّل (بالدخول).
- تفضَّل (بالخروج).
- تفضَّل (بتناول الطعام أو الشراب).

وكلٌّ منها تستلزم للمعادلة عبارات كاملةً بالإنجليزية، قد تتضمَّن فعلًا هو please مثل:

Please come in/will you please leave/help yourself, please/drink up, please

فالمعادلة هنا وظيفية وتوصيلية معًا، وفي العامية المصرية قد تختلف الدلالة إذ قد تعني الكلمة !there you are أو !here we are.

evaluative

(انظر expressive function)

exoticizing

(انظر documentary translation).

الوظيفة التعبيرية expressive function

معنى المصطلح استخدام «علامات» لفظية أو غير لفظية للتعبير عن مشاعر الفرد أو موقفه إزاء الأشياء أو الظواهر. وتعتمد هذه الوظيفة أو ترتبط ارتباطًا وثيقًا بموقف المرسل *sender-oriented*؛ أي إنها لا تتحقَّق إلا إذا تحقَّقت توقُّعات المرسل (المتكلِّم/الكاتب) في مدى فهم المستقبِل (السامع/القارئ) للرموز الثقافية في «الرسالة».

وتنقسم الوظيفة عادةً إلى شعورية *emotive* وتقويمية (تقييمية) *evaluative* وغيرهما؛ فالوظيفة الشعورية تتطلَّب من المترجم تفسيرًا للرموز أو العلامات الثقافية، في حين لا تتطلَّب الوظيفة التقويمية إلا الالتزام بما يوحي به النص من حكمٍ من أحكام القيمة. وقد تتشابك الوظيفتان، وقد نجد وظيفةً تعبيرية أخرى هي التورية الساخرة *irony* (أو السخرية كما ترجمها مجدي وهبة)، وسنضرب مثالًا لترجمة كل نوع. أمَّا النوع الأول فهو مباشر:

عَلِّلاني فإن بِيض الأماني فنيت والظلام ليس بفاني

Oh, give me solace! For the bright hopes are gone,
And the darkness [I live in] is endless.

فالمترجِم هنا يفسِّر الظلام بأنه كفُّ بصر أبي العلاء؛ ولذلك أضاف «الذي أعيش فيه»، وكان يمكنه أن يصله بالأبيات التالية، حيث يخاطب أبو العلاء الليل «ليلتي هذه …» والنوع الثاني مثاله (من أبي تمام):

السيف أصدق أنباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

The sword’s report is more truthful
Than what any epistle may say
Its sharp edge surely will
Separate seriousness from play.

فالتعبير هنا يقدِّم حُكمًا لا يتطلَّب قدرًا كبيرًا من التفسير. والنوع الثالث مثاله:

أيها المنفي عن حلم السماء
لم يطل ليل ولا تاه صباح
فاغتمض لا تملأ الدنيا عواءً
عم صباحًا!

O you, exiled from heaven’s dreams,
The night is not too long,

Nor has the light of morning gone astray
Do go to sleep, enough of howls and screams!
Good morning, and good day!

فإبراهيم عبد القادر المازني يخاطب نفسه، ثم يجعل الليل يخاطبه، ويستعمل السخرية في إنكار طول الليل مع إثباته، بتأكيد أنه بات الليل سُهادًا، ولا شك في دلالة العواء على نبرة السخرية، وإن كان المترجم قد أضاف إليها كلمةً أخرى من أجل القافية.

الأمانة fidelity

معنى المصطلح العلاقة بين النص المترجَم منه والنص المترجَم، في إطار نظرية الترجمة الوظيفية. ويشار إليه أيضًا بتعبير *intertextual coherence*.

gestalt

(انظر suprasegmental features)

معجم خاص (ملحقٌ بالنص) **glossary**

قائمةٌ مرفقة أو ملحقة بنصٍّ ما لشرح ما ورد فيه من كلماتٍ خاصة به أو بالمصطلحات الخاصة بالمبحث الذي يتناوله مثل الملحق الحالي.

(انظر **documentary translation**)

هدف goal

تُستخدم هذه الكلمة مرادفةً لكلمة *aim* بمعنى المرمى في نظرية الترجمة الوظيفية، وكلاهما يرمي إلى رصد الهدف النهائي من الترجمة لا الغرض المباشر *purpose* ولا المقصد المرحلي *interim target*.

gradable antonyms

(انظر **sense relations**)

grammar translation

(انظر **documentary translation**)

heterofunctional

(انظر **instrumental translation**)

homologous

(انظر **instrumental translation**)

تعدُّد معاني الكلمة homonymy

يُطلق تعبير *homonyms* على المعاني المتعدِّدة التي لا علاقة بينها للكلمة الواحدة (انظر «شذا» في النص الإنجليزي)، والمقصود بالكلمة هنا مجموعة الأصوات التي تدل عليها، أو مجموعة الحروف التي تُكتب بها، فإذا كان الصوت واحدًا والمعاني مختلفةً أُطلق على الكلمتَين (أو الكلمات) مصطلح *homophones*، وإذا كانت الحروف واحدةً والمعاني مختلفة أُطلق مصطلح *homographs*، ويوصف تعدُّد المعاني في الحالتَين بأنه *polysemy*، ولكن التفريق مهم لواضعي المعاجم.

hypernyn (انظر **sense relations**)

النص الجامع، النص الأم hypertext

هو أي نص مهما يكن الشكل الذي يتخذه — قولًا أو كتابةً وباللغة وبغيرها من الوسائل (الوسائط *media*) — ويتضمَّن في بطنه نصوصًا أخرى. ومن الأمثلة عليه المؤتمر السياسي مثلًا؛ فهو نصٌّ جامع يتضمَّن خُطَب الوفود ومناقشات المندوبين، وهو يحدِّد وظيفة الترجمة الفورية على مستويات التكليف (انظر assignment)، ووظيفة الترجمة التحريرية على نفس المستويات. وهكذا فإن كل ما يُقال يُعتبر من العوامل المتغيِّرة (المتغيِّرات – النصوص الصغيرة) داخل النص الجامع أو النص الأم.

hyponymy (انظر **sense relations**)

illustrative

(انظر **appellative function**)

Imperative

(انظر **appellative function**)

Informative function

(انظر **referential function**)

صاحب المبادرة، المبادرة initiator

شخصٌ أو مجموعة من الأشخاص أو مؤسَّسة تُنسب إليها الدَّفعة الأولى، أو دَفعة البداية في عملية الترجمة، وهي التي تُحدِّد مسار عملية الترجمة من خلال تحديد الغرض الذي يُترجم المترجِم النص من أجله. ويُشار إلى ذلك أيضًا باسم صاحب التكليف commissioner، ولو أن هذه ترجمة غير دقيقة للكلمة الألمانية Auftraggeber.

الترجمة الهادفة instrumental translation

يُقصد بالمصطلح أن يهدف النص المترجَم إلى تحقيق مستوًى مُعيَّن أو **نوع مُعيَّن** من الوظائف التي ينهض بها النص الأصلي، فإن «**تماثلت**» الوظيفة للنص المترجم مع

وظيفة النص الأصلي، كانت الترجمة «**مماثلة**»*equifunctional*، وإن اختلفت وظيفته عن وظيفة النص الأصلي كانت الترجمة «**مغايرة**»*heterofunctional*، وإذا كانت المكانة (الأدبية) للنص المترجَم في إطار الثقافة الخاصة باللغة التي نُقل إليها النص، توازي مكانته الأدبية في لغته الأصلية وثقافته الأصلية، أصبحت الترجمة **مجانسةً** له؛ أي *homologous*، والأمثلة على ذلك يسيرة (انظر مقدمة **تاجر البندقية** تأليف شيكسبير، ترجمة محمد عناني ١٩٨٨م)، وأول مثال على التماثل هو:

no entry = ممنوع الدخول

وغير ذلك ممَّا اصطُلح على تماثله بين اللغتَين العربية والإنجليزية، أمَّا المثال على **التغاير** فهو استحالة ترجمة **رحلات جاليفر** التي كتبها الشاعر والروائي جوناثان سويفت لينتقد بعض الملامح السياسية والاجتماعية في القرن الثامن عشر مع الاحتفاظ بروح النقد الأصلي، وتغيير النص في العربية بحيث يُصبح قصةً من قِصص الأطفال، وقد يقتضي التغاير تبديل بعض الملامح الثقافية واللغوية للنص عند الترجمة.

أمَّا **التجانس** (الذي أسميته في مقدِّمتي لتاجر البندقية بفن إيراد **المقابل**)، فمعناه محاولة المترجِم محاكاة النص الأصلي في اللغة المنقول إليها، بحيث يصبح — إلى حدٍّ ما — **مقابلًا** للنص المترجَم عنه. وقد يقتضي ذلك محاولة إيراد المقابلات الثقافية والمواقفية والتداولية للغة والصور والشخوص، ويتجلَّى ذلك في ترجمة الشعر شعرًا، فإذا كان إلى العربية فلا بد أن يتسم بطابع الشعر العربي؛ حتى لا يشعر القارئ أنه يقرأ نصًّا أجنبيًّا. ويقول فيرمير إن محك القياس الثالث هنا *tertium comparationis* يقع بين النص الأصلي والنص المترجم، ويخضع لقواعد الفن الأدبي وفن الشعر الذي يشترك — رغم خصوصيته الثقافية — في ملامحَ عالمية.

وتقول سوزان باسنيت في كتابها (١٩٩١م) *Translation Studies* إن النوع الأخير يقتضي «تحويلات سيموطيقية» وفقًا لتعبير لودسكانوف *Ludskanov* أو «تبديلات إبداعية» وفقًا لتعبير جاكوبسون (صفحة ١٨).

القصد، المرمى intention

يشير المصطلح إلى «خطة عمل» من جانب المُرسِل أو المستقبل، تُحدِّد الطريقة الملائمة لإخراج النص أو تفهُّمه. وتتولَّى كريستيان نورد تعريف المصطلح من وجهة نظر المرسِل، باعتباره «القصد إلى تحقيق غرضٍ مُعيَّن من النص»، ولكن موقف المتلقي يقتصر على «توقُّع» نوع ما من معاني النص، (بالألمانية Absicht).

Intercultural transfer

(انظر **translation action**)

interlinear translation

(انظر **documentary translation**)

التفسير interpretation

يشير المصطلح إلى معنًى خاص هنا يختلف عن المعنى العام للتفسير (بمعنى تحديد معنًى مُعيَّن للنص)، فهو يدل على قُدرة القارئ على الاستدلال على مقصد المُرسِل ممَّا يحمله النص من مُؤشِّراتٍ تُميِّزه (*markers*) لغوية وأسلوبية وفكرية في إطار المعلومات المستقاة من خارج النص بشأن المُرسِل والحال الثقافي، والتي قد تكون قد ساهمت في وضع النص. ويخضع التفسير هنا لأربعة عوامل؛ أولها علاقة مقصد المرسل بالنص، والثاني علاقة مقصد المرسل بتوقُّعات المتلقي، والثالث العلاقة بين ما يُشير إليه النص والمتلقي، والرابع هو علاقة المتلقي بالنص. ويقول فيرمير في مقالٍ نُشر بالألمانية عام ١٩٨٦م ولخَّصته كريستان نورد (١٩٩٧م) إن لنا أن نفترض أن الكاتب الذي يتوقَّع قراءة ما يكتب، لا بد أن يُحدِّد لنفسه سلفًا ما يتوقَّعه القارئ، ثم يعمد إلى تحقيقه في النص؛ فالمرسِل والنص هنا «طرف» واحد، ويعتمد المترجِم في تناوله لموقف هذا «الطرف» على المؤشِّرات المميزة التي تُفصح عن مقصد الكاتب، فمقصد الكاتب الحقيقي مُضمرٌ في نفسه، ولا سبيل إلى معرفته إلا من خلال هذه المؤشِّرات. وهكذا فإن المترجِم هنا يُفسِّر المقصد، ويضع هو الآخر مُؤشِّراتٍ مميِّزة للنص وفق توقُّعاته عن قارئه، وتخضع هذه المؤشِّرات لا لمقصد الكاتب الحقيقي (إذا افترضنا إمكان تحديد هذا المقصد أو معرفته) بل لتفسير المترجِم للنص ومدى توقُّعاته عن قارئه. أمَّا تفسير القارئ للنص المترجَم فيعتمد على العامل الثالث، وهو حدود إدراكه لِمَا يتحدَّث عنه النص، وقدرته على تفسير المقصد على نحو ما يتجلَّى في الإشارات المميِّزة للنص المترجم.

فإذا افترضنا تطابق مقصد المترجِم مع مقصد الكاتب، وهذا مجرَّد افتراض قد لا يتحقَّق في كل الأحوال، فسوف يتوقَّف تفسير القارئ للنص المترجم لا على مقصد الكاتب ولا على المؤشِّرات المميِّزة لنصه، بل على مدى تجاوبه في حدود معرفته بما يشير إليه النص في العالم الخارجي من أفكارٍ أو أبنيةٍ أو أشياءَ، ومن خلال ما وضعه المترجِم من مؤشِّراتٍ لُغوية وأسلوبية وفكرية قد تتماثل وقد لا تتماثل مع المؤشِّرات اللغوية للنص الأصلي. وهذا هو المقصود بهذا المصطلح. ولمَّا كان معظم من كتبوا فيه من الألمان المولعين

بالتجريد، فلا بد من ضرب أمثلة توضيحية لهذا المصطلح الأساسي في نظرية الترجمة الوظيفية وعلاقته بعلم الدلالة. يقول شوقي:

يا نائح الطلح أشباهٌ عوادينا نأسى لواديك أم نشجى لوادينا؟
ماذا تقص علينا غير أن يدًا قصَّت جناحك جالت في حواشينا؟

O acacia warbler that does his lot lament
We're in the same predicament!
Shall we be chagrined by your valley
Or turn to my own, nostalgically?
What tale can you tell us today
But that the same hand
That has your wings clipped
Has my feathers plucked?!

فأمَّا في العامل الأول فهو مدى نجاح النص في تجسيد مقصد شوقي، وهو البكاء على حاله في منفاه في الأندلس، وهذا يدركه المترجم دون عناء، وأمَّا علاقة ذلك بتوقُّعات المتلقي فلا بد أن نفترض أن المتلقي هنا ملمٌّ بتراث الأندلس الشعري، وخصوصًا شعر ابن زيدون، وقصيدته النونية من بحر البسيط، وتوقُّعات المقابلات القائمة على الطباق والتوازي التركيبي، وأمَّا العامل الثالث فهو أعسرها؛ لأن معاني الكلمات غير محدَّدة، وربما لن تكون محدَّدة أبدًا؛ فالمتلقي مهما يكن علمه بالعربية لن يرسم في خياله أبدًا صورة «الطلح»، ولن يذكر قول المفسرين لقوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ (الواقعة: ٢٩) إنه يعني طلح الموز، أو اقتران الطلح بالطلع ومن ثم بالثمر من أي نوع. والأرجح أن القارئ العربي سوف يفسِّره باعتباره شجرةً كبيرة وحسب، وقِس على ذلك نأسى ونشجى، فهما من أفراد «الأسرة الواحدة»، وتكرار «الوادي» يُحدث لونًا من الولولة، والغموض المعتمَّد في «جالت في حواشينا» يؤكِّد مقصد الشاعر الأصلي والأهم ألَا وهو الوزن المختار والقافية المحددة — فالمتلقي يدرك ذلك ويتوقَّع من المترجِم أن يدركه أيضًا. هذان العاملان هما أهم المؤشِّرات المميزة (markets)، والمترجِم يحاول أن يقوم القارئ الأجنبي بتقبُّل هذا التفسير لأبيات شوقي.

الترجمة الفورية interpreting

يُعرِّفها الدارسون حاليًّا بأنها صورة من صور «فعل الترجمة»؛ أي «عملية الترجمة المقصودة»، ويقدَّم فيها النص الأصلي مرةً واحدة فقط، شفويًّا في العادة، وحيث لا بد من اعتبار عملية الترجمة هنا (مهما تكن عيوبها) كاملةً وتامة في لحظة إخراج النص المترجَم. والمعنى الجوهري الذي يفرِّق بين الترجمة (والمقصود بها التحريرية) وبين الترجمة الفورية هو اختلاف الغرض أو الوظيفة المنوطة بالأخيرة؛ فالهدف منها هو إفهام السامع ما يقوله المتكلِّم وحسب، حتى دون تفاصيل، وحتى مع الحذف الكثير. وفي إطار ذلك تنقسم الترجمة الفورية إلى ثلاثة أنواع: الترجمة الفورية حقًّا؛ أي التي يقدِّمها المترجم فور سماع النص، وتسمَّى simultaneous interpreting. والترجمة التتبُّعية consecutive interpreting، وهي التي يقوم فيها المترجم بتقديم ترجمةٍ لِما يسمع على فترات، كأن يكون ذلك بعد كل فقرة، أو حتى بعد كل عبارة. ويلي ذلك ما يُسمَّى بالترجمة التفاهمية community interpreting وهي التي يقتصر دور المترجم فيها على إفهام المتحدِّثين ما يقولونه لبعضهم البعض.

التجانس بين النصَّين intertextual coherence

يشير المصطلح إلى العلاقة بين النص الأصلي والنص المترجَم في إطار نظرية الترجمة الوظيفية، فإذا كان التجانس قائمًا وُصف المترجم بالأمانة، ولا يتعدَّى التجانس هنا قيام كلٍّ من النصَّين بالوظيفة نفسها، وفقًا لمفهوم المترجِم للنص الأصلي فحسب، وذلك يختلف من مترجِمٍ لمترجم.

التجانس الداخلي للنص intratextual coherence

تقول نظرية الترجمة الوظيفية إن النص المترجَم يجب أن يكون مقبولًا وله معنًى؛ أي يكون متجانسًا مع الإطار الذي يتلقَّاه المتلقي فيه. ومعنى «التجانس» هنا هو «الانتماء» إلى حالة التلقي، وهي الإطار الثقافي للمتلقي. والمعروف أن التجانس الداخلي هو التجانس الذي يحقِّق معنى أي نص، ولكن هذا التجانس لا يتحقَّق إلا من خلال التوافق مع «شروط التلقي الناجح»؛ فترجمة شيكسبير إلى العامية المصرية، خصوصًا في الكوميديا، تحقِّق ذلك، وإن كانت العامية هنا سوف تكون حتمًا ذات مستويات متفاوتة قد ترقى إلى الفصحى.

irony (انظر **expressive function**)

learned translation

(انظر **documentary translation**)

literal translation

(انظر **documentary translation**)

الولاء loyalty

معنى الولاء هو اعتبار النص الأصلي «أمانة»، واعتبار النص المترجم أيضًا «أمانة»، وتقتضي تأدية الأمانة هنا الحفاظ على التوازن بين هذا وذاك من خلال الحفاظ على انتماء كلٍّ منهما لثقافته الخاصة.

البناء الأكبر macrostructure

ومعناه تقسيم النص إلى أبوابٍ وفصول وفقرات وفقًا للأنماط الفكرية أو لهيكل الموضوع المطروح، وقد يُضطر المترجِم إلى تعديل الأبنية الكبرى للنصوص وفقًا لتوقُّعات المتلقي. وفي أبسط صور البناء الأكبر يلجأ المترجِم عند ترجمة الشعر مثلًا إلى تقسيم الأبيات تقسيمًا مغايرًا للتقسيم الأصلي، وقد يترجَم كل بيت من شطرَين *distich* إلى سطرَين يشتركان في قافيةٍ واحدة *rhyming couplet* أو حتى إلى فقرةٍ شعرية مستقلة *stanza*، وقد فعل ذلك فيتزجرالد في ترجمة رباعيات الخيام.

marginalia

(انظر **documentary translation**)

marker

(انظر **interpretation**)

meronym/meronymy

انظر **sense relations**))

message- transmitter

انظر **instrumental translation**))

metalinguistic function

انظر **referential function**))

modulation

انظر **suprasegmental features**))

operative

انظر **appellative function**))

Pedagogical function

انظر **appellative function**))

Persuasion

انظر **appellative function**))

وظيفة الحفاظ على الصلة الكلامية phatic function

والمقصود بها استخدام علامات توصيل لفظية وغير لفظية لإقامة الصلة بين المرسِل والمتلقي، أو للحفاظ عليها أو لإنهائها. ويتوقَّف فهم الصلة الكلامية على إدراك المعنى المتعارف عليه للعلامات اللفظية وغيرها، مثل ألوان التحية، والعبارات الاجتماعية المتعارف عليها، والتي قد لا تعني شيئًا في ذاتها. وقد تشترك ثقافاتٌ كثيرة في العبارات أو ألوان التحية نفسها، وقد تختلف فيها، ممَّا يتطلَّب عملية تحويل «عامدة» من جانب المترجِم؛ فالذي يسمع مصريًّا يحادث مصريًّا آخر دون إلمام بهذه الأعراف لن ينجح في نقلها إلى لغةٍ أوربية، وهذا نموذج:

أ: ناوي تبيع بكام؟

ب: صلِّ ع النبي

أ: اللهم صلِّ عليك يا نبي!

ب: كمان زيد النبي صلا ..

أ: اللهم صلِّ عليه .. هيه ..

ب: إن الله مع الصابرين ..

أ: يا أخي خلصنا .. حتبيع بكام؟

ب: من غير فلوس

A: What’s your selling price?

B: Bless the prophet! (?)

A: May he be blessed!

B: Once more blesse him!

A: May he blessed … well?

B: Patience is a virtue!

A: Come to the point, my brother!

How much will you charge?

B: Nothing at all!

فالحوار هنا مجرَّد وسيلة لإبقاء المساومة قائمةً حول السعر، ولا يُقصد به ما جاء في ترجمة المترجِم، وربما يكون من الأفضل من باب «الولاء» للنص المترجم أن يأتي المترجِم بمقابلاتٍ من الثقافة الإنجليزية (أو الأمريكية). وقد يدخل ذلك في باب الترجمة الوثائقية، في قسم التغريب أو الإغراب (انظر **documentary translation**).

polysemy انظر **(sense relations)**

الغرض purpose

معناه، بصفةٍ عامة، «الاستعمال» المقصود للنص المترجم؛ فنحن نتحدَّث عن ترجمة نص لغرضٍ مُعيَّن (تقديم مسرحية على المسرح/إذاعتها في الراديو أو في التليفزيون/قراءتها وحسب ... إلخ). وفيرمير يقول إن الغرض مرحلة مُؤقَّتة، يشير إليها بلفظ zweck في غمار عملية تحقيق الهدف النهائي ziel، وهو الذي يُعتبر النتيجة النهائية للترجمة.

الوظيفة الإحالية referential function

معنى ذلك استخدام علامات لفظية أو غير لفظية للإشارة إلى الأشياء والظواهر في العالم الخارجي أو في عالمٍ مُعيَّن، وتتفاوت هذه الوظيفة الإحالية بتفاوت الأشياء والظواهر، فيُفرِّق العلماء بين الوظائف الفرعية التالية؛ الوظيفة الإعلامية *informative*، والوظيفة الميتالغوية *metalinguistic* (أي المصطلحات المستخدمة في الحديث عن اللغة)، والوظيفة التوجيهية، *directive* وتتضمَّن الإرشادات والتعليمات والأوامر، والوظيفة التعليمية *didactic*. ويتوقَّف فهم الوظيفة الإحالية على وجود قدرٍ مشترك كافٍ من المعلومات «الإحالية» بين المُرسل والمستقبل. ومن النماذج على ذلك عُسر فهم النصوص الإحالية في العربية التراثية إلى الإنجليزية الحديثة؛ بسبب ضآلة «المعلومات المشتركة» بين العالم الذي باد وانقضى والعالم الحديث.

sender-oriented

(انظر expressive function)

علاقات المعنى sense relations

يُشير المصطلح إلى العلاقات القائمة بين معاني الكلمات؛ فالكلمات لا تعني شيئًا في عزلةٍ عن الكلمات الأخرى، بل هي تقوم بعملها في إطار عملية دينامية، وهناك عدة أنواع من هذه العلاقات، أهمها الترادف *synonymy* والتضاد *antonymy*. أمَّا الترادف فيعني التشابه أو التماثل التقريبي بين معنى كلمتَين؛ لأن التماثل الكامل مُحال بسبب وجود

سياقات مختلفة قد تلوِّن المعنى؛ مثل نَصَّاب ومحتال، أو السارق واللص، وقد يختلف ما نعتبره رسميًّا من المترادفات بسبب ظلال المعاني *connotations*، أمَّا إذا كان الكاتب يستطيع من ناحية المبدأ إطلاق أي كلمة من الكلمتَين على الشيء نفسه، أطلق على الحالة مصطلح الترادف المعرفي *cognitive synonymy*.

أمَّا التضاد فهو يعني دلالة إحدى الكلمتَين على ضد معنى الأخرى (لا على نقيضها الذي يتضمَّن النفي، ويُسميان في هذه الحالة *binary antonyms* مثل الحي والميت)، وبعض الكلمات المتضادة تتسم بما يُسمَّى بالتضاد المتدرِّج؛ فهي ضدان متدرِّجان *gradable antonyms*؛ أي إن معنى كل كلمة يُمثِّل الطرف الأقصى لحالةٍ من الحالات التي تتسم بالتدرُّج مثل الساخن والبارد. وهناك نوعٌ من الثنائيات التي يقتصر التضاد فيها على التقابل، ويُطلق عليهما مصطلح *converse pairs*؛ مثل الزوج والزوجة ومثل أعلى وأسفل. وتفسير ذلك وجود علاقة تربطهما معًا، «فإذا كنتُ زوجًا لكِ فأنتِ زوجتي»، وإذا وُضع شيء فوق شيء آخر أصبح الأعلى يرتبط بالأسفل. وهناك علاقةٌ من نوعٍ آخر هي ما يُسمَّى بعلاقة «بعض من كل» *meronymy*؛ أي أن يشير اللفظ إلى جزءٍ من شيءٍ آخر؛ فاليد هي «بعض» *meronym* الذراع، وكلاهما بعض الجسم. أمَّا مصطلح *hyponymy* فهو يخصِّص نوعًا أو حالة من شيءٍ آخر؛ أي يُخصِّص شيئًا يندرج تحت الاسم العام، الذي يُسمَّى *superordinate* أو *hypernym*؛ فالاغتيال نوعٌ من القتل، والشنق والرمي بالرصاص نوعان من الإعدام الذي هو نوعٌ مُعيَّن من القتل، وهناك أنواعٌ أخرى.

Simultaneous interpreting

(انظر **expressive function**)

بناء structure

يُقصد بالبناء اللغوي النمط أو الأنماط المحدَّدة في لغةٍ ما لبناء وحدات لغوية، وتفترق اللغات في ذلك، على اشتراكها في الكثير؛ ففي العربية لا لزوم للأفعال المساعدة في جملة المبتدأ والخبر مثلًا في حالة الزمن المضارع وإن كانت الأفعال تظهر في الماضي. ويُطلق اسم البناء بصفةٍ عامة إمَّا على النمط أو على «المثال»، وعادةً ما يُشار في الدراسات المتخصِّصة إلى النمط باسم *construction*، وإلى المثال أحيانًا باسم *syntagm* تركيب/ألفاظ مترابطة/مُركَّب لفظي. أمَّا العلاقات التركيبية *syntagmatic relations* فتعني العلاقات فيما بين عناصر المُركَّب اللفظي.

غرض (باليونانية) skopos

اشتق فيرمير من اليونانية مصطلح نظرية *skopostheorie* لتطبيق فكرة الغرض على الترجمة، وهو يقول إن معيار نجاح أي فعل من أفعال الترجمة هو تحقيقه للغرض منها، وقد بنت على ذلك كريستيان نورد نظرية الترجمة الوظيفية.

النص المصدر، النص المنقول، النص الأصلي source text

قد يتكوَّن النص الأصلي المطلوب ترجمته من مادةٍ لغوية وغير لغوية؛ مثل الأشكال التوضيحية والخرائط والجداول والرسوم البيانية أو الحركات أو حركات الجسم وملامح الوجه. وتقول كريستيان نورد (١٩٩٧م): «ويختلف دَور النص الأصلي في مناهج الترجمة الوظيفية اختلافًا جذريًّا عن الدور المرسوم له في النظريات اللغوية المبكِّرة أو النظريات القائمة على التعادل/المعادلة. وقد اتضح ذلك بجلاءٍ في الفكرة التي أشاعها فيرمير عن خلع النص الأصلي عن العرش (*dethronement*) (بالألمانية *Entthronung*)؛ إذ لم يعد النص الأصلي هو المعيار الأول والأخير لقرارات المترجِم، بل أصبح مصدرًا من مصادرَ شتى للمعلومات التي يستخدمها المترجم.» وتضيف قائلة: «ويجوز لنا أن نعتبر النص الأصلي في أي فعلٍ من أفعال الترجمة، شأنه في ذلك شأن أي نص آخر، «مجموعةً من المعلومات المعروضة» على القارئ، أو كما تقول رايس (في الكتاب الذي شاركَت فيرمير في وضعه بالألمانية عام ١٩٨٤م) «عرضًا من المعلومات» التي يواجهها أي مُتلقٍّ (والمترجم أحد المتلقين)، وله أن يختار ما يراه طريفًا أو مُهمًّا أو مُفيدًا أو كافيًا للوفاء بالغرض.»

وتُعلِّق نورد على ذلك قائلةً إن النص المترجَم يصبح، وفقًا لنظرية رايس وفيرمير «عرضًا جديدًا من المعلومات» في إطار ثقافة النص المترجم **حول بعض المعلومات المقدَّمة في إطار ثقافة المصدر ولغة المصدر.**

superordinate

(انظر **sense relations**)

ملامح النص الفوقية، الملامح الجامعة لأقسام النص، الملامح الممتدَّة عبر تقسيمات النص suprasegmental features

ترجع نشأة المصطلح إلى علم الصوتيات أو الأصوات، ولكنه تطوَّر فأصبح يعني بعض ملامح النص التي تتجاوز حدود تقسيماته الداخلية إلى ألفاظٍ أو أقسامٍ تراكيبية وجمل وفقرات، بحيث تُشكِّل الصورة الصوتية الكلية، «الجشتالط» (*gestalt*) أو «النغمة»

المحدَّدة للنص؛ ففي النصوص المنطوقة يُستدل على الملامح الفوقية من طابع الكلام الملفوظ، مثل النغمية *tonicity*، ومعناها لهجة الحديث التي قد تكون زاعقةً أو هادئة، أو جادةً أو هازلة، أو متحديةً أو مُسالِمة، وما إلى ذلك، ومثل تلوين إلقاء العبارات *modulation* أو تغيير النبرة إمَّا على «السلم الموسيقي» أو علوًّا وانخفاضًا.

وتتمثَّل الملامح الفوقية للنص المكتوب في أشكال الإيقاعات المستعملة، وتراكيب التركيز على شيءٍ دون سواه — على كلمةٍ أو عبارةٍ دون سواها مثلًا — أو بوسائل الطباعة مثل الكتابة بحروفٍ مائلة أو بالبنط الأسود.

والمترجم، وفقًا لنظرية الترجمة الوظيفية، غير مُلزمٍ بالحفاظ على الوسائل نفسها التي ترسم الملامح الفوقية التي تُحدِّد النغمة وما سواها في النص الأصلي؛ لأنه يكتب بلغةٍ مختلفة، ولها وسائلها المختلفة، ولكنه يستطيع بدافع «الولاء» للنصَّين إيجاد ما يرى من وسائلَ لإبراز الملامح التي يُهديه إليها ذوقه الفني، وتفسيره الخاص للنص الأصلي، ولمَّا كانت هذه الملامح أبرز ما تكوَّن في النص الدرامي فسوف أضرب مثالًا من شيكسبير، حيث تتفاوت اللغة بين الشعر والنثر والجد والسخرية، وكيف تصرَّفت الترجمة العربية عن طريق تغيير البحر، وإن التزمت بالشعر (نظمًا) والنثر:

Cornwall:

this is some fellow who, having been praised for bluntness,
    doth affect
a saucy roughness, and constrains the grab
quite from his nature he cannot faltter, he, 90
an honest mind and plain, he must speak truth!
and they will take it, so; if not, he's plain.
these kind of knaves I know, which in this plainness
harbour more craft and more corrupter ends
than twenty silly ducking observatns 95
that stretch their duties nicely.

Kent:

sir, in good sooth, in sincere verity,
under the allowance of your great aspect

Whose influence, like the wreath of radiant fire
on flickering phoebus' front,
Cornwall: what mean'st by this? 100
Kent: to go out of my dialect, which you discomment so much. i know, sir, I am no flatterer; he that beguiled you in a plain accent was a plain knave …

King Lear, II. II. 87–104

إن كورنوول يسخر ممن يتظاهر بالصراحة حتى يخفي وراءها مكرَ الطَّوية وخبث المرمى، والكلمة التي يقع عليها التركيز هي he في السطر ٩٠، وقد لاحظتُ في جميع تسجيلات المسرحية (وفي أدائها على المسرح) كيف يؤكِّد الممثِّل هذه الكلمة التي تقع في آخر السطر، وتكتسب ما يُسمَّى بتأكيد النهاية end focus، وهي تقابل في لهجتنا المصرية تعبير «بسلامته» أو «سيادته». كما نجد رنة التورية الساخرة في آخر حديث كورنوول (السطر ٩٦)، وهو يقول إن التابع الذليل الساذج (لاحظ تأكيد الصفات الثلاث) بفعل ما نسمِّيه بالعامية المصرية «توسيع الذمة»، ويصف ذلك بأنه واجبٌ وشيء لطيف!

that *stretch* their duties nicely.

وعلى الفور ينطلق «كنت» ليُثبت له أنه قادرٌ على المداهنة هو الآخر، فيُلقي بأربعة أبيات مُثقلة بزيف المديح! والنغمة هنا هي القصد الأساسي؛ أي إن «كنت» لا يهدف من قول ما يقول إلا أن يُحيِّر كورنوول ويجعله يتساءل عمَّا يعني، ممَّا استلزم استخدام البحر الطويل، مع بعض «العلامات» والمؤشِّرات الأسلوبية المميزة التي تُكسِب كلامه غرابة، وتحقِّق ما يرمي إليه من هدف. ويلاحظ أن تغير الملامح الفوقية للنص مضمر في الصياغة نفسها، في «الوقفة» بعد «سيادته»، واستخدام البحر الكامل وسط الرجز وما إلى ذلك، ثم العودة إلى النثر دليلًا على الخروج من متاهة النفاق والملق.

كورنوول:

بل ذاك شخصٌ غرَّه امتداح ما أبداه من صراحة،
فبات يصطنع الخشونة والفظاظة والوقاحة،
حتى يضيق ثوب لفظه عن منطق الطبيعة.
يقول إنه لا يعرف الرياء والملق،
ويُكسب الذي يقول لون الأمانة والصراحة (ساخرًا)

سيادته — لا بد أن يقول الحق،
فإن تقبَّل الرجال قوله تقبَّلوه — أمَّا إذا
لم يقبلوه فهو يحتمي بحجة الصراحة!
إني لأعرف منطق الأوغاد حق المعرفة؛
فهم يخفون في القول الصريح من مكر الطوية أو فساد القصد
ما يربو على عشرين تابعًا ذليلًا ساذجًا،
ويُخلصون في أداء واجب المداهنة!

كِنْت:

ألا إنني مولاي بالحق أنطق	وبالصدق والإخلاص لفظيَ أخلق
أذنتم لنا إذنًا كريمًا ومُشرقًا	جلال مُحيَّاكم به يتألَّق
بطاقة نار ما يزال شعاعها	على جبهة الشمس المهيبة يخفق

كورنوول: ماذا تعني؟

كنت: أقصد أن أُغيِّر من نبراتي التي أغضبتك كل الغضب؛ فأنا واثقٌ يا سيدي أنني لست مداهنًا، والذي يخدعك بصريح العبارة وغدٌ صريح ...

synonymy (انظر **sense relations**)

syntagm (انظر **sense relations**)

syntagmatic relations (انظر **sense relations**)

النص المترجَم target text

ويُسمَّى أيضًا *translatum*، وهي كلمةٌ شاعت في كل اللغات الأوربية، وتُعرِّفها نظرية الترجمة الوظيفية بأنها: «معلوماتٌ مُقدَّمة إلى المتلقي من المترجم الذي صاغها في إطار الثقافة المترجَم إليها حول معلومات مقدَّمة إلى مُتلقٍّ آخر صاغها شخصٌ آخر في إطار ثقافة المصدر ولغته».

tertium comparationis

(انظر **instrumental translation**)

النص text

التعريف الخاص للنص وفقًا لنظرية الترجمة الوظيفية هو «المعلومات المقدَّمة إلى القارئ أو السامع — المتلقي — والتي يختار منها كلُّ متلقٍّ ما يجده مهمًّا أو طريفًا».

tonicity

(انظر **suprasegmental features**)

الترجمة translation

يُستخدم المصطلح بالمعنى الواسع للدلالة على أي «فعل ترجمة» يؤدِّي إلى نقل نصٍّ أصلي إلى لغةٍ أخرى وثقافةٍ أخرى. ونحن نُفرِّق بين الترجمة التحريرية بالمعنى الضيق الذي يدل عليها هذا المصطلح وحده، وبين الترجمة الفورية التي يُطلق عليها *interpreting*.

عمل، فعل، عملية الترجمة translation action

هذا مصطلحٌ لـ «جنس» الترجمة *generic*؛ أي إنه عام، وقد ظهر لأول مرةٍ في عام ١٩٨١م (على يدي يوستا هولتس، منتاري *Justa Holz□ Mänttäri*) حتى يشير إلى جميع عمليات التبادل الثقافي أو جميع أشكال النقل بين الثقافات *intercultural transfer*، بما في ذلك العمليات التي لا تتضمَّن أيَّ نصوصٍ أصلية أو نصوص مترجمة على الإطلاق. والأستاذة يوستا المذكورة مترجمةٌ ألمانية محترفة تعيش في فنلندا، وقد أصدرت العديد من الكتب والدراسات التي شاركتها فيها أحيانًا كريستيان نورد، دفاعًا عن قضيةٍ آمنت بها وأرادت لها الرسوخ والاستقرار، وهي أن الترجمة فعلٌ مقصود لا ينبغي ربطه بنصٍّ أصلي ولا نص مترجم، انطلاقًا من مبادئ نظرية الفعل *action theory* (التي وضعتها فون رايت *Von Wright* عام ١٩٦٨م وريباين عام ١٩٧٧م *Rehbein*)، بحيث تشمل شتى أنواع التفاعل والنقل والتبادل الثقافي، واسم نظريتها بالألمانية *translatorisches Handeln*، وقد توسَّعت في تفصيل القول فيها عام ١٩٨٤م فعرَّفتها قائلة: «إن فعل الترجمة هو عملية إنتاج ما يبث رسالةً من نوع ما؛ أي message-transmitters (بالألمانية Botschaftstäger) موجهة لتحقيق غرضٍ مُعيَّن.»

وتقول كريستيان نورد (١٩٩٧م) إن يوستا هولتس منتاري اتجهت في كتبها الأخيرة إلى الاستفادة من علم السيبرنطيقا الحيوية، أمَّا السيبرنطيقا فهي علم الدراسة المقارنة لنُظم التحكُّم البشري عقليًّا وعصبيًّا، وكذلك النُّظم الإلكترونية المعقَّدة مثل الكمبيوتر، وأمَّا السيبرنطيقا الحيوية فتتعلَّق بنظم التحكُّم والتواصل بين الكائنات الحية، في إيضاح الأحوال التي تُعيِّن أو تُمكِّن أفراد الجنس البشري من «التوافق مع بعضهم البعض»، باعتبارهم كائنات اجتماعيةً لتحقيق التعاون (١٩٨٨م)، وفي أحدث كُتبها (١٩٩٣م) تقول إن وظائف المخ هي التي تتحكَّم في القدرة على إنتاج ما يبث الرسائل الوظيفية أو

تصميم *design* هذه «البثَّاثات» (المُرسِلات *transmitters*)، ولكن هذا الاتجاه قد دخل بها في علم دراسات الترجمة الخاصة بالمعرفة وبعلم اللغويات الاجتماعية، وهما فرعان مُتخصِّصان كل التخصُّص، ولم تُترجَم كُتبها التي أصدرتها بالألمانية إلى الإنجليزية حتى اليوم (١٩٩٩م).

مشكلات الترجمة translation problems

يختلف تعريف مشكلات الترجمة عن صعوبات الترجمة؛ فالصعوبات فردية وتتفاوت من مترجمٍ لآخر، ولكن المشكلة هي العقبة التي تحول دون إخراج نصٍّ يقوم بوظيفته بنجاح، بحيث يمكن التحقُّق منها موضوعيًّا، أو بصورةٍ مشتركة بين الأفراد *intersubjectively*، وقد بدأ المقال الإنجليزي بالحديث عن المشكلات بهذا المعنى.

الوحدة الصغرى للترجمة translation unit

هي وحدة من العلامات اللفظية أو غير اللفظية التي لا يمكن تقسيمها إلى عناصر أصغر في غضون عملية الترجمة، وتتراوح هذه الوحدات في الدراسات اللغوية بين المورفيمات، والكلمة، والعبارة، والجملة، والفقرة والنص. ولَمَّا كان لهذا الموضوع أهميته الكبرى في الترجمة من العربية وإليها، فلا بد من رصد بداية التفكير فيه وتطوُّره.

منذ ما يربو على أربعين عامًا كتب عالمان فرنسيان هما فيني Vinay وداربلنيه Darbelnet كتابًا أسمياه الأسلوبية المقارنة بين الإنجليزية والفرنسية *stylistique comparee du francais et de l'anglais* (في عام ١٩٥٨م)، وعرَّفا فيه وحدة الترجمة قائلين بأنها وحدة الفكرة *unite de pensée* التي تتحقَّق لغويًّا في «أصغر الأقسام اللفظية، حيث يبلغ التماسك بين العلامات حدًّا ينفي ضرورة ترجمة كل علامة على انفراد».

"Le plus petit segment de l'enonce dont la cohesion des signes est telles qu'ils ne doivent pas etre traduits separement."

وتَبِع ذلك طوفانٌ من الدراسات اللغوية التي تحاول تحديد هذه الوحدة الصغرى من ألبرشت *Albrecht* عام ١٩٧٣م وديلر وكورنيليوس *Diller & Kornelius* (١٩٧٨م)، الذين لا يتجاوزون المورفيم، أو الوحدات الصوتية الصغرى، حتى كولر *Koller* (١٩٩٢م) الذي يُوسِّع من نطاق الوحدة حتى تصبح عبارةً أو جملة، وذهب البعض إلى أن الوحدة قد تكون «القيم الخاصة بنمط النص في إطار علم الدلالة والتداولية» (مثل نويبيرت *Neubert* عام ١٩٧٣م)، بل إن سوزان باسنيت *Bassnett* تزعم في كتابها الذي حرَّرته

مع أندريه ليفيفير *Andre Lefevere* وهو بعنوان *Translation, History and Culture* (1990) أن الوحدة يجب أن تكون «الثقافة»، وهما يضربان شتى الأمثلة في ذلك الكتاب الرائع على صحة اعتبار «الوحدات الثقافية» مكوِّنات «ذرية» *atomic*؛ أي «لا تقسيم»، بمعنى أن عناصرها لا تُترجَم.

وتعارِض كريستيان نورد كل هذه الاتجاهات لأنها تعتمد على ما تُسمِّيه الاتجاه الأفقي *horizontal* في الترجمة، وتدعو إلى اتخاذ ما تُسمِّيه الاتجاه الرأسي *vertical*، بمعنى اعتبار أن النص لا يسير سَيرًا أفقيًّا في خطٍّ مستقيم، بل يصعد إلى ذروةٍ مُعيَّنة بدءًا بالعنوان وحتى الختام. وهذا لا ينطبق بطبيعة الحال على جميع النصوص، ممَّا يجعل الموضوع في حاجةٍ لمزيد من الدراسة.

أمَّا أهميته للترجمة العربية (منها وإليها) فتتجلَّى في ضرورة وعي المترجِم بنوع النص وزمانه ومكانه، وهو ما ضربنا عليه الأمثلة في سياق الدراسة، ودلَّلنا على ذلك بإمكان حذف بعض الكلمات أو العبارات التي لا تُعتبر وحداتٍ أو أجزاءً أو أقسامًا من وحدات، والموضوع لا يزال مثار خلافٍ كبير، وتتفاوت النظرة إليه وفقًا لِمَا يُسمِّيه سيد البحراوي بالمنهج، وما أُسمِّيه أنا بالتوجُّه *orientation*.

translatum (**target text** انظر)

Index

accord
according
account
account for
accountability
accountancy
accuracy
accurate
(be) accused
achieve
achievement
acquire
acquisition
acronym
across
act
act of God
act on (something)
action
action
Action
action film
action painting
action theory
actionable
actions speak louder than words
activate
actively
activity
acts of Congress
acts of parliament
actuality
acutely
add to
addict
address
adequacy
adequate
adequately
adjust
adjust your set
adjust your watch
adjustment
administer
administration
administration of justice
admire
adorned
advanced
advancement
advantage
adversely
advertising
advice (a bit of ~)
advice/advise
advisable
advise/advice
advised

care for
care–free
careful heed
careful of
careful over
care–laden
care–taker
care–worm
case
case closed
casino
casualties
catastrophe
catastrophic
catchment
cause
CBI (The Confederation of British Industries)
ceasefire
ceaseless
cefine
cefinitely
censorship
central
central issue
centre
chagrin
chair
chairman
chairperson
chalet de nécessité
challenge
chamber
chance
change
change in wording
chapter
character
charge
chargé d'affaires
charming
chartered
chat up
cheap
check
check for
checking the translation for accuracy
cheerful
Chief Executive
child
child care
child–care clinic
Chinese
chips
choice
chronic
chronically

Commonwealth
communication
communication and information revolution
communicative
communicative interaction
community
community interpreting
compact
company
comparative
compassionate society
compatible
competence
competent
complement
complementarity
complete
complex
compliance
complicate
componential analysis
components
comprehensive
compromise
comptroller general
compulsion
computer
concave mirror
conceal
conceive
conceived
concern
concerned about
concerned with
concerning
conclusion
conclusive
concur
condition
conduct
conductive
confederation
confederation
conference
confide in
confidence
confidently
confine
conflict
congestion
Connotations
conscience
conscious of
consecutive interpreting
consequences
consequent
considerable

(D)

desperation
destitute
desveloper
detached house
detail
detain
detective story
determine
detest
dethronement
devaluation
develop
develop a method
develop a project
develop a system
developer
developing
development
developmental
développer
deviation
devil
devise
devote
dialect
dialectal
dictionary compliers
didactive differ
different

Different kind of Christmas
difficult
difficulty
digressions
diligence
Diller & Kornelius
diminish
dipartire
diplomatic
direct
direct remittance
direct speech
directions
directive
director
directorate
disabled
disadvantaged
disagreement
disappear
disaster
disaster area
disastrous
discipline
disciplines
discomment
discouraging
discover
discrepancy

dust
dust bin
dustman
duty
dwell
dwelling

(E)

eager
early age
earth
earthquake
ease
Eastern Nile Delta
easy
easy access
eccentricity
economic
economic boom
economic integration
economic philosophy
economic reform
economy
edge
editor
education
education department
educational
educational institute
effect
effort
Egyptian
Egyptian Foreign Exchange Control
Egyptian State Publishing House
elaborate
elaboration
election
election du bureau
election of officers
elegant variation
element
eliminate
elimination
Ellis, John
embezzlement
embrace
emerge
emergency
emergent
eminent
emotive
emperor
emphasis
empirical
employ
employer
empower
empowerment

evaluate
evaluative
even
eventual
every man and woman
everybody
evidence
evolution
evolve
ex officio
exactly
examine
examiner
example
excellent
except for
exception
excitable
exclude
exclusion
excogitate
execrate
execute
execution
executive
Executive Authority
executive director
executive level
executive life-style
executive secretary
executive summary
exhaust
exile
exoticizing translation
expatriate
expect(ing)
expend
expenditure
expense
experience
experiment
expertise
explain
explicit
explosion
export goods
export permit
express
expression
expressive function
expunge
extraversion
eye lined with anxiety

(F)

fabric
face
face darkened with insomnia
facility

final analysis
finalist
finally
finance
financial
find
fine
finger
fire
Fire Brigade
Fire Department
firm
First Division
first–ever
fish and chips
fit (in a ~ of)
flatter
flatterer
flattery
flawed by
flexibility
flickering
flimsy
flog
flood waters
floor
flow
fluent
focal point
fog
foiled
folk
follow
follow one's advice
follow up
fond of
food aid
food control
food source
food–waged
football Association
footnotes
footsteps
force
foreign exchange
foreign language Teaching
foreignizing translation
foreseeable
form
forma
formula
formulate
formulated
formulation
formulator
forthcoming
fortitude
fortuna

genetic
Geneva Conventions
genitals
genius
genre
genuine
genus
gestalt
gesture
get fact right
get involved
get on the phone
get out of hand
get well
ghost
girl
give
give a break
give advice
give birth
give up
gladden the heart of
glass
gleam
global
globalism
globalization
globalized
globalized system of preferences
globe
globus
glossary
GNP (gross national product)
go astray
go berserk
go for
go home
go into action
go on the rampage
go to the loo
go up (prices)
goal
god–fearing
good
goods
Gorbachev
governing body
governing council
government
government troops
governmental programme
governor
Governor of Canada
Governor of the Central Bank
governorate
gracious
gradable antonyms
gradual

include
income
incompatible
inconvenient
incorporate
incorporated company
increasing
increasingly
indeed
independent
indicate
indict
indigent
individual
industrial
inequality
inexplicable
infer
infinitesimal
inflamed
inflation
inform
information
informative function
infrequent
ingredients
inherent
initialing
initiate
initiator
innocent
inquiry
insecticides
insecure
insensitivity
insist(ing)
inspect
instead of
instruction
instrumental translation
insure
integer
integrate
integrated
integrated welfare
integration
integrity
intent
intention
intercontinental
intercontinental missiles
intercontinental rockets
intercontinental trade
intercultural transfer
interdisciplinary
interests
interfere
interference

lose
loss
lovely
low
lowering
low–income group
lowly station
loyalty
LSE (London School Of Economics)
lucky
lucky break
lunch time
luxury
luxury consumer goods
luxury goods

(M)

m.o (mode of operation)
machine
macrostructure
made of
magazine
magnus
maim
mainstream
mainstreaming
maintain
major
major change
make away with
make busy
make complicated
make friends
make good
make intricate
make money
make tangled
make use of
malaria
male
malpractice
man
man is a laughing animal
man of action
man of generosity
manage
management
manager
mandate
mandatory
mankind
manner
Mänttäri
marauder
march
marginal
marginal group
marginal groups

militancy
militant
militant
military
milk powders
mind (in two ~ s)
minerals
minimize
minimum
minister
Minister of Defence
ministerial committee
ministry
minute
mirror
mirror image
miscalculate
misdemeanour
miserable
misguide
mishap
mislead
missile
mistaken
MLA (Modern Language Association)
MOD (Minister of Defence)
model
modern
modest
modicum
modulation
money
monsoon lake
monster
monstrosity
month
moot point
moral
moral fibre
morning
morphe
morphological
most–favoured–nation
mother language
mother tongue
motive
motor vehicle
mount
movable belongings
move up
movement
moving
mow down
Mr. Right
MSA (Modern Standard Arabic)
multinational corporations
municipality

north
North Sea
nostalgically
note
nothing
now
NUJ (National Union of Journalists)
number of
NUT (National Union of Teachers)
nutritional

(O)

obesity
object
object to
objective
obligations
observant
observe
obsolescent
obsolete
obstacle
obtain
obvious
obviously
occasion
occupation
occupy
occur
oesophagus
offence
offend
offer
office
officer in charge
officers
official
officiate
officious
often-cited
oil resources
oil-rich
old
old mind
old-age group
on the basis of
on the dole
(at) once one-way flow of goods
only
onslaught
OPEC
open air
open ovens
open to question
open up
operation
operational integration
operative

partnership agreement
partnership deed
partnership-at-will
party
pass the examination
pass water
passive
path
patience
patient
patriot
patriotism
pattern
pay attention
pay for
pay(ing)
peace Corps
peace of mind
peace settlement
pedagogical
penal clause
penniless
penurious
people
people of Pharoah
per capita income
per cent
perceive
perceived
percentage
Perestroik
Perestroika
perfection
perform(ing)
performance
perhaps
period
periodically
periphrastic
permit
persistently
person
personal contact
personal property
personality
persuasion
persuasive
pest control
petrochemical industries
phantasy
phantom
pharyngitis
pharynx
phatic
phenomenon
philological translation
philosopher
phrase

pronounce
proof
propensity
property
property developer
prophet
proponent
proposal
propose
prosecutor
prospect
prosperity
prosperous
protection
proud
prove
provide
provinces
provincial
provincial affairs
provisions
provoke
psychological
psychopathic
pub
public
public and private Sectors
public convenience
public law
public life
public services
public utilities
publication
publicity
publicity campaign
pull down
pumping
pun
purely
purpose
put into action
put into practice
put out of action
put the blame on
put the question
putative
pyrrhic victory

(Q)

qualification
qualifying exam
quality control
quarter
queries
question of
question paper
quickly
quiet

refer to
reference
reference book
referential function
reflation
reflect
reflected
reflecting
reflections
reform
reform programme
reformer
reformulation
refrain
refugee
regain
regarded as
regarding
regards
regime
region
regional
regional associations
regular
regulations
regulatory rules
rehabilitation
rehbein
rehearse
reject
rejection
rejuvenation
relate to
relationship
relatively
relax
relevance
relevant
reliability/reliable
relief officer
relief worker
relieve
religion
relish
remain
remain in power
remembrance
rename(ing)
Rent Agreement
repair
repeatedly
replace
reply
report
reportedly
represent
representation
repression

Riot
Ripe
Rise
Risk
Rivulets
Road
Rob
Robbery
Robot
Rock
Rocket
Role
Root
root cause
Roughness
Route
Rubbish
Rugby
rule and regulations
run a country
run-off
Rural
Rush
Rusty
Rwanda

(S)

Sacrifice
Saddle
Saeculum
Salaries
Sales
salt marshes
Same
Sample
sample group
Sanctions
sanitary facilities
Sanitation
Sanskrit
Satellite
Satisfaction
Saucy
Saudi Arabia
saving-bank Depositor
Savings
Say
say by way of comment
Scaffolding
Scala
Scandal
Scheme
Schola
Scholar
Schole
School
Schoolboy
Science

settlement
several
sex
shack
shade
shadow
shady
shanty town
shape
share
share-holder
sharing
sharp
sharp lesson
shoal
shoot on sight
shoot the innocent
shop floor level
shoreline
short term
show
shroud
shrouded in
sick (the ~)
sickman
sickness
sight
sights and sounds
signaling facility
signatory
significance
signing
simple
simply
simultaneous interpreting
since
sincere
sing
singer
single
sink
sir
sit
sit idly by
site (on ~)
situation
skinny
skopos
Skopostheorie
slop
slump
small
smile
snout
so-called
soccer
social
social code

stagnation
standardized
standardized classification
standards
stanza
startle
state
state of mind
State Publishing House and National Library
state services
stated
statement
state-owned
state-run
States (the ~)
statistics
statue
stature
status
status of woman
status symbol
stay
steadfast
steadily
steady
steal
steed
steering committee
step
stick
still
stipulate
stock market
stop-watch
storm
story
straight path
straitened
streamlining
streams
street
strength
stretch
strident
strike
striving
strong
structural adjustment
structure
structuring
students
study
study facilities
study hard
stunted
stupration
style

transition
translate
translation
translation action
translation problems
translation studies
translation unit
translational
translational action
translational corporations
translational scholar
translator
translatorisches Handeln
translatum
transmitters
transparency
trash
trash can
travel
tread
treat
treated as
treatment
treaty
trede
tree twigs
trend
tributaries
trip
tropical diseases
tropical forests
Tropical of Cancer
Tropical of Capricorn
Tropics
trouble
trouble shooter
troubled
trust
trustworthiness
trustworthy
trusty
truth
truthful
try to
tubular
TUC (Trade Unions Congress)
turn into
twigs
twilight
two–way exchange
type
typewriter
typical
typically
typify

(U)

Ulysses
umbrella term

upward
upward adjustment
upward trend
urban systems
urge
urinate
Uruguary Round Agreements
uS Administration
US Satellites
use
use up
usually
utility
utility furniture
utilize
utterance

(V)

vague
vain (in ~)
valid
valley
valuable
value
valueless
van
variable
variation
variety
variously
vast
vastly
vehicle
venture
verbal
verdict
verification
verily
verity
verse
vertical
veto
viability
viable
vibrant
vice-dean
victim
victory
view (in ~ of)
villa
villagers
viluppo
vinay
violate
violation
violence
virgin land
virtue

wheat flour
when
where
wherever
whether
while
White
white collar worker
whitehall
who cares?
whole
wholesale
whose
wife
wild life
will
willing to
wilting
wings
wisdom
with a view to
with special needs
witness
WMO (World Meteorological Organization)
woman
women's group
women's issues
wonder
wont
word
wording
wording of a given text
words of advice
work
worker
working conditions
working group
working language
world
world culture
world market
world resources
world trade
World Trade Organization
worldly
worldwide
worn with
worry
worthless
worthwhile
would-be mother
wound
wreath
wrong
wrongly
WTO


هنداوي